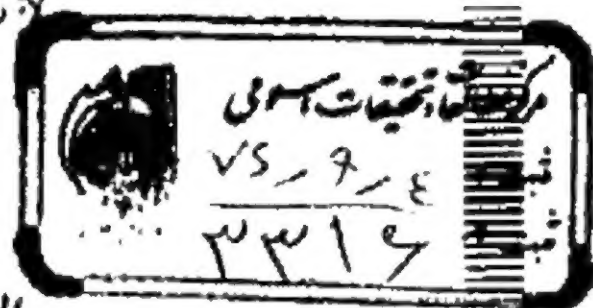


مجلة

المؤرخ العربي

رئيس التحرير
الدكتور حسين أمين
الأمين العام
الاتحاد المؤرخين العرب

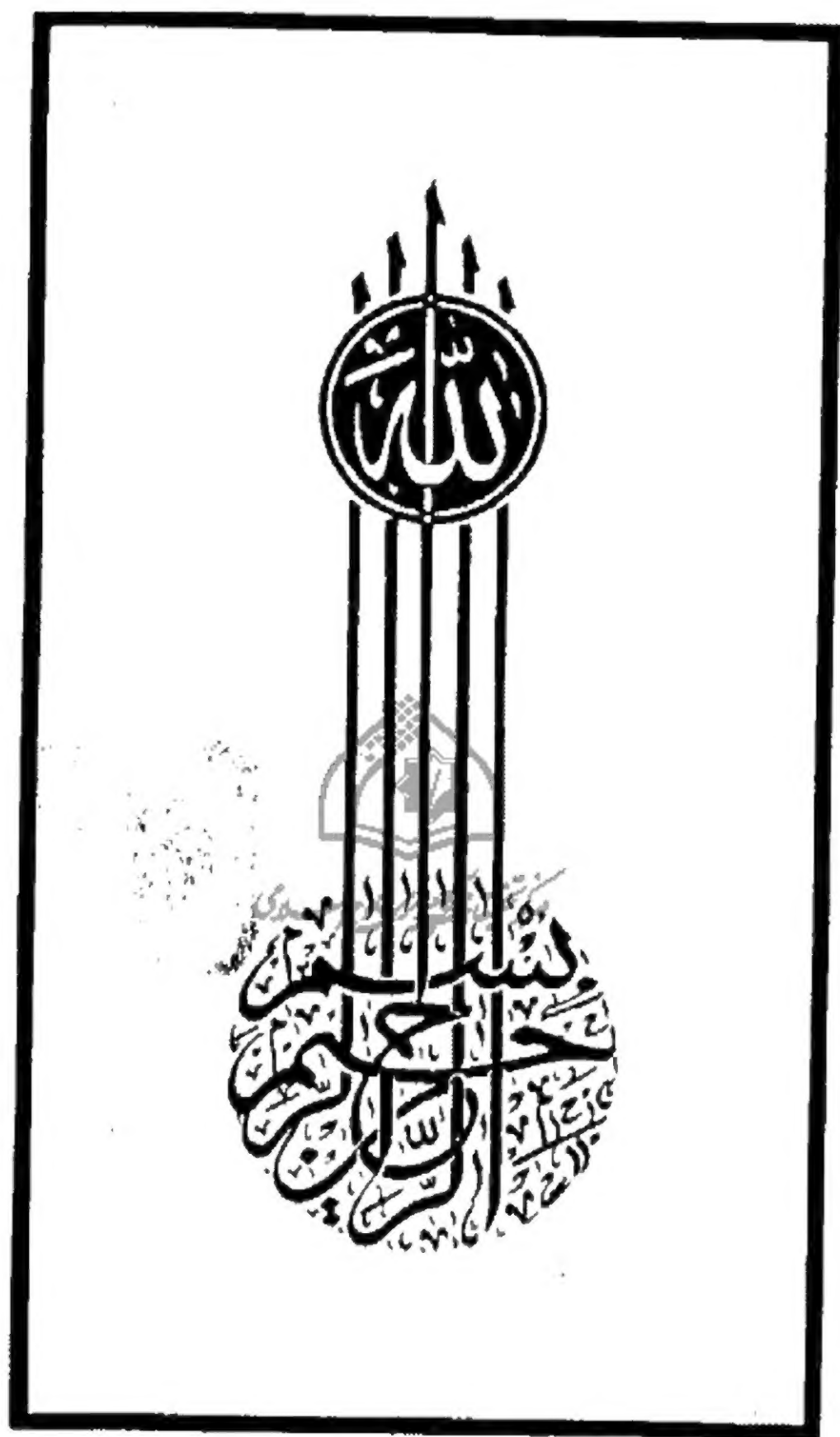


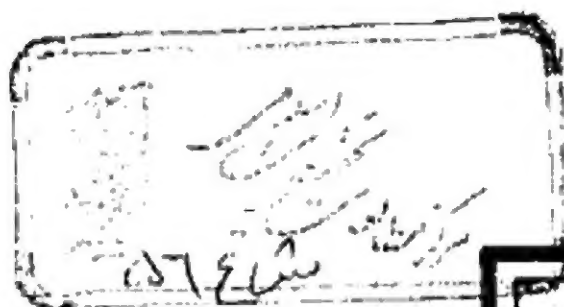
٢٤

العدد الرابع والعشرون

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

مجلة تصدرها
الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد - العراق





محتويات العدد الرابع والعشرون

م	الموضوع	الصفحة
	مقدمة العدد	٧
	للدكتور حسين أمين الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب	
١	- العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي	٩
	للدكتور حسين أمين الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب	
٢	- مكانة الخليج العربي التجارية ومصادرها خلال العصور الإسلامية الوسطى	١٩
	بحث مقدم إلى مؤتمر الدراسات التاريخية لشرق الجزيرة العربية بقلم الدكتور ليبد إبراهيم أحمد - كلية الآداب - جامعة البصرة	
٣	- السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق	٢٧
	للأستاذ أنور الجندى جمهورية مصر العربية	
٤	- الرأي العام في صدر الإسلام - معانيه وبواكيره واتجاهاته	٤٩
	للدكتور عادل محيي الدين الألوسي - كلية التربية جامعة بغداد	
٥	- المحكمة العليا في الإسلام أو النظر في مظالم الرعية	٦٣
	للدكتور عبدالرزاق علي الأنباري - كلية التربية جامعة بغداد	
٦	- سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته مع اليهود	٩١
	للدكتور احسان ثريا تركيا	
٧	- صفحات من تاريخ الانتفاضة الشعبية اللبنانية	١٠٣
	للأستاذ صادق حسن السوداني - كلية الآداب جامعة بغداد	

- ٨ - ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي مؤرخاً ١٧٧
- للأستاذ عبدالرحمن حسين العزاوي - كلية الآداب جامعة بغداد
- ٩ - قبيلة بكر بن وائل وحروبها في الإسلام ١٩٩
- للدكتور رمزية محمد الأطرقجي - جامعة بغداد
- ١٠ - الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ٢٤٣
- تأليف الدكتور عبدالله سلوم السامرائي
- عرض د. ناجية عبدالله ابراهيم
- ١١ - مطالعات في الكتب التي صدرت حديثاً ٢٥٥
- بقلم الأستاذ محمد جاسم حمادي
- ١٢ - سليمان أفندي قانقماق الحلة سنة ١٨٦٧ ٢٦١
- للأستاذ مير بصري - زميل الجمعية الآسيوية الملكية لندن



مركز تحقيقات تكملة تراثنا

اللجنة الاستشارية

- ١ - الدكتور حسين أمين / الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب.
رئيس تحرير المجلة.
- ٢ - الدكتور مختار العبادي / أستاذ في قسم التاريخ -
الاسكندرية.
- ٣ - الدكتور يوسف فضل / مدير معهد الدراسات الافريقية -
الخرطوم.
- ٤ - الدكتور عبد الأمير محمد أمين / أستاذ في قسم التاريخ -
بغداد.
- ٥ - الدكتور محمد زنبير / رئيس قسم التاريخ - جامعة محمد
الخامس.
- ٦ - الدكتور عبد الكريم غرايبة / وكيل الجامعة الاردنية.
- ٧ - الدكتور عبد القادر زبادية / رئيس قسم التاريخ - جامعة
الجزائر.
- ٨ - الأستاذ ابراهيم البغلي / مدير الآثار والمتاحف - الكويت.
- ٩ - الأستاذ شايخ عبده سعيد / رئيس قسم التاريخ - جامعة
عدن.
- ١٠ - الدكتور عبد المالك خلف التميمي / قسم التاريخ - جامعة
الكويت.
- ١١ - الأستاذ سالم الشيباني / وكيل جامعة قاريونس - بنغازي.
- ١٢ - الدكتور عبد الله يوسف الشبل / وكيل جامعة الامام محمد
بن سعود الاسلامية - الرياض.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة

بكل فخر واعتزاز تقدم الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب هذا العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي وهي طافحة بالبحوث القيمة التي كتبها الباحثون والمؤرخون العرب وهذا يعبر عن الجهود المتواصلة والتقدم الواضح الذي حققه اتحاد المؤرخين العرب في تحقيق أهدافه العلمية وفي التعريف بالمؤرخ العربي وإبرازه مثلاً حياً للنشاط العلمي وعنواناً للتقدم الحضاري.

إن مجلة المؤرخ العربي والتي برزت في الساحة الثقافية العالمية وأصبحت أهم المجلات العلمية التي تعنى بالدراسات التاريخية، ستستمر بإذن الله تعالى في طريقها المرسوم وهي تعكس الأصالة التاريخية للأمة العربية وتبرز روح الحضارة التي أقامها العرب والمسلمون في هذه المعمورة، وستكون المرآة الصادقة لتراثنا الجليل.

اننا ندعو جميع الأخوة المؤرخين العرب للإسهام في تحرير مجلتهم التي أصبحت من أهم مصادر البحث التاريخي ومقصد كل الباحثين وطلبة العلم في العالم، وإن مساهمتهم في الكتابة إثراء للمجلة ومشاركة فعالة في دعم اتحاد المؤرخين العرب.

وختاماً لا بد وأن اتقدم بالشكر العظيم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية على تفضلها مشكورة بطباعة هذا العدد دعماً للاتحاد وتشجيعاً للمؤرخين العرب وتعضيداً لعملية البحث العلمي.

وفقنا الله إلى ما فيه الخير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور حسين امين



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

العلاقة الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

د/حسين أمين

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الأندلس وبغداد، مركزان مهمان من مراكز الحضارة الإنسانية امتازا بالتطور والازدهار في جميع ميادين العلم والمعرفة والفن والعمران كما امتازا بالمعاصرة، وتبادلا معظم وسائل الثقافة، فتلاحمت الأفكار وتبدلت الخبرات والمعارف وكان حصيلة ذلك كله ذلك التراث العظيم لبغداد والأندلس، الذي يتغنى به القريب والغريب وينهل من معانيه السامية كل طلاب العلم والمعرفة.

وما من شك فان العصر العباسي الذي شهدته العالم كان صفحة مشرقة من صفحات تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وفيه غدت بغداد قبله المصدا وكعبة طلاب الثقافة والتجارة والفن كما كانت في عصرها الأول الحصن الحصين للعالم الإسلامي ومنطلقا لجيوشها الضاربة.

وقد سادت بين الأندلس وبغداد علاقات نابغة من أصالة الروابط الاجتماعية والدينية والسياسية، وكانت لتلك العلاقات نتائج ذات أثر واضح في تطور مختلف مظاهر الحياة العربية الإسلامية بوجه خاص والتقدم الإنساني بوجه عام ولعل أبرز تلك الصلات هي العلاقات الثقافية.

وفي عهد ازدهار بغداد والأندلس والتطور الكبير الذي رافق مسيره كل منهما، انتقلت الكثير من عوامل الحضارة في ميادينها المختلفة، وهام العدد من الرواد العلماء والأدباء والفنانين بزيارته المشرق والمغرب والأندلس وثقت عملية الامتزاج وانتقال التأثيرات الحضارية والتي كان لها دورها الإيجابي في ربط وتعميق العلاقات بين الأخوة في المشرق والمغرب والأندلس، وكان لذلك فعله الواضح في تعريف التراث بشكله السامل لجميع العرب والمسلمين والعمل على حفظه من الضياع والنسيان

وبعتبر الفنان البغدادي المعروف بزرياب هو من أولئك الرواد الذين كان لهم دورهم الفاعل في نقل الفن والترف والتقدم الاجتماعي من بغداد إلى الأندلس، وزرياب هو علي بن نافع مولى المهدي العباسي من الموسيقيين المشاهير في عصره، وكان شاعرا موهوبا، كان على معرفة بأحوال الملوك والخلفاء والأمراء وآداب مجالستهم، وكان حبس الصوت وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار بعد أن كانت أربعة، استأذنه في الغناء اسحق الموصلي، الذي كان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ ونادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين، وانتقل زرياب إلى السام ومنها إلى الأندلس وسبقته إليها شهرته واستقبله الأمير عبدالرحمن بن الحكم الأموي بن

الحكم ورحب به وجعله من المقربين في بلاطه وخصص له في كل شهر مئتي دينار، واستغنى به عمن عداه من الندماء والمغنين، وأقام في قرطبه وبها اخترع مضرب العود من الخشب، وفي رأى المؤرخين أن زرباب يعتبر المؤسس الحقيقي لمدرسة الغناء والموسيقى الأندلسية، كما كان لزرباب أثره الواضح في الأندلس حيث صار قدوة المجتمع الأندلسي، فأحدث بدلا واضحا في الملبس والمأكل، كما طعم الحياة الاجتماعية العامة في الأندلس وآداب المحادثة والمجالسة بكثير من التقاليد البغدادية. وأنه نقل الحان بغداد وأغانيها إلى الأندلس، وأدخل فنونا جديدة في الموسيقى والغناء، وعلى ذلك أخذ الشعراء في نظم الشعر الملائم لهذه الموسيقى وذلك الغناء وظل زرباب مقيا في قرطبة حتى توفي سنة ٢٣٠ هـ ٨٤٥ م.

وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري دخل الأندلس رجل من بغداد كان له الأثر النقابي في الأندلس ودخل قرطبه في نفس الوقت من بغداد أيضا ككتاب كان له تأثيره الأدبي الرائع والذي صار المنهل العذب لكل أديب ودارس ومرجع لكل منصف يرصف منه روائع الأدب وأخبار المثقفين من شعراء وأدباء وفنانين، والرجل هو إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي علي القالي، احفظ أهل زمانه للغة والسعر والأدب، تعلم في بغداد حيث أقام بها خمساً وعشرين سنة، ورحل إلى المغرب، ودخل قرطبة سنة ٣٣٠ هـ ١٤١ م أدم الخليفة عبدالرحمن الناصر وقد أكرمه الحكم المستنصر بن الناصر وبالف في رعايته والعناية به بقدر ما لعلمه وتكريما لمكانته وفي قرطبة املى كتابه المعروف (الأمالي) كما أنه وضع في بلد المدينه معظم تأليفه التي صارت مطلب كل المثقفين في الأندلس، وكان للقالي مكانة مرموقة بين كبار الأدباء والعلماء.

وقد مدحه شاعر قرطبة ابو عمر يوسف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي بمصيدته التي مطلعها :-

من حاكم بيني وبين عذولي الشجو شجوى والعويل عويلي

إلى أن يقول :-

يا سيدى هذا ثنائي لم أقل زورا، ولا عرضت بالتوبل
من كان يأمل نائلا فانا امــــرو لم أرج غير القرب في تأمليــــي

ويذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة أن الرمادي روى عن أبي علي القالي كتابه النوادر



وكان تأثير أبي علي القالي كبيرا في نقل علوم اللغة والنسعر والأدب في الأوساط والمجالس الثقافية الأندلسية، وانتفع به خلق كثير، ولعل أبرز من أفاد منه عالم الأندلس الكبير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاتنبيلي والذي يعتبر أوجد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وكان أخير أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر ولم يكن بالأندلس في فنه منله في زمانه، درس الأدب واللغة على أبي علي القالي وكان أهل الأندلس يلقبونه بالبغدادى لمجيئه اليهم من بغداد، وقد توفي أبو علي القالي سنة ٣٥٦ هـ/١٩٦٧م في حاضرة الأندلس قرطبه.

وفي نفس الفتره التي كان فيها أبو علي القالي يعطي بسخاء من علومه وأدابه ومعارفه، وصلت الأندلس نسخة خاصة من كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني إلى الحكم المستنصر، وكان هذا الكتاب من أبرز الأدب، كتبه أبو الفرج في بغداد بمدة خمسين سنة، وذكر ابن خلكان أن الصاحب ابن عباد كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب، فلما وصل إليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها. وقال المؤرخ ابن خلدون (ان كتاب الأغاني، هو ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو العيه التي يسمو اليها الأديب ويقف عندها واني له بها).

لقد صار لهذا الكتاب العربي الذي أوفدته بغداد إلى الأندلس مكانته المرموقة، فأقبل على فرائه الأدباء والعلماء وتلقفه الشعراء والمغنون وانتهله منه كل طالب علم يحتاج إليه من الأدب والمعرفة وبقي الكتاب ولما يزل تحفة التراث العربي ومتعة كل المثقفين والدارسين. هذا وقد توفي أبو الفرج الأصفهاني في بغداد سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٧م في نفس السنة التي توفي فيها أبو علي القالي البغدادي في قرطبة كما ذكرنا.

وانتقلت كتب بغداد إلى الأندلس في شتى مواضع العلم والمعرفة وأقبل على تناولها روادها وانكبوا عليها درسا وفحصا ونقدا وتعليقا، وانتقلت تلك التأليف من الأندلس العربية الإسلامية إلى الامارات المسيحية في الشمال ومنها إلى أوروبا.

وهكذا أصبحت الأندلس معبر الحضارة الإنسانية والطريق الصالح لنقل تراث العرب والمسلمين إلى أوروبا، وترجمت الكتب العلمية والأدبية إلى اللغة اللاتينية. وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد ترجم كتاب القانون لابن سينا في القرن الثاني عشر كما ترجم كتاب الحاوي

للمرازي كما تمت ترجمه كتب ابن الهيثم ومؤلفات الإمام الغزالي وبخاصة كتاب احياء علوم الدين، وتعرفت أوروبا عن طرق العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد على الكثير من المعارف والتجارب والمكتشفات العلمية مما سهل على الأوربيين الكثير من الجهد والوقت، وصارت آراء البيروني وابن الهيثم وابن سينا وجابر بن حيان والرازي في صلب معارف وأعمال رجال العلم في أوروبا، كما أصبحت كتب العرب والمسلمين هي الأولى لتدريس في جامعاتها.

كما وصل علماء رواد من المشرق إلى المغرب والأندلس فكان هناك نخبة من العلماء الأجلاء قاموا بزيارة بغداد وكانت وقتذاك، كعبة الفصاد ومنار العلم ومتعه الدنيا، تستقطب الناس على مختلف ألوانهم وأحوالهم لما وصلت إليه من التقدم والازدهار في كافة ميادين الثقافة والحضارة، ومن أبرز من زار حاضرة العباسيين، الأديب الحافظ محمد بن الوليد بن محمد الأندلسي المعروف بأبي بكر الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ ١١٢٦ م، دخل بغداد والبصرة وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الساسي مدرس المدرسة النظامية، والمدرسة النظامية هي أم المدارس العراقية شيدها الوزير نظام الملك لتدريس فقه الشافعية والتي تعتبر من أشهر المدارس الإسلامية في العصر العباسي ودرس بها كبار العلماء أمثال (أبو اسحق السيرازي) و (أبو حامد الغزالي) وغيرهما من أجلة فقهاء المسلمين، كما زار الطرطوشي مدينه البصرة واصل بعلمائها وأدبائها ومن ثم عاد إلى البشام واستوطن مصر.

ومن زار بغداد من الأندلسيين أبو الوليد ستليان بن خلف النجيب الأندلسي الباجي وهو من شرق الأندلس، رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولفى بها سادة من العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي اسحق السيرازي صاحب المذهب وأول مدرسي المدرسة النظامية، كما أقام بالموصل مع أبي جعفر السناني عاما يدرس عليه الفقه، ومن ثم عاد إلى الأندلس وولى القضاء هناك وتوفى أبو الوليد النجيب بالمربيه سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة.

ومن الذين دخلوا بغداد من أهل الأندلس أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد الفيسي الأندلسي، من أهل العلم باللغة العربية، فاتصل بعلماء بغداد فاستفاد وأفاد وتوفي هذا العام سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م.

ومن مشاهير الأندلسيين الذين وفدوا بغداد، أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن علي

الأندلسي البلسني الحافظ ، وهو من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث النبوي، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، زار العراق وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين وسمع بواسط من أبي الفتح محمد بن أحمد ابن الميداني، وزار اربل في سنة أربع وستائة فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين، فاعجب من اهتمام هذا الملك بمولد النبي (ص) عظيم الاحتفال به، فعمل له كتاباً بأسماء (كتاب التنوير في مولد السراج المنير) وقرأه عليه بنفسه، وقد منحه الملك مظفر الدين مبلغ ألف دينار مكافأة له على تصنيفه الكتاب، وتوفي أبو الخطاب سنة ثلاث وثلاثين وستائة بالقاهرة.

وزار بغداد رجل له شهرته الواسعة وهو معروف عند جميع المبتغين العرب والمسلمين صاحب الرحلة المشهورة محمد بن أحمد بن جبر الكنانى الأندلسي وتعتبر زيارة ابن جبر لبغداد بروة في أخبار بغداد وتراها، فقد اعدنا ابن جبر معلومات وافرة ومثبتة عن طرقات بغداد ودروبها وأسواقها ومتنزهاتها وقصورها ومساجدها وربطها كما اعطانا تصويراً غاية في الأهمية لطريقة التدريس المتبعة في المدرسة النظامية فمن يرجع إلى ما كتبه هذا الرحالة العربي العالم، نقف على حسن النظام والتقديم التدريسي في تلك المدرسة العظيمة والتي أدت دورها الكبير في خدمة التراث والحضارة الإنسانية

ولعل من أبرز مظاهر الارتباط العضوي ورموز عمق العلاقات بين بغداد والأندلس ذلك العالم المؤرخ المحدث الأندلسي محمد بن فتوح الميورقي والمعروف بالحافظ الحميدى، أصله من قرطبة من ريبض الرصافة، صاحب بن حزم وتلمذ عليه، رحل إلى مصر ودمشق ومكة سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م وأقام ببغداد فتوفي فيها سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م كتب الحميدى العديد من المؤلفات ولعل أشهرها كتاب (جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس) وأخباره كثيرة في كتب التاريخ، وتوفي ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز والتي ضمت معظم قبور الفقهاء والعلماء البغداديين ومن أبرزهم الشيخ ابن اسحاق السيرازى والذي دفن بالقرب من قبره، وصلى عليه الفقيه الشافعي الكبير ومدرس النظامية ابوبكر الشافعي في جامع الفصر وفي سنة ٤٩١ هـ نقل إلى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي المتصرف البغدادى المنسهر... وهكذا يؤكد الحميدى الأندلسي في حياته وموته على عمق العلاقات ومثانة الصلات بين بغداد والأندلس.

ومن الأندلسيين الذين كان لهم دورهم الكبير في التأثير والتأثير نتيجة الصلات المباشرة العالم ابوبكر محمد بن عبدالله المعافري الأندلسي والذي قال عنه بن بسكول في كتاب الصلة: (هو الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر ائمتها وحفاظها)

بدأ عالمنا رحلته الى المشرق سنة خمس وثمانين وأربعمائه زار بغداد مرين، وصحب الإمام الغزالي أشهر فقهاء الشافعية في عصره والمتوفى سنة خمس وخمسمائة للهجرة والشيخ الفقيه ابابكر الساسي الذي تولى تدريس النظامية بعد الإمام الغزالي، وغيرها من علماء بغداد وأدبائها، ثم عاد الى الأندلس سنة ثلاث وتسعين وأربعمائه، ويقول ابن بشكول: (انه قدم إلى اشبيلية بعلم كثير لم يدخل أحد قبله بمثله مما كانت له رحلة إلى المشرق)

ان ابا بكر المعافري الأندلسي يؤكد هو الآخر على اصالة الصلات التي كانت قائمة بين الأندلس وبغداد والافادة من تلك الصلات من أجل تطوير العلم وازدهار الآداب والفنون، كما يؤكد على أهمية تلك العلاقات بين الأندلس والعربية والمشرق العربي وتبادل المعلومات والخبرات وذلك وابع الحق هو الطريق الأصوب لوجده السقافة والفكر ونوفى المعافري بالعدوه ودفن في فاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للهجرة.

وانتشرت كتب الأندلسيين في بغداد كما انتشرت كتب البغاددة، فقد انتشرت كتب المفسرين والمحدثين وكبار العلماء من بغداد أمثال الرازي وابن سينا والغزالي / وكتب الأدباء والمؤرخين والجغرافيين والمتصوفة وسائر فروع العلم والمعرفة، كما انتشرت كتب الأندلسيين، وتعرف البغداديون على الكثير من المؤلفات والنتاجات العلمية والأدبية لعلماء وأدباء الأندلس ولعل أشهر الكتب التي تداولها الناس في بغداد لتقاربها من أدوافهم وحبانهم وتراثهم كتاب العقد الفريد لابن عبدربه الذي أفرد في كتابه هذا الشيء الكبير من أدب المسارفة وجمع فيه من فنون الأخبار وروائع الحكايات وباسلوب أدبي رفيع مما جعل أهل بغداد يقبلون على قراءة الكتاب والتعرف على ما فيه من الأدب الرفيع والفن الذي يستهوى عامة الناس. ومن الغريب أن هذا الكتاب الذي يحكي في معظمه عن أدب وأخبار المشارقة مقتبسا ذلك من علماء بغداد أمثال الأصمعي والشعبي وابن قتيبة والمحاظ وغيرهم مما يدل على الارتباط وقوة الصلات الثقافية بين بغداد والأندلس، وكما كان لكتاب الأغاني دوره الكبير في نقل تراث بغداد الى الأندلس نجد كتاب العقد الفريد بظهر نتاج الأندلس على أهل بغداد ليتعرف

العلماء والأدباء والمثقفون وعادة الناس على الجهود الثقافية لعلماء العرب والمسلمين في بغداد والأندلس.

ولعل من أبرز العوامل التي ساعدت على تطوير العلاقات الثقافية ونعيمتها تشجيع الخلفاء والأمراء والحكام على طلب العلم وتيسيره، وإن المؤسسات الدينية والعلمية مثل المساجد والربط والخانقاهات المنتشرة في العالم الإسلامي كانت عوامل مساعدة للرحالة العلماء والأدباء في اتخاذ تلك المراكز آمنة للاستراحة والإقامة.

والإطعام لأولئك العلماء ومن يطالع كتب الرحلات يجد أخباراً مفيدة عن تلك الأمكنة وما كانت تقدمه من تسهيلات كبيرة للرحالة العلماء. كما كانت المدارس الإسلامية التي تأسست في مشرق وبغداد وبخاصة، كان لها دورها العظيم في استقطاب العلماء والمثقفين، فإن تلك المدارس كانت تستقبل العلماء وتسهل لهم عملية إكمال تعليمهم وتوفير الإقامة الكريمة لهم. وهناك أسماء عديدة من العلماء من مختلف العالم الإسلامي جاؤا إلى بغداد ودخلوا مدارسها كالنظامية والمستنصرية وعاشوا فيها منتهلين من علوم تلك المدارس ومتعربين على مجتمع بغداد وتقاليد وعادات الناس ومن ثم يعودون إلى أوطانهم والكثير منهم صار لهم شأن كبير في التاريخ.

هذه لقطات حية من تراث العلاقات الثقافية التي كانت قائمة بين بغداد والأندلس في العصر العباسي والتي نبرز دور العلم والعلماء في حياة المجتمع وثقوة الروابط بين العرب والمسلمين في عصر كانت فيه وسائل النقل في غاية التخلف ولكنها كانت صفحة مشرقة من صفحات الكفاح من أجل تحقيق الأهداف النبيلة التي تستهدفها العلم وسطلبها رجاله الكرماء.

د . حسين أمين



محنة الحاج العربي لبحارة وصادرها

خلال العصور الإسلامية الوسطى

بحث مقدم إلى مؤتمر الدراسات التاريخية

لشرك الجزيرة العربية

للفترة من ٢١ - ٢٧ آذار ١٩٧٧

الدوحة - قطر

بمقدم

الدكتور بسير إبراهيم أحمد

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية الآداب - جامعة البصرة



الخلفية التاريخية لمنطقة الخليج العربي في عالم التجارة

لم تكن أهمية الخليج الاقتصادية مقتصرة على الحاضر بل انها تمتد الى أعماق التاريخ القدم للمنطقة. فالمسوح الآشورية والبابلية تحدثنا عن عظمة وأهمية هذه المنطقة في العلاقات التجارية مع الدولتين الآشورية والبابلية اللتين تعتبران من الدول الكبرى في تاريخنا القدم، وعن طرق هذه الصلات التجارية تحصل تلك الدول على منتجات وبضائع الخليج من أحجار نيمية ونحاس ورمصاص وحديد وبخور ولؤلؤ ومسك ونور، وكل ما هو ضروري للتطور الحضاري الذي شهده العراق خلال تلك الفترات.

وفي المتحف العراقي ببغداد نماذج من قوارب شراعية معمولة من الفخار نذكرنا بتلك التي كانت تمر عبر باب مياه الخليج، كما أن هناك إشكالا آخر من تلك القوارب والسفن الملائمة للتجارة الخارجية، وهي بدورها تعكس الحركة التجارية الفعالة للمنطقة في التاريخ القديم^(١).

وهناك نصوص ترجع الى فترات مختلفة كفترة السلالة الثالثة لسرجون الاكدي وبعض الاشور من أسال سنحاريب واشور بانيبال يلفي الضوء الواضح على مثانة العلائق التجارية بينهم وبين مناطق الخليج العربي المختلفة^(٢). وفي كتاب التجارة الخارجية للفترة البابلية القديمة^(٣) نصوص قديمة عن استيراد النحاس والعاج والأحجار النيمية والتمور سواء كانت من انتاج مناطق الخليج العربي المختلفة أو بضائع مستوردة من بلدان أخرى الى منطقة الخليج.

ومما لا شك فيه أن نشاط العلائق التجارية في المنطقة يرجع بالدرجة الأولى الى الاستقرار السياسي الملحوظ الذي شهدته المنطقة خلال فترة هيمنة الدولتين الآشورية والبابلية على أجزاء واسعة من الشرق. يضاف إلى ذلك الحاجة الى استيراد المواد والبضائع نتيجة للتحويلات والنفقات الحضارية التي شهدتها هاتان الامبراطوريتان.

(١) نظره: Leemans ; Foreign TRADE IN Old Babylonian Period (1960) P. 2, 4, 5

طه ناهر: مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ص ٤٣٨ - ٤٤٠

(٢) Leemans, op. cit. P. 2, 121

Phillips; History of oman (1964) PP. 1 - 8

كذلك طه ناهر: علائق بلاد الرافدين بجزيره العرب، مجله سومر المجلد ٥ ج ٢ (١٩٤٩) ص ١٣٣ - ١٣٦

أريد القول أن هذه العوامل مجتمعة أدت إلى انعاش ملحوظ للمسطقة عموماً كما أدت إلى بروز عدد من المراكز والمدن احتلت مواقع تجارية واستراتيجية هامة واستفادت من هذا التطور الاقتصادي فأخذت تنمو بسرعة وذاعت شهرتها من أمثال منطقة (دلمون) أو نلمون و (مكان) أو (مغان) أو (مجان).

ودلمون حسب ما اتفقت أقوال المختصين بالتاريخ القديم هي البحرين الحالية وكانت تعد من الأسواق العالمية المشهورة في عالم التجارة إذ كانت تجلب إليها البضائع المختلفة من إفريقيا والهند فضلاً عما تصدره من قمر جيدة ولؤلؤ وأحجار ثمينة ونحاس ومواد غذائية. وفي هذه المنطقة اشتهرت مدينة (جرها) أو الجرعاء في حقل التجارة، ويقول فؤاد جميل أن سكانها كانوا أغنى سكان العالم القديم ويرجع فضل ذلك إلى التجارة، فهم كانوا يصدرون البخور بكرة إلى بابل وكانت البخور من البضائع التجارية الهامة^(٣).

ويحدثنا المختصون أن معان أو مجان هي عمان الحالية التي لعبت دوراً «فعالاً» في الحركة التجارية القديمة بما تصدره من لؤلؤ وعاج وأحجار ثمينة، ونذكر ليمانز أن شهرتها مبانيه باعتبارها مصدراً «رئيساً» للنحاس^(٤).

استمرت أهمية الخليج العربي التجارية والاقتصادية بشكل بارز وفعال حتى مجيء الأخمينيين وتصارعهم مع اليونان حول السيطرة على مناطق نفوذ لهم مما أدى بدوره إلى حالة من الارتباك والقلق السياسي في المنطقة بشكل عام وهذا بدوره شكل خطراً «جسيمياً» على النشاطات التجارية وتجاره الخليج خاصة ويبدو أن الخطوط التجارية خلال فترة القلق السياسي هذه قد تحولت من الخليج إلى البحر الأحمر، لكن هذا التحول لا يعني بآية حال موت الحركة التجارية في منطقة الخليج، وتتضح هذه الأهمية في المخطط الذي رسمه الاسكندر المقدوني إذ أنه على الرغم من وضوح هدفه السياسي في السيطرة على السرق والوصول إلى الهند لكنه إنما أراد أيضاً السيطرة على منابع التجارة التي كانت خاضعة آنذاك للتجار العرب، وبذلك فإنه أراد أن يضم المنطقة كي بوجه ضربة إلى السيادة العربية على التجارة العالمية

(٣) فؤاد جميل: الخليج العربي في مدونات المؤرخين والبلدانيين الاقدمين مجلة سومر مجلد ١٩٦٦/٢٢ ص ٥٢، ٥٤. محمد أمين واصف: الجرعاء أو الجرعة، مجلة لغة العرب ج ٧ (السنة الرابعة) ص ٤١٧ - ٤١٩، صفحه من تاريخ الخليج العربي، مجلة لغة العرب (السنة الثانية) ج ١ ص ١٢٥

(٤) Leemans, op. cit P 2

ويتجلى ذلك في تأسيسه المدن التي لها صفات وسمات تجارية^(٥)، وكانت منطقة الخليج العربي من المناطق البارزة في هذا المخطط

غير أن الصراع الفارسي البيزنطي السياسي هو الآخر يعد عاملاً من عوامل اضعاف النشاطات التجارية في منطقة الخليج العربي، ومن الممكن القول انه بعد أن تم اكتشاف الرياح الموسمية والوصول الى الهند دون وساطة التجار العرب انكشفت مكانة الخليج التجارية الى حد ملحوظ، وانتعشت الطرق التجارية على البحر الأحمر.

ومع هذا فان دور التاجر العربي في نقل التجارات عبر الخليج العربي ثم الى منطقة البحر المتوسط ظل مستمرا، فكانت مراكز أمثال يتلوس، وجرها، وغيرها تمثل مراكز تجارية هامة، ففي جرها عثرت بعثة تنقيبية على بقايا لقبور تعكس الى حد كبير مكانة تلك المدينة^(٦).

وقد جاء الفتح العربي الإسلامي للمنطقة بتطورات بالغة الأهمية ليس فقط على الصعيدين الديني والسياسي بل وكذلك على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، فقد استطاعت الجيوش الإسلامية خلال فترة خلافة أبي بكر (رض) أن تدمر حركة الردة التي شهدها ساحل الخليج العربي الغربي وبذلك أخضعت سيطرتها للدولة الإسلامية، وقد لعبت بعض القبائل العربية في منطقة الخليج كقبيلة عبد القيس وبكر بن وائل دورا «بارزا» في المشاركة في فتوح العراق، وقد تم للعرب السيطرة على منطقة الخليج زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) هذا من الجانب السياسي.

أما من الجانب الاقتصادي والتجاري، فان منطقة الخليج العربي ظلت تشهد مرحلة انكماش واضحة، وان الفعاليه التجارية كانت متمثلة بالطرق التي تمر عبر البحر الأحمر الى البحر المتوسط سواء كانت بحرية أو برية عبر مكة الى منطقة البحر المتوسط وقد يرجع السبب الى أن موقع السلطة المركزية السياسي كان في المدينة ومكة خلال فترة الخلفاء الراشدين ثم في

(٥) انظر أسد رستم : تاريخ اليونان ص ٣١، ارنولد ولسن : الخليج العربي (ترجمه د. عبدالقادر يوسف) الكويت ص

(٦) جريه يتلوس وار دوس : مجله لغة العرب (السنه الرابعه) ج ٧ ص ٤٢٠، رزوى عيسى. فيوزغريه، لغة العرب

بلاد الشام زمن الأمويين، وكان لهذا الموقع السياسي أثر واضح في تركيز العلاقات التجارية ووجهتها.

فالعلاقات التجارية اتجهت صوب هذه المنطقة ثم نحو الغرب. ولكن منطقتي الخليج العربي شهدت للمرة الثانية تحولا واضحا في مكانتها التجارية، ودورها في عالم التجارة والاقتصاد برز بعد أن استقرت الدولة العربية الإسلامية واخضعت المناطق المختلفة الواسعة تحت سلطانها في زمن العباسيين. ان العباسيين كما هو معروف اتخذوا بغداد عاصمة لمملكتهم، وانهم شجعوا التجارة والاستيراد نتيجة للتحويلات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العربي.

ولهذا فان اتجاه العباسيين نحو استيراد البضائع والمواد تلبية للاحتياجات الكبيرة للبلاط والطبقة الغنية من جهة والتطور الحضاري والعمراني الواضح من جهة ثانية ساعد على نشاط الحركة التجارية ونسابة العلاقات التجارية ليس مع المدن العراقية فقط بل ومع أقطار الخليج والعالم الخارجي أيضا. ان مجرد تصفح للكتيب المنسوب للجاحظ «التبصر بالتجارة» يربط سعة العمليات التجارية وضخامتها فقد كانت تأتي إلى بغداد مواد وبضائع لا تحصى من الهند والصين وإفريقيا ومصر والحجاز واليمن والغرب. فمن الهند كان يؤتى بالتمور على اختلاف أنواعها والفيلة والياقوت، ومن الصين المنسوجات الحريرية والتوابل والخبر وأواني الذهب والفضة ومن الجزيرة العربية الخيول، ومن اليمن الجلود المدبوغة والروائح والصمغ والبن أما ماء الورد والمفروشات الكتانية فكان مصدرها بلاد فارس ومن عمان وساحل الخليج اللؤلؤ^(٧).

وقد أخذت العمليات التجارية المتعلقة بالمصارف ونشاط مركز التجار واسع علاقاتهم، وذلك بالتبادل البضائعي يسير سيرا «سريعا» بمرور الزمن، وعلى الرغم من أن المجال هنا لا

(٧) كتاب التبصر بالتجارة المنسوب للجاحظ في مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد ١٢ (١٩٣٢)، ص ٣٢٦ - ٣٥١ وعن انتشار الخليج في عالم التجارة زمن العباسيين انظر كتاب التبصر بالمعاصرة المنسوب للجاحظ في مجلة المجمع العلمي العربي، مجلد ١٢ (١٩٣٢)، ص ٣٢٦ - ٣٥١؛ المقدمي: احسن لتقسيم في معرفة الأقاليم ص ١٣٨، ٤٠٥؛ جورج فضل حوراني.

العرب والملاح في المحيط الهندي (ترجمة د. عقوب بكر) ص ١٧٣، ١٧٤؛ ارولد ويلسون. الخليج العربي ص ١٢١ - ١٢٣

د. عبدالعزيز الدوري. تاريخ العراق الاقتصادي

Thompson; Economic and Social history of the Middle Ages (1928) P. 355.

تتعلق بهذا الأمر إلا أنه من الممكن القول بأن منطقة الخليج العربي شهدت طفرات وفترات واسعة في تشابك العلاقات التجارية مع الخارج لاستيراد الحرير والعاج والروائع والأخشاب والعبيد والذهب والفضة من أجزاء مختلفة من الامبراطورية الاسلامية.

ان الباحث في العلاقات التجارية الخاصة بأقطار الخليج العربي يجد بأن هناك العديد من الكتابات التي توضح عمق تلك العلاقة ومثانتها، إذ انه عن طرق البصرة مثلا كانت بغداد تتصل بالبحرين بحرًا «وبرا»، وكذلك تتصل بالهامه عن الطريق البري، وبعمان عن طريق البر والبحر أيضا «فضلا» عن الطرق البرية والبحرية الاخر التي توصل بغداد بالحجاز واليمن ولاجزاء الجنوبية والغربية الأخرى من الجزيرة العربية^(٨).

لقد استمرت هذه النهضة التجارية في منطقة الخليج العربي خلال فروع متعددة وحتى القرن الحادى عشر والثاني عشر للميلاد تقريباً.

فكانت الحصيلة المهمة التي تولدت من جراء هذا التطور استعادة المراكز التي كانت تتمتع في الماضي القديم زمن الآشوريين والبابليين من أهميتها ومكانتها وسمعتها التجارية، فضلاً عن ظهور مراكز ومدن أخرى برزت بسبب وقوعها على الطرق التجارية الآتية من الهند والصين وإفريقيا الى بغداد، أهمها مدينة البصرة فخر الخليج ومدينة هجر وصحار ودبا ودارين ونزوة... الخ.

ولم يقتصر دور هذه المراكز التجارية والمدن على ما تقوم به كمناطق ترانزيت لنقل المواد والبضائع وأخذ الضرائب على السفن المارة بها، بل تعدته الى مرحلة المشاركة الفعلية في انتاج المواد التجارية وفي خلق العديد من التجار العرب الذين ساهموا مساهمة فعالة في العملية التجارية، أو عن طريق ما تنتجه من انتاجات اقتصادية زراعية أو صناعية، أو عن طريق النشاطات التجارية التي قامت بها.

ان هذه النهضة التجارية الكبيرة التي تولدت نتيجة للاستقرار السياسي والحاجة الماسة

(٨) ابن حزم المسالك والممالك ص ٢١، ٣٥، ٣٨. الاصلطخري، الأعالي (١٨٣٩) ص ١٥؛ ابن الفقيه الهمداني. البلدان (لیدن) ص ٣٠؛ ابن رسته: الاعلاق النيسة ص ١٨٠، ١٨٤؛ ابن خردادبه: المسالك والممالك ص ١٥١. وعد الطرق بين البصرة وأقطار الخليج العربي د. عبدالمجيد ناجي: البصرة وأقطار الخليج العربي مجله الخليج العربي، جامعة البصرة ١٩٧٣ ص ١٤٣.

الى الاستيراد ولدفع الحركة الحضارية والعمرائية التي تشهد لها المنطقة أعادب منطقة الخليج الى أهميتها السابقة العديمة وهيأت مجالات فكريا وعلميا «واسع» يتمثل بالاسارات والنصوص والكتابات المركزة على منطقة الخليج العربي وأهم المراكز والمدن الواقعة عليه، وهي في حقيقتها تمثل مصدرا «رئيس» للتحديث عن مكانه هذه المنطقة وسماها الاقتصادية.

مصادرنا عن مكانة الخليج العربي التجارية

ان أكثر ما يواجهه الباحث في التاريخ الاقتصادي للفترة الاسلامية في العصور الوسيطة ان كان في العراق أو في منطقة الخليج العربي على السواء مشكلة رئيسة تتمثل بقلّة الوثائق على عكس ما هو موجود من وثائق عن الفترة التاريخية الحديثة والمعاصرة بل وعلى العكس مما هو موجود من وثائق البردى ووثائق الجنيزة في مصر خلال العصور الاسلامية الوسطى، تلك الوثائق التي امتدت زمنيا حتى فترات تاريخية إسلامية مبكرة، والتي من نتائجها انها غيرت وابنت العديد من الأمور التاريخية في الكتب التاريخية المعروفة^(٩).

ومع هذا كله فان هناك عددا من وثائق الجنيزة قد تعدت حدود مصر فسملت المعلومات التي وردت فيها مراكز خليجية كالبحر والبحرين مثلا.

والمعروف ان وثائق الجنيزة هذه عبارة عن وسائل متبادلة بين التجار المسلمين واليهود في أجزاء مختلفة من الامبراطورية بشأن الأعمال التجارية، وانها حفظت حمايه لاسم الله تعالى من التلف أو الضرر. وهي كما درسها واختص بها البروفسور كوتتاين (Goitein) تتناول قضايا متعددة أهمها النواحي التجارية والاقتصادية كتسمية البضائع التي يحتاجها التجار في كل منطقة يتاجرون بها، أو أنواع ومقادير الضرائب المفروضة على التجارات والمصاعب التي يواجهها التجار في تنقلاتهم وغيرها من المواضيع الاقتصادية^(١٠).

Bernard Lewis, sources for the Economic

(٩) انظر

History of Middle East in Islam in history (London) 1973) P. 83.

(١٠) عن هذه الوثائق انظر

Goitein ; studies In Islamic history and institutions (1966) P. 238 ; idem the Commercial mail service in Medieval Islam, in JAOS (1964) idem article (Geniza) in EI. (2) idem Commercial and family partnerships in the countries of medieval Islam, in IS (Islamic studies) 1964 P.



ولكن القليل من هذه الوثائق متعلق كما قلت أعلاه بمنطقة الخليج وهي تحتاج الى جمع وتصنيف وترتيب ودراسة كي يمكن الاستفادة منها.

فهناك بضعة رسائل صدرت من عدد من الشخصيات في الخليج العربي وعدن الى اخوان لهم في القاهرة والهند بشأن أمور تتعلق بمشاركتهم التجارية وبارسال بعض البضائع كالكاפור أو المواد الأخر^(١١).

والى جانب وثائق الجنيزة القليلة هذه فان وثيقة أخرى تشير الى مكانة التجار في منطقة الخليج العربي والتي احتواها كتاب السجلات المستنصرية، وهي عبارة عن الرسائل التي كان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يرسلها الى دعائه في شتى الأرجاء لأمر تتعلق بالدعوة الاسماعيلية ولكنها في نفس الوقت تعكس لنا أوضاعها أهميتها في هذا المجال. ففي رسالة ترجع الى سنة ٤٨١ هـ ورد ما يلي: «ثم شفعت بذلك بما اعتمده المعروف باسماعيل ابن ابراهيم الداعي كان بهمان من التخلي عن الخدمة والركان في طلب التجارة»^(١٢).

وفي هذا الصدد يمكننا ذكر كلمة عن مصدر آخر لم تستكمل الاستفادة منه على الوجه الأكمل بالرغم من استمرار العمل فيه ذلك هو نتائج التنقيبات الأثرية في منطقة الخليج العربي. والمعروف أن العلماء الأثريين قد أفادوا الى درجة كبيرة من النتائج المهمة التي تحققت بفعل التنقيبات التي جرت وتجري في مناطق مختلفة من الخليج بالنسبة للتاريخ القديم للمنطقة. فالبعثة التنقيبية العراقية التي قامت بتنقيبات في مستوطن الدريحانية في امانة رأس الخيمة في دولة الامارات العربية المتحدة قد عثرت على فخاريات ملونة ومخززة ومزججة، وعلى أواني معدنية ونحاسية وعلى مجموعة من المسكوكات تقدر بمائتي مسكوكة بينها أربعة فضية والباقي نحاسية.

كما عثرت البعثة التنقيبية العراقية التي زاولت تنقيباتها في اقليم عجمان واقليم المنامة،

(١١) انظر

S. shaked; A tentative bibliograpy of Geniza documents (1964) P. 78, 102, 106, 117,

(١٢) السجلات المستنصرية (تحقيق عبد المنعم ماجد) (١٩٥٤) ص ١٦٨

واقليم مصفوت على فخاريات وابر ومسكوكات^(١٣).

كما تمت تنقيبات أثرية في كاظمة في الكويت. وفي البحرين تم العثور على فخاريات وابر ترجع - كما يرى الأستاذ جيفرى بببي (Bibby) في كتابه (Looking for Dilmun)^(١٤) - إلى القرن الثاني عشر للميلاد.

وهناك اثار آخر وجدت في موضع (كلوا) ترجع الى القرن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد. هذه النتائج مجتمعة تحتاج الى دراسة وبحث لكونها تمثل صفحات مشرفة من تراث هذه المنطقة وبذلك يصبح من الميسور الاستفادة منها في الكتابة عن تاريخ المنطقة الاقتصادية. فالنقود مثلاً «تعد مصدراً حيوياً ومهما» لكل باحث في التاريخ الاقتصادي لأية منطقة فهي تعكس أمورا هامة تتصل بالحياة التجارية والوضع الاقتصادي لمنطقة الخليج العربي وسعة العلاقات التجارية مع الأقطار الأخرى... كما أن دراسة قطع الفخار والأواني المعدنية والزجاجيات تمثل بدورها قطاعاً «اقتصادياً» واضحاً متمثلاً بالصناعات الموجودة في المنطقة. إن أبرز مثال عن شمولية الاستفادة من الملقى والاثار الناتجة عن التنقيبات، ما تم العثور عليه في البحرين. فلقد عثر على مجموعة من القبور القديمة وخاصة في مدينة جرّها أو الجرعاء حيث استطاع الباحثون في التاريخ القديم لهذه المدينة أن يستنتجوا من هذه المكتشفات أمورا تتعلق برفاهية المدينة وغانها وكثرة الذهب والمعادن فيها وبأنها سوق تجارية مشهورة^(١٥).

وإذا ما كان استغلال الباحثين للوثائق وأثار التنقيبات في مجمل دراساتهم عن الحياة الحضارية والاقتصادية قليلاً لمنطقة الخليج العربي فانهم بالمقابل قد استفادوا فائدة غير قليلة من الأعمال المجيدة والتأليف الكثيرة التي ألفها الكتاب المسلمون القدامى.

(١٣) ربيع القيس : تحريات وتنقيبات أثرية في دولة الامارات العربية المتحدة (الخليج العربي)، منير يوسف طه: تنقيبات في مستوطن الدريمانية في امانة رأس الخيمة/ دولة الامارات العربية المتحدة، في مجلة سومر مجلد ١، ٢،

مجلد ٣١ ص ٢٨٣ - ٣٠٩، ص ٧٥ - ١٥٥

(١٤) انظر J. Bibby; looking for Dilmun (1969) P. 107

(١٥) رزوق عيسى : قبور غربية قديمة، مجلة لغة العرب، السنة الثانية ج ٧ ص ٢٧٤



والحمد لله فان المكتبة العربية غنية بأمثال هذه التأليف سواء كانت تاريخية أو أدبية أو جغرافية أو كتب رحلات كتبها مؤرخون عرب مشهورون ولم يكن هدفهم التحدث عن اقليم من الأقاليم أو جزء من الامبراطورية الاسلامية دون غيره من الأجزاء وإنما كان هدفهم التحدث عن أجزاء الامبراطورية عموماً «بصورة متساوية وبمنهج متماثل تقريباً». وبالتأكيد فقد توفرت لنا معلومات كثيرة خاصة بمنطقة الخليج العربي من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فالمؤرخون الرواد من أمثال أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٨٩٢/٢٧٩ وأحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى ٨٩٧/٢٨٤ وخليفة بن خياط المتوفى ٢٤٠ هـ/٨٥٤ والطبري المتوفى ٩٢٢/٣١٠ ومسكويه المتوفى ١٠٣٠/٤٢١ وصاحب كتاب العيون والحدايق وابن الجوزي المتوفى ١٢٠٠/٥٩٧ وابن الأثير المتوفى ١٢٣٢/٦٣٠ ويوسف بن يعقوب ابن المجاور المتوفى ١٢٩١/٦٩٠، وسليل بن رازق وغيرهم من المؤرخين، يقدمون لنا صوراً سياسية متفرقة عن الأحداث التي شهدتها الدولة الإسلامية عبر قرون بعضهم يذكرونها حسب السنوات. فالباحث في التاريخ السياسي للبحرين أو عمان أو العراق مثلاً «يجد بالتأكيد أخباراً» ومعلومات متناسقة الى حد كبير في تلك المؤلفات الضخمة، ومع هذا كله فان فائدتها قليلة عن الوضع التجاري والاقتصادي للخليج العربي خلال العصر الوسيط أو عن المكانة الاقتصادية للمراكز التجارية الواقعة على الخليج من أمثال البصرة والبحرين وعمان. غير أن هذا لا يعنى بأية حال خلوت تلك المصادر التاريخية من أية إشارة مفيدة عن تلك الأمور إذ أن هناك روايات غير قليلة عن بعض الأحداث السياسية ولكنها تلقي بصورة غير مباشرة أضواء مختلفة عن أمور اقتصادية مختلفة من أمثال:

فرض انواع من الضرائب أو الغائتها، وارتفاع وارد أية منطقة أو انخفاضه، والوضع المالي للدولة، والوضع النقدي، ومدى تشجيع الدولة للتجار أو بالعكس مدى الاساءة اليهم والتضييق على نشاطاتهم، وارتفاع أسعار بعض المواد الغذائية أو انخفاضها، وندرة السلع وشحتها أو وفرتها، وذكرهم الجفاف وحوادث الطاعون والفيضانات... الخ والأمثلة عن هذه المواضيع كثيرة منها على سبيل المثال أن اليعقوبي يذكر في تاريخه أن الخليفة العباسي الواثق «فرق على قوم من التجار أموالاً» حمة، وبنى لقوم فاسقط ما كان يؤخذ ممن يرد من بحر الصين

من العشر^(١٦) ويذكر الصابي في كتابه الوزراء، ومسكويه في تجارب الأمم انه في سنة ٣٠١ هـ اطلق الوزير علي بن عيسى «المكس بمكة والتكملة بفارس وسوق بحر بالاهواز وحسن مهدي ونهر السدره».. الخ^(١٧) ويشير ابن الجوزي في سنة ٥٥٥ هـ «اسقطت الضرائب وما كان ينسب الى سوق الخيل والجمال والغنم والبيع في جميع أعمال العراق»^(١٨)

أن شح المعلومات المفصلة المتعلقة بالأوضاع التجارية والاقتصادية في منطقة الخليج العربي لم تقتصر على الكتب التاريخية فقط بل وتعدتها الى الكتب الخاصة بالأمور الأدبية وكتب التراجم. فالهدف الرئيس لمثل هذه الكتب لم يكن مركزا على «الشؤون الاقتصادية وانما على مشاركات الشخصيات الأدبية والعلماء والمفكرين الذين يترجم لهم، وكذلك عن اثارهم ومؤلفاتهم وعن جوانب شتى من حياتهم. ومع كل ذلك فاننا دون شك نجد في أعمال ضخمة ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أو معجم الأدباء لياقوت الحموي، أو في العقد الفريد لابن عبد ربه حكايات ونصوصا تسلط أضواء هامة على بعض الأمور الاقتصادية ويمكن أن تقدم لنا فائدة غير قليلة عن تلك الأمور.

ومن الأمثلة على مدى الاستفادة من هذه الكتب في الكتابة عن التاريخ الاقتصادي ما أشار إليه البروفسور برنارد لويس من [إشارات طريفة] لبعض النصوص الواردة في كتاب الأغاني. ولبعض الأشعار وما تعكسه من جوانب اقتصادية فضلا عن الأحوال الاجتماعية^(١٩). وهناك بالإضافة الى ذلك عدد غير قليل من تلك النصوص في أمثال تلك الكتب الأدبية تفيدنا في موضوع الأحوال الاقتصادية في الخليج العربي منها: يقول الأصفهاني في حديثه عن الرماح الخطية ما يلي ..

«رماح تنسب الى الخط وهي من جزيرة بالبحرين ترفأ اليها سفن الرماح»^(٢٠)

وفي مجال آخر يورد رواية عن تاجر قدم من هجر وكان «يبيع الخمر قدم بها من هجر»^(٢١).

(١٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ليدن ١٨٨٣، ص ٥٩٠

(١٧) الصابي، الوزراء ص ٢٨٥، مسكويه: تجارب الأمم ج ١ ص ٢٨

(١٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ١٩٤

(١٩) Bernard LEWIS: op. cit. P 90

(٢٠) ابو الفرج الأصفهاني: الأغاني (١٩٣٨) ج ١٠ ص ٢٠٣

(٢١) نفس المصدر ج ٦ (١٩٢٥) ص ١٢٨

وفيما يتعلق بهجر أيضا «يقول الأصفهاني أن شخصين أقبلا من البحرين ومعهما» انواط - أي جلل - من تمر هجر»^(٢٢) وفي رواية أخرى يشير الأصفهاني خلال حديثه عن العنبر فيقول «اختير عنبرها من شجر عمان»^(٢٣) ويتحدث البكري في كتابه معجم ما استعجم عن قطر فيقول انها تشتهر بالابل الجياد ويستشهد بقول جرير:

لدى قطريات إذا ما تغولت

بناء البيد غاولن الحزوم القياقيسا

ويذكر أيضا «انها تشتهر بالخرم مستشهدا» بالشعر الاتي :

تذكر ساداتنا أهلهم

وخافوا عمان وخافوا قطر^(٢٤)

ان الاشارات المارة الذكر ربما ليست جديدة كل الجدة إذ اننا نجد أمثالها بالكتب الجغرافية مثلا، لكن المهم ان هذه الاشارات تثبت لنا تلك المعلومات وتعطيها وجهها «مصدريا جديدا».

ومما يجب قوله في هذا المجال أن المعلومات الجيدة والمفصلة الخاصة بالأمور التجارية والاقتصادية لمراكز ومدن الخليج العربي المشهورة تأتي بصورة خاصة من الكتب والمصادر الجغرافية. والحقيقة فان هناك مكتبة جغرافية إسلامية ضخمة يمكننا تصنيفها الى مايلي: مجموعة كتب المسالك والطرق وهي مجموعة من الكتب الفت عن طريق البريد والتجارة والنقل لابد لأى باحث عن التجارة في منطقة الخليج العربي وغيرها من المناطق أن يرجع اليها للتأكد من المسافات بين أجزاء الامبراطورية والطرق التي تربط بينها من أمثال: مسالك الممالك للاصطخرى ومسالك الممالك لابن حوقل ومسالك الممالك لابن خرداذبه ومسالك الممالك للبلخي وغيرها. والمجموعة الثانية هي المعروفة بالكتب الجغرافية الوصفية وهي بدورها تقدم لنا صورا مختلفة عن النشاطات والأحوال التجارية وعن انتاجات المراكز والمدن الواقعة على

(٢٢) نفس المصدر ج ٢ (١٩٢٨) ص ٣٨٩ ج ٣ (١٩٢٩) ص ٥٤

(٢٣) الأغاني ج ١٦ (١٩٦١) ص ٢٥٩

(٢٤) البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا (١٩٤٩) ج ٣ ص ١٠٨٢

الخليج العربي وعن العلاقات التجارية بين هذه المراكز والعالم الخارجى ونتطرق أيضا الى انواع الضرائب والمكوس المفروضة على التجارات ومقاديرها، فضلا عن تناولها لبعض الملامح الاجتماعية كشسمية القبائل العربية القاطنة في الخليج مثلا، ومن بين هذه الكتب كتاب الأقاليم للاصطخرى المتوفى ٩٥٧/٣٤٦ وصورة الأرض لابن حوقل المتوفى ٩٧٧/٣٦٧ والخراج لقدامة بن جعفر وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المتوفى ٩٨٥/٣٧٥ ومروج الذهب ومعاداة الجوهر لأبي الحسن المسعودى المتوفى ٩٥٧/٣٤٦ ومعجم ما استعجم لأبي عبدالله البكري المتوفى ١٠٩٤/٤٨٧ ومعجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى ١٢٢٨/٦٢٦. وهذه المجموعة مهمة لأى باحث عن الأمور الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية بشكل خاص .

أما المجموعة الثالثة فهي المتمثلة بكتب الرحلات، وهي مجموعة لها قيمة عملية كبيرة إذ أن الأوصاف التي تقدم من قبل الرحالة لها من الواقعية والإيجابية، خلال فترة زيارة الرحالة الى هذه المدينة أو تلك، قدر كبير. فملاحظات ومذكرات سليمان التاجر في الرحلة المشهورة برحلة السيرافي عن الطريق التجارى البحرى عبر الخليج العربي الى الهند والصين لها أهميتها في المجال الاقتصادى والتجارى

وملاحظات ناصر خسرو في كتابه سفرنامه عن البحرين خلال أيام القرامطة، والبصرة، لها قيمة علمية وعملية أيضا، وكذلك الحال بالنسبة الى ملاحظات ابن بطوطة عن جزيرة (مصرية) وعن عمان والبحرين والبصرة، والمعلومات الواردة في كتاب الرحالة الصيني (جان جوكوا) المتعلقة بالتجارة العربية الصينية في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، والمعلومات الواردة في كتاب شرف الزمان للمروزي عن الصين والترك والهند.

ولعل من المفيد أن تستشهد بعدد من أقوال كل مجموعة من المجاميع الثلاثة المذكورة أعلاه بالنسبة للحياة الاقتصادية والتجارية في منطقة الخليج العربي فالاصطخرى في المسالك يذكر المسافات فيقول: «بين عبادان والبحرين (١٥) مرحلة وبين البحرين وعمان حوالي الشهر»^(٢٥) ومن ملاحظاته الطريفة عن الطرق يقول ان طريق عمان طريق «يصعب سلوكه في البرية لكثرة القفار بها وقلة السكان وانما طريقهم في البحر الى جدة فان سلكوا على السواحل

(٢٥) الاصطخرى : مسالك المالك ص ٧٩

من مهره وحضرموت الى عدن^(٢٦). ويستمر قائلا «وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتنازع العرب فيما بينهم بها»^(٢٧) ويقول عن طريق عبادان - البحرين «وأما ما بين البحرين وعبادان فغير مسلك وهو قفر والطريق فيها على البحر»^(٢٨).

والاصطخري يفضل الطريق الساحلي بين البصرة والبحرين قائلا «انه يبلغ (١٨) مرحلة» في قبائل العرب ومباهم مسلك عامر غير انه مخوف»^(٢٩) ويكرر ابن حوقل في كتابه المسالك نفس المعلومات السابقة.

والاصطخري اضافة الى تلك المعلومات يقدم لنا أوصافا «بعضها هام فيما يتعلق بالمنطقة فيقول عن (خارك) انها من بين الجزائر التي يضمها البحر»^(٣٠). اى الخليج. وعن جزيرة بني كاوان انها المعروفة بـ (لافت) وبها مدينة^(٣١).

ويقول عن عمان انها «كثيرة النخيل والفواكه الجرمية - اى فواكه المناطق الحارة - من الموز والرمان والنبق. وقصبتها صحار وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب» ويتحدث عن أهمية صحار وعمرائها وغناها^(٣٢). أما عن البحرين فيقول ان مدينتها هجر وهي كثيرة التمور^(٣٣). وابن خرداذبه يذكر الطريق من البصرة الى عمان مع ذكر المحطات والمراكز التي يمر بها المسافرين^(٣٤). وهو في نفس الوقت يقدم لنا معلومات اقتصادية جيدة، اذ يقول أن وارد اليلمة والبحرين كما جاء في سنة ٢٣٧ هـ ٥٠٠.٠٠٠ من العين و ١٠.٠٠٠ دينار وارتفاع عمان ٣٠.٠٠٠ دينار^(٣٥) ويكرر المقدسي نفس المعلومات التي أوردها ابن خرداذبه.

ونشير من المجموعة الثانية الى ابن حوقل في صورة الأرض إذ يقول عن (اوال) في

(٢٦) الاصطخري : الأقاليم ص ١٥، ابن حوقل : المسالك ص ٣٥

(٢٧) الأصخري : الأقاليم ص ١٥، ابن حوقل : صورة الأرض ص ٤٧

(٢٨) الاصطخري الأقاليم ص ٥؛ ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٣٥؛ صورة الأرض ص ٤٧

(٢٩) ابن حوقل : المسالك ص ٣٥

(٣٠) الاصطخري : المسالك ص ٧٠

(٣١) ن . م . ص ٧٠

(٣٢) ن . م . ص ٢٣

(٣٣) ن . م . ص ٢٧

(٣٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٦٠، ١٩٣

(٣٥) ن . م . ص ٢٤٩، ٢٥١. المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٠٥

البحرين انها «جزيرة لأبي سعيد بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف الى ما يصل اليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة»^(٣٦). وعن جزيرة (خارك) يقول ابن حوقل انها تقع مقابل جنابة «وبه موضع اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير إلا أن النادر إذا وقع من هذا المكان فاق في القيمة، ويقال ان الدرة اليتيمة وقعت من هذا المعدن»^(٣٧).

ويذكر أيضا «قوله .

«بعان وبسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ»^(٣٨).

وابن الفقيه الهمداني يذكر في كتابه البلدان نقلا «عن رحلة سليمان التاجر عن الرحلة من البصرة الى عمان في سفن تسمى بالسفن الصينية فيقول «فاذا عبى المتاع استعذبوا الماء الى موضع يقال له مسقط وهو آخر عمان... وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بنى الضفاق وجزيرة ابن كاوان...»^(٣٩).

ويشارك ابن الحائك الهمداني في كتابه وصف جزيرة العرب بوصف البحرين ومدنة القطيف فيقول عنها انها «سوق بني محارب من عبدالقيس ومنازلها مادار بها من قرى البحرين فالقطيف موضع نخل وقرية عظيمة الشأن وهي ساحل»^(٤٠) وهناك معلومات مهمة في كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي منها انه تكلم عن اللؤلؤ فيقول «المعادن اللؤلؤ في هذا الاقليم بحدود حجر يغاص عليه في البحر بازاء اوال وجزيرة خارك...»^(٤١) فيتحدث عن البحرين فيقول انها كثيرة النخيل وعامرة وهي معدن البحر^(٤٢). أما عن مدينة صحار بعان فيقول انها قصبة عمان «ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه عامر أهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات... اسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر... دهليز الصين

(٣٦) ابن حوقل : صورة الأرض (بيروت) ص ٣٣

(٣٧) ن . م . ص ٥٢

(٣٨) ن . م . ص ٥٢

(٣٩) ابن الفقيه الهمداني : البلدان (١٨٨٥) ص ١١

(٤٠) الهمداني : وصف جزيرة العرب، تحقيق الأكرع (١٩٧٤) السعودية، ص ٢٧٩ - ٢٨٠

(٤١) المقدسي : المصدر السابق ص ١٠١

(٤٢) ن . م . ص ٩٣ - ٩٤

وخزانة الشرق والعراق ومغونة اليمن» (٤٣).

وللبكرى في معجم ما استعجم أقوال كثيرة عن قرى ومدن الخليج العربى ومنها انه يقول عن دارون أو دارين بأنها مرفأ سفن الهند يأبىها أنواع الطيب فيقال مسك دارين وطيب دارين وفيها غمر (٤٤).

ويسير الى قطر بأنها بين البحرين وعمان واليهما تنسب الابل الجياد (٤٥). وأخيراً قال لابد من الاستسهاد ببعض ما قاله ياقوت الحموى وأبو الفداء في تقويم البلدان عن بعض مراكز الخليج العربى فيقول عن الاحساء انها بلدة ذات نخل كثير (٤٦). والقطيف على خط البحر وفيها مغاص اللؤلؤ وفيها نخيل أيضاً.

«وللقطيف خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة» (٤٧) ويكرر ما سبق قوله المقدسي عن صحار، ويذكر مسقط بقوله انها من نواحي عمان مما يلي اليمن على ساحل البحر (٤٨) وعن (دبا) في عمان يقول انها مدينة قديمة مشهورة وتعتبر سوقاً من اسواق العرب (٤٩).

وبسير ابو الفداء الى ظفار فيقول انها مدينة على ساحل خور... ولا تخرج المراكب من ظفار في هذا الخور والا يريح البر... وظفار قاعدة بلاد الشحر ويوجد في أراضيها كثير من نبات الهند مثل النارجيل» (٥٠).

ومن المجموعة الثالثة والأخيرة نذكر رحلة سليمان التاجر الذى يصف الطريق من سيراف الى مصر فيقول «ومراكب أهل سيراف إذا وصلت في هذا البحر المقيما من عن بحر الهند فصارت الى جدة أقامت بها وثقل ما فيها من الأمتعة التى تحمل الى مصر فى مراكب

(٤٣) ن . م . ص ٩٢ - ٩٣

(٤٤) البكرى : معجم ما استعجم ج ٢ ص ٥٣٩

(٤٥) ن . م . ج ٣ ص ١٠٨٢

(٤٦) ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٩

(٤٧) ن . م . ص ٩٩

(٤٨) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٢٩

(٤٩) ن . م . ج ٣ ص ٣٦٩

(٥٠) ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٣





لقد جاءت الحملة الضارية على السنة النبوية كجزء من خطة واسعة من مخطط التغريب والغزو الفكري الواسع المركز الذي يستهدف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والشرعية الإسلامية والقرآن الكريم والذي كشفت عنه مخططات التبشير منذ أكثر من قرن من الزمان، وقد جُنِّد له عدد ضخم من خصوم الإسلام من المستشرقين ومن دعاة التغريب وأتباع مدارس الإرساليات في المشرق في محاولة بائسة لتدمير هذه المنابع الأصيلة من الفكر الإسلامي وخاصة في مجال العقائد والقيم الأساسية التي قام عليها المجتمع الإسلامي.

«لقد جند الاستعمار بعض المستشرقين - كما يقول الدكتور مصطفى السباعي - لتسميم هذا المنبع الروحي، فنصبوا الفخ باسم البحث العلمي والتفكير الحر، وجاء نفر فوقعوا في الفخ، وراحوا بروجون بضاعة الغزاة، إما عن جهل بحقيقة التراث الإسلامي، أو عن انخداع بالأسلوب العلمي المزعوم، وإما عن رغبة في الظهور بمظهر التحرر العقلي وشجاعة الرأي، وإما عن انحراف فكري ووجداني بتأثير الاستهواء».

ويشير الباحثون في هذا المجال إلى أن الحملة على السنة كانت قديمة، وأن الذين جددوها من المستشرقين ودعاة التغريب لم يزدوا عن أن أعادوا ترديد الشبهات القديمة التي رددتها المجوسية والشعوبية ودعاة التأويل والتسبيح والمتاجرون بالشبهات والمفتريات من قديم.

إن هدف الغزو الفكري وحركة التغريب هي هدم مفهوم الإسلام الصحيح الجامع المترابط من القرآن والسنة؛ بين النص القرآني المنزل، وبين السنة التي يتمثل فيها التطبيق العملي من حيث عمل الرسول وبيانه وتفصيل لما أجمل، وتوضيح ما بلغ أو تقييد لمطلق، أو تخصيص لعام: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم».

ولقد تعددت جوانب الشبهات المثارة حول الشريعة وحول سيرة الرسول، وحول القرآن، وقد تولى علماء كثيرون دحض هذه الشبهات وكشف زيفها، ثم جاءت في السنوات الأخيرة: تلك الدعوى الزائفة التي تحاول أن تقول «إن القرآن وحده يكفي» وقد دأب قوم في السنوات الأخيرة إلى توجيه الاتهامات إلى مصادر السنة ورجاها.

وقد كتب هذه الأنبياء مستشرقون لهم ولاء سياسي وولاء ديني معارض ومخالف للإسلام وللمسلمين وقد اعتمدوا في ذلك على خيوط جمعوها من فكر المعتزلة وغلاة الشيعة وحكايات

الأدب التي كان مؤلفوها موضع الشبهة في أمرهم وتخريجهم للحقائق، وكانت أبرز معاتلهم هي الاعتماد على كتب النوادر والمحاضرات والحكايات التي لم تؤلف لتأريخ الرجال ولم تصنف للتحقيق العلمي والتي جمعت من المجالس وكانت مادة التفكهة والنسلية. وهذه لا يمكن أن تؤخذ منها الأدلة والشواهد، وقد صدق من قال: ان علم الحديث لا يؤخذ من كتب الفقه وعلم التفسير لا يؤخذ من كتب اللغة لأن لكل علم مصادره التي تعرف منها حقائقه وقضاياها. أما الاعتماد على حياة الحيوان للدميرى، أو ثمار القلوب للثعالبي أو مقامات بديع الزمان للفصل في قضايا السنة فذلك هو التزييف الشديد.

ولقد كانت ظاهرة تسجيل أحاديث القصاص ونوادر المجالس من السعوم الناقعات التي أفسدت العلم الصحيح واعتمد عليها أهل الباطل حتى قال ابن الجوزى: أنه ما أمارت العلم إلا القصاص وللسيوطي كتابه «تخدير الخواص من أكاذيب القصاص» وقد أورد منه فصلا في إنكار العلماء على القصاص ما أورده من أباطيل.

وحين تراجع تلك الشبهات المثارة حول السنة فيما أورده محمود أبو ريه أو حول السريعة الإسلامية فيما أورده علي عبدالرازق، نجد واضحا أن النصوص كلها المعتمد عليها مستمدة من كتب الروايات، ونوادر المجالس، لا من كتب السنة أو الفقه. وذلك هو المنهج العلمي الذي قدمه المستشرقون وأتباعهم لتزييف المفاهيم الأساسية والأصيلة بالاعتماد على كتب ألف ليلة والأغاني وغيرها من كتب الشعوبيين واعتبارها مراجع لمضاهاة العلم الصحيح، وإثارة الشبهات في وجه الحقائق العلمية الأصيلة ونحن نجد أن كل الذين حملوا لواء الشبهات حول السنة النبوية قد اعتمدوا على مصدر أساسي هو كتاب جولدسيهر (العقيدة والشريعة في الإسلام) الذي ترجم وطبع بتوجيه الدكتور طه حسين إبان إشرافه على دار الكتاب المصري اليهودية، وقد نقل أحمد أمين كثيرا من شبهات عن الحديث النبوى في كتابه فجر الإسلام وضحاها كما نقل عنه الدكتور علي حسن عبدالقادر في كتابه نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي.

وقد رددت هذه الشبهات كتب عدة: منها جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن.. الإسلامي، وإبراهيم اليازجي في كتابه حضارة الإسلام في السلام وفيليب حتى في كتابه (تاريخ العرب) المطول وردد هذه الأفكار كتاب دائرة المعارف الإسلامية، وكارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ومؤلف كتاب السيادة الغربية وكريم في كتابه الحضارة الإسلامية.

ولا ريب أن هذه المؤلفات كلها تحمل أهواء الاستسراق والغزو الفكري في محاولة انتفاض السنة النبوية، إلى جانب الشريعة والقرآن وتاريخ الرسول والفكر الإسلامي كله، ولا ريب أن دعوتها إلى إثارة الشبهات حول الحديث النبوي والدعوة إلى الاكتفاء بالنص القرآني عمل خطير، هو محاولة للفصل بين النص والتطبيق، والتطبيق في الإسلام أخطر الجوانب وأهمها: هذا التطبيق المتمثل في «الاسلوب الذي أتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في تنفيذ النص القرآني، ومن هنا فإن النص القرآني وحده لا يكفي المسلمين اليوم، ولا يحقق لهم إسلاماً حقيقياً، هذا فضلاً عن أن السنة جزء من القرآن بنص القرآن «ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» فهذا البيان الذي يفسر للناس ويطبق، هو بإقرار القرآن نفسه جزءاً أساسياً وحين يراجع الباحث كتابات المستشرقين يجد أن موقفهم من السنة هو جزء من موقفهم من القرآن وسيرة الرسول تماماً، فإن السنة هي جزء من حياة الرسول، وهي تفسير القرآن، فلا بد أن تناهها الشبهات وتصل إليها السموم وعوامل التزييف. يقول العالم الفرنسي المسلم: اتيان دينيه: انه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته، وقد صرح في مقدمته كتابه (تاريخ حياة سيدنا محمد)، انه من المتعذر بل من المستحيل أن يتحرر المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة، وانه من أجل ذلك قد بلغ تحريف بعضهم لسيرة محمد صلى الله عليه وسلم مبلغاً غطى على الواقع وأخفى الصورة الحقيقية وذلك بالرغم مما يزعمه المستشرقون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي المحايد، وقد عرض اتيان دينيه لكثير من اتهاماتهم للنبي ورد عليها واتخذ من (لامنس) مثالا واضحا على صحة ما ذهب إليه وحكم به.

تتركز شكوك المستشرقين في السنة حول تأخر تدوين الحديث فهم يرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث وفي وضع أحاديث لخدمة أغراضهم.

يردد هذا جولدزيهر ودوزي وسبرنجر

وقد شك جولد زيهر في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول، راميا من وراء ذلك إلى أضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور وهو يرمى أيضا إلى وصم السنة.... (أو أغلبها) بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين وهو يزعم أن هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق هواهم، ويرى سبرنجر في كتابه (الحديث عند العرب) ان الشروع في

التدوين وقع في القرن الهجري الثاني وإن السنة انتقلت بطريق المسافهة، أما دوزي فهو ينكر نسبة هامة (التركة المجهولة) كما يسميها من الأحاديث إلى الرسول.

وقد رد عليهم كثير من الباحثين المسلمين داحضين هذه الأهواء الموهغة في الحقد والخصومة، رد عليهم مصطفى السباعي، وأبو الحسن الندوي وصبحي الصالح وعسرات

أولاً - ما أورده الدكتور مصطفى السباعي حين قال :

حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله ونقله، وحرص رجال التابعين وتابعي التابعين من بعدهم على نقل هذا الحديث وجمعه وتنقيته من سوائب التحريف والتزويد وما قام به علماء السنة من جهود جبارة في تتبع الكذابين والوضاعين وفضح نواباهم ودخائلهم وبيان ما زادوه في السنة من أحاديث مكذوبة حتى جمعت السنة في كتب صحيحة وأسبعها النقاد بحفا وتحصيصاً ثم خرجوا من ذلك إلى الاعتراف بصحتها والتسليم بها، إذا أمعنت النظر في ذلك كله أيفنت أن هؤلاء المستشرقين يتخبطون في أودية الأوهام وأنهم متأثرون بأوهامهم وعينهم بكبير من الحقائق وخضوعاً إلى الهوى والبغض.

ثانياً - ما أشار إليه السيد أبو الحسن الندوي من أن الصحابة بدأوا في تدوين الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت هناك مجموعات من الأحاديث لعدد من الصحابة منها الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص، وكان لعلي بن أبي طالب صحيفة وكان لأنس ولعبد الله بن عباس وعبد الله بن منصور وجابر بن عبد الله لكل منهم صحيفة، وهناك صحيفة همام بن منبه، فإذا جمعت هذه الصحف والمجاميع كونت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في الجوامع والمسانيد والسنن في القرن الثالث، وقد تحقق أن المجموع الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه ونسخه من غير نظام وترتيب في عصر الرسول وفي عصر الصحابة وقد شاع في الناس حتى المبغين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا في القرن الثالث الهجري... وأحسنهم حالاً من يرى أنه كتب في القرن الثاني وما تشاهد هذا الغلط إلا عن طريقين: -

الأول : أن عامة المؤرخين مضطرون إلى ذكر مدوني الحديث في القرن الثاني ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع لني كتبت في القرن الأول لأن عامتها ففدت أو ضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة.

الثانى : أن المحدثينذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور أن يكون في هذه المجاميع الصغيرة التى كتبت في القرن الأول مع أن عدد الأحاديث الصحاح غير المنكرة المتحررة من المتابعات لا يزال قليلا فحدثت (انما الأعمال بالنيات) مثلا يروى من سبعائة طرق فلو جردنا مجاميع الأحاديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث، فالجامع الصحيح للبخارى لا تزيد الأحاديث التى رويت بالسند الصحيح فيه عن ألفين وسبعمائة وحديثين وأحاديث مسلم يبلغ عددها أربعة آلاف حديث ومعظم هذه النورة الحديثية قد كتب ودون بأقلام رواة العصر الأول وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة ونحصر في العصر النبوى وفي عصر الصحابة على عشرة آلاف حديث إذا جمعت صحف ومجاميع أبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك وجابر بن عبدالله وعلي وابن عباس.

وبذلك يمكن أن يقال: أن ما ثبت من الأحاديث الصحاح وما احتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون في عصر الصحابة قبل أن يدون (الموطأ) و (الصحاح) بكثير.

وكانت الخطوة التالية أن قام المحدثون فنقبوا في البلاد في البحث عن الروايات.. المختلفة والأسانيد الصحيحة وكان لهم في ذلك هيام وغرام لم يعرف عن أمة من الأمم للعلم في التاريخ يدل على ذلك بعض الدلالة ما يروى عن المحدثين من التجول في البلاد والسفر في العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ولم يقتصروا على جمع الحديث وتدوينه بل تعدت عنايتهم إلى الوسائط التى وقعت في رواية الحديث وهم الرواة الذين روى هذه الأحاديث فعنوا بمعرفتهم ومعرفه أسانيدهم وأسماء آبائهم وحوادث حياتهم وأخلاقهم ومكانتهم في الأمانة والصدق والحفظ، وهكذا ظهر علم أسماء الرجال إلى الوجود وكان مفاخر هذه الأمة التى لا يشاركها فيها أمة من الأمم كما قال الدكتور اسبرنجر في مقدمته على كتاب الاصابة: وكان هؤلاء المحدثون أقوىاء وعلى جانب عظيم من الصبر والجلد واحتمال المشاق وقوة الذاكرة وكانت عندهم نهامة للعلم وحرص زائد على اقتباسه والتقاطه من موضعه.

وهكذا نجد أن الشبهة التى اعتمدوا عليها في مهاجمة السنه كانت فاسدة ومضللة ولم تكن لها أى أساس علمي أو تاريخي.

ولعل من الخرافات التي جرى وراءها المستشرقون وأتباعهم فرحين بأنهم البسطوا شيئا ما، هو ما أطلقوا عليه (معراج ابن عباس) والكتاب مكذوب، لا تداوله إلا عامة الناس، وليس له سند يربطه به، ولا روايه ترقى إليه وقد احتفل به المستشرقون به ببين لهم زيفه.

ولقد عرف عن هؤلاء المستشرقين طابع التحامل الواضح وتزييف النصوص، في محاولة دعم شبهاتهم، ومن أقوى الأمثلة على ذلك: أن جولد زيهرف عرف عبارة الإمام الزهري «أن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث» إلى لفظ (على كتابة أحاديث) فضلا عن إتهامه الإمام الزهري بأنه واضع حديث فضل المسجد الأقصى إرضاء لعبد الملك بن مروان ضد ابن الزبير، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سبع سنوات من مقتل الزبير.

أما القول الذي يتردد على ألسنة أصحاب الشبهات مثل قولهم :
«لنرجع إلى القرآن الكريم ولكن يجب ألا نجعل من أنفسنا منعبدن للسنة فإن هذا القول، كما بقول - العلامة محمد أسد (ليوبولد فاليس) يكشف بكل بساطه عن جهل بالإسلام، أن الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلا يريد أن يدخل قطرا ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب ويتساءل: هل هناك مبرر علمي لرفض الحديث على أنه مصدر يستند إليه الشرع الإسلامي ثم يجيب: انه على الرغم من جميع الجهود التي بذلت في سبيل تحدى الحديث على أنه نظام ما، فإن أولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا أن يدعوا انتقادهم العاطفي الحاصل بنتائج من البحث العلمي، لأن الجامعين لكتب الحديث الأول، خصوصا الإمامين البخاري ومسلم، وقد قاموا بكل ما في طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضا أشد كثيرا من الذي يلجأ إليه المؤرخون الأوروبيون عادة عند النظر في مصادر التاريخ القديم ويكفي أن نقول أنه نشأ من ذلك «علم تام الفروع» غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول وشكلها وطريقة روايتها. وأن رفض الأحاديث الصحيحة جملة واحدة أو أقساما ليس حتى اليوم إلا قضية ذوق، وإن السبب الذي يجعل على مثل هذا الموقف من المعارضه بين كثيرين من المسلمين المعاصرين يمكن تتبعه إلى مصدره، أن السبب يرجع إلى استحالة الجمع بين طريقة حياتنا وتفكيرنا الحاضرة المتقهقرة وبين روح الإسلام الصحيح. ولكي يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم، فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة، لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما

يشاؤون على أوجه من التفكير السطحي أى حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو. ولكن تلك المنزلة الممتازة التي للإسلام على أنه نظام خلقي وعملي ونظام شخصي واجتماعي تنتهي بهذه الطريقة الى التهاافت والاندثار، وان الذين خلبتهم المدنية الغربية لا يجدون مخرجا من مأزقهم إلا برفض السنة على أنها غير واجبة الاتباع بين المسلمين، ذلك لأنها قائمة على أحاديث لا يوثق بها، وبذلك يصح تحريف تعاليم القرآن الكريم لكي تظهر موافقة لروح المدنية الغربية أكثر سهولة».

وهذا هو الخطر الكامن وراء مهاجمة السنة وإثارة الشبهة حول الحديث النبوي.

لا مشاحة أن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن باعتباره... عقيدة وباعتباره تسريعا وباعتباره أخلاقا وقد أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في قوله الشريف: (ألا اني أونيت القرآن ومثله معه)، ألا يوشك رجل شعبان على أريكته بقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله).

وقد كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن: قال الإمام الشافعي: «وسنن رسول الله مع كتابه وجهان: أحدهما نص كتاب ما تبعه رسول الله كما أنزل القرآن، والآخر جملة ما بين رسول الله فيها عن الله معنى ما أراده بالجملة، وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا، وكيف أراد أن يأتي به العباد وكلاهما انبع فيه كتاب الله.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين للناس القرآن عقيدة وشريعة وأخلاقا على وجوه شتى وعلى أنحاء مختلفة وعلى أساليب متعددة، يبين لهم ذلك بسلوكه ويقوله وبأقراراته يقول: ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرنكم به ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه.

وقد علم النبي الناس بثلاث طرق : تعليله الشفوية التي هي أقواله، وسلوكه الشخصي الذي هو أعماله وسكونه الذي يعني موافقته الحكيمة على أفعال غيره من الناس، يقول الدكتور محمد عبدالله دراز: ان الأحاديث النبوية مربطة في الإسلام بالقرآن كما ترتبط قوانين

الدولة بدستورها، فالقرآن يأمرنا بالرجوع مباشرة للحديث النبوي لأخذ التعليمات المفصلة منه فيما يتعلق بأكبر فرضين أساسيين: الصلاة والزكاة (الصلاة واجبتنا بحاج الله والزكاة بحاج مجتمعنا) والقرآن يقر السنة ويمنحها حق إيضاح فرائض القرآن العامة والتعريف بها ولولا السنة لظلت النصوص القرآنية غير مفهومة ولبقيت مجمله.

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود: كان بيان رسول الله يشتمل على بيان ما أحمل في كتاب الله أحمل القرآن الصلاة والزكاة والحج وفصلها رسول الله. بين ما فرض من الصلوات ومواقيتها وسننها وعدد ركعاتها، والزكاة ومواقيتها وكيف عمل الحج والعمرة، كان يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله: صلوا كما رأيتموني أصلي وفي الحج: خذوا عني مناسككم وفرض الله سبحانه الزكاة ولم يبين مقاديرها ولم يذكر بالتفصيل الزروع والنهار والأموال التي تحجب فيها وقد بينت السنة أن القاتل لا يرث وأن الوصية لا تكون في أكثر من الثلث وأن الدين يوم على الوصية.

ومما يروى أن عمران بن حصين قال لرجل يزيد أن يقتصر على القرآن دون السنة: انك امرؤ أحمق، أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا.

وقد أشار القرآن إلى مكانة السنة وإلى أهمية رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفصيل ما أحمل القرآن وذلك في آيات بينات:

- ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .
- ما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا .
- وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول .
- من يطع الرسول فقد أطاع الله .
- لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.
- الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بأمهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الجبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويقول الدكتور عبد الجليل سلمي: ان الآية الكريمة: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم).

بدل على أن من وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوضح للناس الأحكام التي نزلت اليهم في القرآن الكريم وكان لابد أن يفعل رسول الله وإلا لم يكن مبلغاً من عند الله. وقد كان هذا البيان بالقول والعمل معاً. فالسنة إذن مرجع التشريع الكامل وبيانها الموضح كما أن السنة جزء مكمل للقرآن وهي من عند الله تبارك وتعالى كما أن القرآن من عنده.

وقد أشار الأئمة الأعلام إلى أنه لا يرى قول لأمام من أئمة المذاهب في القرنين الثاني والثالث إلا وقد سبقه إليه صحابي أو تابعي، وإن مكانه السنة النبوية والحديث من التشريع الإسلامية لا تخفى وأنها في الفقه الإسلامي منذ عصر النبي والصحابة حتى عصور الاجتهاد.. واستمرار المذاهب وأن من يطلع على القرآن والسنة يجد أن للسنة الأثر الأكبر في اتساع دائرة التشريع الإسلامي وعظمته وخلوده، هذا التشريع العظيم الذي بهر أنظار علماء القانون في جميع أنحاء العالم هو ما حمل وبحمل أجداء الإسلام في الماضي والحاضر على مهاجمة السنة والتشكيك في صحتها وروايتها من أعلام الصحابة.

هذا وبالله التوفيق . . .

«أنور الجندي»





الرأي العام في صد الإسلام

معانيه وبواكيره واتجاهاته

الدكتور عادل محي الدين الألوسي

مدرس في كلية التربية
جامعة بغداد



تعريف الرأي العام

الرأي العام ظاهرة اجتماعية ونابجيه تتكون من تفاعل الفرد بالمجتمع^(١)، يخضع لعامل الوراثة، كما يخضع لعامل التغير والتطور^(٢)، فالزمن يعمل على تنامي قوته وتبلور مفاهيمه، كما أن الظلم الاجتماعي والشعور به، يخلقان فيه قابليه التأثير المباشر والتغير الوري، وما التغيرات والتحويلات التي مرت بها الحضارة الإنسانية إلا أدلة واضحة لتلك القابليه التي عليها الرأي العام.

ومع أن الزمن يشكل عاملاً مهماً في تكوين الرأي العام، سواء ما يتعلق منه بفهم الماضي أو الوقوف على تطوراته في الحاضر أو استشراف أبعاده في المستقبل، فإن هناك مؤثرات خارجية تعرف بالحوادث الجديدة ترتبط بمتغيرات الحياة والسلوك وبروز ظاهرة القادة لها نصيب بذكر في بلورة الرأي العام^(٣). وهذا يعني أن الرأي العام ننبت في ظرف ووقت معينين وقد يستمر متوارثاً مع سي من التحوير والتطور والتبدل إنسانيه في ذلك تسام الحياة الإنسانية

أن وقوع أية جماعة من الناس تحت ظروف موضوعية متشابهة أو متقاربة، تولد لديها رأياً عاماً له صفة الغلبة على أي رأي آخر وله قابلية التطور والحركة وفاعليه التغير الاجتماعي إذا ما اتخذ موقفاً معيناً. والتاريخ حافل بالأدلة التي تعزز قولي هذا، فسوء أوضاع العرب قبيل الإسلام في ظل القبيله والوثنية خلقت رأياً ناقماً ورافضاً لذلك الواقع، ومثحفراً ومتهيباً وقادراً في نفس الوقت لقبول حالة جديدة من الانبعاث القومي تتمثل في رسالة الإسلام وشخصية الرسول العربي (صلى الله عليه وسلم)، وبذلك تمازجت عوامل القدرة في الأمة مع الظواهر السلبية لتكوين أرضيه صالحة لانبعاث وقبول الإسلام^(٤).

(١) جوفان دجور جفس : «الرأي العام في النظام الاشتراكي»، ترجمة صادق الاسود

بغداد ، ١٩٧٠ ص ٤٦

(٢) حسين عبدالقادر «الرأي العام والدعوه وحرية الصحافة» الطبعة الأولى لرساله ١٩٥٧، ص ١٦

(٣) سيروب . «علم النفس الاجتماعي»، ترجمه حافظ الجمالي ج ١، دمشق ١٩٦٠، ص ١٨٨

(٤) صدام حسين : رئيس الجمهوريه العراقيه

«حول كتابة التاريخ»، نص المحدث في الاجتماع الموسع لمكتب الاعلام

القومي بتاريخ ١٩٧٧/١٢/١

كما أن الأوضاع الفاسدة التي عاشتها فرنسا إبان القرن الثامن عشر الميلادي وما رافق ذلك من وعي جماهيري متحسس لتلك الأوضاع، خلقت رأيا عاما ساخطاً وبوريا أطح بالملكية والافطاع.

معنى الرأي العام في الإسلام

يرجع الاهتمام بالرأي العام، بمفهومه الحديث، الى القرن الثامن عشر الميلادي^(٥)، وعلى وجه الدقة إلى عهد الثورة الفرنسية ونمو الحركات الشعبية والأدبيات المرتبطة بها^(٦).

وما صار إليه من قوة وتأثير في ظل التجمعات السكانية الكبيرة في المدن بعد الثورة الصناعية، وما رافقها من تطور اجتماعي وتقدم علمي وتكنولوجي^(٧).

ومع أن الفكر السياسي والاجتماعي قد عرفه بمفاهيم مختلفة كإرادة الأمة ومشية الشعب والروح العامة وصوت الشعب وروح الشعب^(٨) حسب مصطلحات هذا العصر فإن المسلمين الأوائل قد عبروا عنه بمصطلحات عدة ذات طابع فقهي^(٩)، سأتي على ذكر بعضها بشيء من الإيجاز:

أ/ الإجماع : وهو في اللغة العزم^(١٠)، ومنه قوله تعالى «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ» أي اعزموا عليه، ومن معانيه «الاتفاق»^(١١) وهذا المعنى الأخير هو الذي يهمننا لأنه لا نعتقد إلا من اثنين فما فوقهما، فهو متعلق باتفاق الجماعة على أمر ما والذي يعبر عنه في الوقت الحاضر بالرأي الجامع (General Opinion) والاجماع تبعاً لزمته يقسم إلى نوعين: (١٢) إجماع الصدر الأول الذي لا

(٥) فؤاد دياب «الرأي العام وطرق قياسه» القاهرة ١٩٦٢، ص ١٤

(٦) الفريد شوقي «الرأي العام» ترجمه كسروان سندياق، بيروت ١٩٦٦، ص ٥

(٧) مختار النهامي «الرأي العام والحرب النفسية» مصر، ط ١ ١٩٦٧ ص ١٩

(٨) سعد الدين خضر «الرأي العام وقوى التحرك» الموصل ط ١، ١٩٦٨ ص ١٥

(٩) محمد عبدالرؤوف هسي «الرأي العام في الإسلام» مصر ١٩٦٦ ص ١٥ وللمزيد من التفاصيل بشأن هذه

المصطلحات يمكن مراجعة رسالتي في الماجستير، بغداد ١٩٧٣

(١٠) الرازي : مختار الصحاح، بولاق ط ٤، ص ١١٠

(١١) سورة يونس : الآية ٧١

(١٢) الفيروزآبادي «القاموس المحيط» مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٢، ج ٣ ص ١٥

(١٣). وكيع الفاضي «أخبار القضاء» تصحيح عبدالعزيز المرغني، القاهرة ١٩٤٧، ج ١ ص ١٤٣

يستند على نص فهو إجماع ولكنه ليس حجة شرعية، وإجماع متأخر يستند على نص، وقد انتهر بين الناس على انه حجة شرعية.

ان فكرة الاجماع في الإسلام مستمدة من نظام الشورى الذي فرضه الإسلام على أولى الأمر مخافة أن يستبدوا بأنفسهم في إدارة شؤون المسلمين، وهم في ذلك يستندون إلى قوله تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»^(١٤).
وقوله: «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ»^(١٥).

ومع اختلاف المذاهب في تفسير حقيقة الاجماع، فان «مذهب الجمهور»^(١٦) الذي جاء به الطبري مرادفاً للاجماع يعتبر من أقرب التعريفات إلى مفهوم الرأي العام السائد، ذلك انه قد أكد على أساسين يحددان الرأي العام، أولهما: تشابه الظروف الموضوعية التي تعيشها الجماعة والتي تولد رأياً عاماً كلياً يطبع هذه الجماعة وهو ما عناه بمذهب الجمهور. وثانيهما: أخذه بمبدأ التطور الاجتماعي الذي يعني أن الرأي العام يتحدد وفق المفاهيم السائدة في المجتمع فما يعتبر إجماعاً في مجتمع من المجتمعات قد لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر وهو ما عناه باجماع أهل كل عصر. أخذ به أكثر أهل السنة واعتبروه حجة شرعية، في حين قلل الشيعة الامامية من أهميته ومن قيمته كمصدر للعلم الديني^(١٧).

ب / الاجتهاد أو الرأي : وهو الاعتماد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية، ومن الفهاء من يضيف إليه القياس والاستحسان ويجمعها في معنى واحد^(١٨). استعمله الصحابة في الوقائع التي لم يرد فيها نص شرعي، ثم توسعت دائرته لاحقاً، حتى أصبح مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي عند معظم المذاهب الفقهية^(١٩)، وبخاصة الحنفية التي اعتبرته مصدراً رابعاً بعد القرآن والسنة والاجماع^(٢٠).

(١٤) سورة آل عمران ٣ . الآية ١٥٩

(١٥) سورة السورى : الآية ٣٨

(١٦) مصطفى عبدالرازق - «عهد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصر، مطبعة النهضة، ١٩٥٧، ص ١٧٢

(١٧) ابن عثمان الحياط «الانتصار» تحقيق سرج، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥ ص ١٧٢

(١٨) الأمدى « لأحكام في اصول الأحكام» سر محمد البيلاوى ، مصر ١٩١٤، ص ٢ - ١٥٨ وقد أوضح فيه كل ما يتعلق بالقياس من أقسام وأسايد ومسائل

(١٩) دائره معارف الإسلامية، ص ٤٣٥ ، مادة «اجتهاد» .

(٢٠) ابن خلدون ، «المقدمة» دار احياء التراث بيروت ، ص ٤٤٦

ج / القياس : يرادف الاجتهاد ، فقد سئل الشافعي: ما القياس أهو اجتهاد أم هما مفترقان؟ قال هما اسمان لمعنى واحد»^(٢١) فزرع اليه الخلفاء والصحابه في الحالات التي لم يرد فيها نص من القرآن والسنة^(٢٢). معتمدين في ذلك على قوله تعالى: «فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»^(٢٣) وعلى حديث رسول الله (ص) لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن، قال له: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: اقضي بكتاب الله، فإن لم أجد فبسنة رسول الله، فإن لم أجد اجتهد برأي ولا آلو، فضرب الرسول صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله^(٢٤).

ومع أن غالبية المذاهب الإسلامية قد أخذت به بدرجات متفاوتة فإن الشيعة وأهل الحديث قد أنكروه واعتبروه ضلالاً^(٢٥).

د / الاستحسان : هو في اللغة استفعال من الحُسن^(٢٦)، وهو كالرأي يعتمد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية^(٢٧)، احتج به الحنفية والحنابلة والمالكية والزيدية وأنكره الشافعية^(٢٨)، ورفضه الشيعة الإمامية لأنه قائم على القياس^(٢٩). وقد استند دعائه إلى قوله تعالى: «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ»^(٣٠) وقوله: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

(٢١) الشافعي «رسالة في أصول الفقه» مطبعة السعادة بمصر ص ١، ١٩٠٣، ص ٦٦

(٢٢) عبد المتعال الصعيدي «في ميدان الاجتهاد» دار الميراث بمصر بلا، ص ٢٥

(٢٣) سورة الحشر ٥٩، الآية ٢

(٢٤) الماوردي «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» مصر، ط ١، ١٩٦٠، ص ٦٧ أيضاً «الملل والنحل» للشهرستاني، في ١، ص ١٨١

(٢٥) ابن تيمية «منهاج السنة النبوية في نفص كلام الشيعة الفدريه» تحقيق محمد رساد سالم، مطبعة المدني بمصر، ١٩٦٢، ج ٢ ص ٣٧٣

أيضاً الأحكام في أصول الأحكام للآمدي ج ٤ ص ٦٣، ومقالات الاسلاميين للأسعري ج ١، ص ١١٩ وفي عنبره ضلالاً اعتمدوا على قول (ص) ٢ «تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله ثم تعمل بسنة رسوله ثم تعمل بالرأي فإذا عملوا بالرأي ضلوا وأضلوا» الجامع الصغير في أحاديث البشير للسيوطي ج ١ ص ١٣٢

(٢٦) الأحكام في أصول الأحكام، ج ٤ ص ٢١٠

(٢٧) مصطفى عبدالرازق، ص ١٣٧

(٢٨) المحيدري «أصول الاستنباط» بغداد ١٩٥٩، ص ٢٦٤

(٢٩) محمد ابو زهره «الإمام الصادق» مطبعة نجيب بلا ص ٥٢٨

(٣٠) سورة الزمر ٣٩ : الآية ٥٥

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» ، وقول (ص): «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»^(٣٢). وقد برع به فقهاء العراق أصحاب مدرسة الرأي باعتباره ضرب من ضروب الحكم الشخصي بذهب بالمسألة إلى أصل خاص أو عام يرى فيه المجتهد انفاقاً وواقع الحال، وفضلوه على القياس كما بقول محمد بن الحسن الذي يأتي بعد أبي حنيفة في مدرسة الرأي: «استحسن وادع القياس»^(٣٣) لأن قياس مسألة على حكم سابق قد لا يحقق حلاً مقبولاً لهذه المسألة في ظرفها الأني.

هـ / الاستصلاح أو المصالح المرسلة : في اللغة استصلح شيء وجد فيه صلاحاً وهو نقيض استفسد^(٣٤). وفي الشريعة الإسلامية يعني: الحكم في مسألة لا حكم فيها بما يخدم مصلحة الجماعة ومنافعها، ويؤمن حاجاتها ومتطلباتها، فهو بالاضافة الى كونه أحد مصادر التشريع الإسلامي، فإنه أيضاً عامل من عوامل ديمومة الدين ومسايرته لموكب التطور، يقابله في الوقت الحاضر «الصالح العام» و«مقتضيات المصلحة العامة»^(٣٥).

وفي تاريخنا الإسلامي، تطبيقات كثيرة لهذا المبدأ، فمن ذلك موقف أبي بكر المتشدد من حروب الردة باعتباره استصلاحاً يخدم مصلحة الدين وجماعة المسلمين^(٣٦)، وما استحدثه عمر بن الخطاب، عندما اسقط حق المؤلفه فلوبيهم في الصدقات لأن الإسلام لم يعد يهاب جانبهم^(٣٧)، مع أنه تسريع سهاوي منصوص عليه في القرآن الكريم^(٣٨).

اعترف به الحنفية والمالكية ورفضه الشافعية، وأنكره الشيعة إلا إذا صدر من الإمام المعصوم^(٣٩) (في نظرهم) لأن الأئمة غير معصومين وليس هناك من البشر من هو معصوم إلا الأنبياء عليهم السلام.

(٣١) سورة الزمر ٣٩ : ١٨

(٣٢) على عبدالرازق «الاجماع في الشريعة الإسلامية» دار الفكر العربي بمصر ١٩٤٧، ص ٣٤

(٣٣) الحضري: تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٢٠٠

(٣٤) القاموس المحط، ج ١ ص ٢٤٣

(٣٥) حسين عبدالقادر، ص ٣٥

(٣٦) مقدمة لابن خلدون ص ٢٠٣

(٣٧) أحمد أمين «فجر الإسلام» مصر ١٩٥٥، ص ٢٣٨

(٣٨) كما في الآية ٦٠ من سورة التوبة «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة فلوبيهم....»

(٣٩) منهاج السنة النبوية، ج ٢، ص ٣٧٩

بواكيره قبيل الإسلام

لم يكن الرأي العام في الإسلام، وليد فترة زمنية محددة، بل إن بعض صوره لا تخلو من ملامح قومية تعارف عليها العرب قبل الإسلام^(٤٠)، ولذلك فإن المنطق العلمي يشير على الباحث في موضوع كهذا، أن يدرس المجتمع العربي عموماً والمجتمع المكي منه على وجه الخصوص، على افتراض أن المجتمع العربي في صدر الإسلام امتداد للمجتمع العربي السابق له^(٤١)، فكما أن الإسلام دحض سلبيات العرب الأول فإنه أكثر على الفطرة الخيرة التي جُبل هؤلاء العرب عليها كالصدق والكرم والسجاعة^(٤٢) وما إلى ذلك من صفات وخصال حميدة لازلتنا نتمسك بها ونحرص على بقائها.

تعتبر القبيلة الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع العربي قبل الإسلام، ووفق مفاهيم القبيلة وعاداتها وتقاليدها تتحدد أفكار الفرد العربي وتصرفاته وتطلعاته وبالتالي آراؤه التي ابتليت بشعور الجماعة وذوبان الشخصية، ذلك أن المجتمع العربي القديم أسوة بالمجتمعات البدوية كانت وحدته الأساسية هي الجماعة لا الفرد^(٤٣)، فهو يشعر بأهميته وعزته مادام في كنف قبيلته وخارجها يشعر بالضعف إلى حد الضياع، وبالغربة إلى حد النبذ، وبالخوف إلى حد الخطر، ولذلك ارتبط العربي قبل الإسلام بقبيلته ارتباطاً تكاد تكون مصيرياً.

تبلور الرأي العام العربي قبيل الإسلام من خلال بعض المؤسسات القبلية كمجلس الملاء أو مجلس شورى القبيلة المتكون من رؤساء الأقسام، والاسر المحتلين لقبائلهم، كدار الندوة التي اتخذت مركزاً يجتمع فيه شيوخ قريش^(٤٤)، وهذا الرأي يتجسد بطريقة اختيار السيد أو رئيس القبيلة، كما يتجسد في حرص شيخ القبيلة على الابتعاد عن مظاهر الاستبداد ودأبه على

(٤٠) فجر الإسلام، ص ٨٠

(٤١) الفرد جيوم «الإسلام» ترجمة محمد مصطفى، مصر ط ١، ١٩٥٨، ص ٥ - ٦

(٤٢) فجر الإسلام، ص ٣٨

(٤٣) د. فيد سانتلان «القانون والمجتمع» بحث ضمنى «تراث الإسلام» ترجمه فتح له جرجيس الموصل ١٩٥٤ ج ١

ص ٣

(٤٤) سعد طلس «عصر الانشقاق» بيروت ١٩٥٧، ص ١٢٨

استشارة مجلس القبيلة كصورة مبسطة للشورى التي أصبحت مبدأً شرعياً في الإسلام^(٤٥).

ويعتبر الشعراء والخطباء والحكماء قادة الرأي العام المعبرين عنه وبخاصة الشعراء منهم الذين كانت لهم اليد الطولى في التعبير عن خلجات وهمسات الناس بشعر جيد وبعضه صادق حقاً لازلنا نستعذب سماعه ولا نمل تكراره، سجلوا فيه حياة القبيلة وعاداتها وتقاليدها ودياناتها وأحاديثها المهمة ولذلك قيل «الشعر ديوان العرب»^(٤٦). واتخذوا من الأسواق الكثيرة والكبيرة التي بلغ عددها العشرة أو يزيد^(٤٧)، مراكز ومنابر لإعلان كل ما له أثر بالجماعة إضافة إلى وظيفتها في البيع والسراء^(٤٨).

لقد كان لازدهار التجارة الداخلية والخارجية في المجتمع المكّي قبل الإسلام، أثر في تعميق التناقضات الاجتماعية التي سغلت الرأي العام العربي آنذاك كانتشار الربا والاحتكار وتجارة العبيد وبالتالي بروز التفاوت الطبقي الذي كان مع بساطته مبعثاً لتذمر المحرومين والفقراء من الناس^(٤٩). إزاء ذلك فإن المجتمع العربي في تلك الفترة لا يخلو من وجود أفكار وتطلعات تعبر عن آراء فردية تخدم مصالح أصحابها في أغلب الأحيان، وآراء ذات صفة جماعية شاركت في التخفيف عن كاهل المبتدئين والمظلومين، ويبرز في هذا المجال حلف الفضول الذي عقد في مكة وشهده الرسول (ص) قبل البعثة واتنى عليه^(٥٠)، كأحد الأمثلة على تلك الأصوات الساخطة التي رفعها الرأي العام القرشي احتجاجاً وانصافاً للمظلومين والغرباء.

تطوره في صدر الإسلام

بمجيء الإسلام كدين سماوي واجتماعي ينتشد الإصلاح على الأرض، تقوض شكل القبيلة والأسرة المعروفين آنذاك، وانمحت الشخصية الفردية والموالات والجماعات المتحالفة^(٥١)، وأصبح

(٤٥) استناداً إلى قوله تعالى «وامرهم شورى بينهم» سورة الشورى : ٣٨

وقوله «وشاورهم في الأمر» سورة آل عمران : ١٩٥٩

(٤٦) فليبي متى «تاريخ العرب المطول» دار الكشاف، بيروت ط ١ ص ١٣١

(٤٧) جواد علي «المفصل في تاريخ العرب» دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١ ج ٧ ص ٣٧١

(٤٨) المصدر السابق نفسه، ص ٣٨٤

(٤٩) احمد عباس صالح «اليمن واليسار في الإسلام» بيروت ١٩٧٢ ص ٢٢

(٥٠) ابن هشام «السيرة النبوية» مصر ١٩٥٥ ج ١ ص ١٣٤

(٥١) سائلا، ص ٣

الفكر الإسلامي لا يعمل إلا في النطاق الذي حدده الدين الجديد المتمثل بالقرآن والسنة ولم قبل المسلمون سلطه أخرى، لذلك كان العرب في صدر الإسلام ينظرون إلى سظموت ومؤسسات الدولة الجديدة بعين الرضى مادامت مطابقة لمبادئ العدالة التي أوجبها الإسلام وبعين السخط والمعارضه لبعض التشريعات الوضعيه التي اقتضتها الضرورة، فقد عرض بعض المسلمين في أمر محاربة المرتدين الذين مانعوا في دفع الزكاة، وحجهم في ذلك قوله (ص): «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^(٥٢)

تأى الخلافة في مقدمه المسائل التي شغلت الرأي لعام الإسلامي منذ وفاة الرسول (ص)، فاجتماع السقيفة وما رافقه من مناورات وأصوات تأييد واستكثار، وامتناع بعض المسلمين عن مبايعة أبي بكر أول الأمر^(٥٣)، وما أعقب هذه البيعة من ارتداد بعض القبائل خارج مكة والمدينة، كل هذه الأمور تسير إلى أن المسلمين على أمر السقيفة قد انقسموا إلى فريقين: الأول يفر بأحقية وشرعية خلافة أبي بكر ويمتله الجمهور الأعظم من المسلمين، والفريق الثاني رفض هذه الخلافة بسكل أو تأخر.

وفي العصر الأموي «ظهرت طريقة أخرى لنسب الخليفة، ومن بعده اطردت، حتى أصبحت عادة، وهي أن يعين الخليفة الحاكم خليفه أو ولي عهد وهذا التعيين في جوهره (العقد) فإن قبل أصبح عقدا، والمراسيم التي يتم فيها العقد تدعى (البيعة)»^(٥٤). ويعبر معاوية بن أبي سفيان أول من استحدث نظام الوراثة في الخلافة عندما عهد بها لابنه يزيد من بعده، وحاول إقناع الرأي العام الإسلامي لاجابة هذا العهد^(٥٥)، فأرسل الوفود إلى الأمصار، واستفتى الفقهاء، ورغب الناس بالحيلة والدهاء. هذه الاجراءات والمستحدثات لم ترف جمهور المسلمين ووجدوا فيها استبداداً يتنافى ومبادئ العدالة والمصلحة العامة.

هكذا نرى أن مسألة الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) وما تلاها من صراعات استهدفت

(٥٢) الجامع الصغير في أحاديث البشير، ج ١ ص ٦٥

(٥٣) فقد زعم ابن فتيه في كتابه الامامة والسياسة، ج ١ ص ١٢، أن الامام علي قد امتنع عن مبايعة أبي بكر الصديق أول الأمر

(٥٤) القانون والمجتمع لسائلا ص ١٧

(٥٥) المسعودي «التبصير والاشراف» دار التراث بيروت ١٩٦٨ ص ٢٦٢

هذه المؤسسة المهمة، وما تبعها من انقسام المسلمين إلى معسكرين، أحدهما شايع عليا، والآخر أند معاوية^(٥٦) وما تلا ذلك من حوادث وثورات ومناظرات فقهية ومذهبية، ولجوء السلطة الأموية إلى مجابهة خصومها السياسيين، جملة هذه الأمور تشكل الخطوط العريضة لاتجاهات الرأي العام الإسلامي طوال العصرين الأموي والعباسي.

اتجاهات الرأي العام في صدر الإسلام

نلخص هذه الاتجاهات على ضوء ما تقدم بما يأتي:

١ - الانقسام السياسي ويتمثل في مدعي النبوة الكذابين وحركة الردة والصراع على الخلافة ابتداءً باجتماع السقيفة حيث برز الخلاف بين بعض من المهاجرين والأنصار والهاشميين، ثم تمثل هذا الانقسام في مجلس الستة بالشورى وما رافقه من انقسامات ومناقشات والفتنة الكبرى وما تمخضت عن أحداث جسام، فحزب الجمل فموقعة صفين والتحكيم.

٢ - الانقسام المذهبي ويتفاوت بين :

أ - النور العارمة على الإمام علي ومعاوية متمثلة في الخوارج^(٥٧) أو على الأمويين فقط في الحركات العلوية^(٥٨) وكذلك نجد القدرية^(٥٩) أو على شكل معارضة فكرة كما في كتابات بعض المفكرين والكتاب كأبن المفضل مثلاً^(٦٠).

ب - وبين نبرته وقبوله متملاً في المرجئة^(٦١)، وروح مذهب الجبر، وإن كان بعض الجبرية قد باروا لأسباب سياسية كالجمعد بن درهم^(٦٢).

(٥٦) محمد ضياء الدين الريس «النظريات السياسية الإسلامية» ١٩٦٠، ص ١٨

(٥٧) الملل والنحل، ق ١ ص ١٠٦

(٥٨) ولهاوزن «الدولة العربية وسقوطها» ترجمة يوسف القس دمشق ١٩٥٦، ص ٥٦

(٥٩) ضحى الإسلام لأحمد أمين، مصر ١٩٥٦ ج ٣ ص ٨١

(٦٠) المصدر السابق نفسه ج ٣، ص ٢٢٨ وما بعدها

(٦١) الملل والنحل ق ١، ص ١٢٥

(٦٢) خالد العلي «جهنم بن صفوان» الارصاد ١٩٦٥ ص ٤٧

ج - وهناك موقف ثالث هو موقف المحايدين ويتمثل في المعتزلة بقولهم المنزلة بين المنزلتين^(٦٣)، الذي يعتبره البعض حياداً سياسياً^(٦٤).

٣ - الانقسام الطبقي : إذ أن الإسلام في التطبيق لم بلغ التفاوت في الملكية بالطرق المشروعة وضمن الحقوق والواجبات اللازمة على ذي المال، حتى أصبح البعض يملك من الذهب والفضة إلى حد التراء الفاحش^(٦٥)، بالإضافة إلى تملك العبيد والاماء والأراضي الزراعية، وهذه الظاهرة أصبحت ملفتة للنظر منذ عهد عثمان^(٦٦)، مما أدى إلى ظهور دعوات تناوئ التملك والتراء الفاحشين، ممثلة في أبي ذر الغفاري وسواه من المسلمين الأتقياء^(٦٧)، إلى جانب حركات الزهد والنورات ذات المضمون الاجتماعي المتطرف.

٤ - الانقسام العنصري أو ما يسمى بحركة الشعوبية والصراع بين الكتاب العرب والأعاجم، وقد اتجهت المناقشات والحركات هذه في اتجاهين: أحدهما ضمن الدين ومن خلال فهم أممي له^(٦٨) والآخر ضده متمثلة في حركات الزنادقة التي ظهرت بدرجات ثلاث:

أ - الاستخفاف بالعبادات الدينية والحركات الاجتماعية

ب - العمل لارجاع الأديان الفارسية المجوسية

ج - الشك بكل دين بمعنى الإلحاد التام وقد غفل هذا في ابن الراوندي كما تذكر المصادر المناوئة له^(٦٩).

٥ - عمومية النظرية السياسية والتشريعية فيما يتعلق بنظام الحكم الذي جاء به القرآن، مما أتاح المجال لظهور اجتهادات وآراء ونظريات حول الحكم متفاوتة غنية بالتفاوت،

(٦٣) البغدادي «اعرف بين لقوم» تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ص ١١٥

(٦٤) نابليو «أصل اشتقاق كلمة المعتزلة» رحمه بدوي ضمن كتاب التراث اليوناني ص ١٩٤٠ ص ١٧٤

(٦٥) طه حسين : الفسحة الكبرى ص ١٠٨

(٦٦) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٩

(٦٧) ليعين واليسار، ص ٦٧

(٦٨) استناداً إلى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إنا خلصناكم من ذكر وأنسى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا أن كرمكم عند الله اتقاكم» سورة الحجرات: ١٣

(٦٩) كما في كتاب «الانصار والرد على ابن الراوندي الملحد» لأبي عمار الخياط

ف نجد دعوة الخوارج للانتخاب الحر المباشر^(٧٠) ونجد في مقابلها الدعوات القائمة على مبدأ الوراثة أو الوصية أو التعيين أو الحكم الفردي، ونجد الأمر نفسه فيما يخص نوع النظام الاقتصادي، فهناك من يذهب إلى ضرورة تحديد الملكية، ومن يذهب إلى عدم التحديد.

هذه المظاهر والسمات والاتجاهات التي برزت في صدر الإسلام كانت الأرضية التي تبلور من خلالها الرأي العام الإسلامي في العصور اللاحقة بكل أشكاله وأنواعه وصوره المتعددة.



(٧٠) فان فلون «السيادة العربية والسيعة والاسرائيليات» ترجمه حسن ابراهيم حسن القاهرة، ١٩٣٣ ص ٦٩



المحكمة العليا في الإسلام
أو
النظر في مظالم الرعية

د/عبد الرزاق علي الأنباري

جامعة بغداد - كلية التربية



(١) المقدمة

لنظام القضائي في الدولة العربية الإسلامية تاريخاً طويلاً حافلاً بالحياة والنضال في سبيل العدل والحق والإنسان. وقد وفق هذا النظام في إرساء أروع القواعد والمبادئ التي تكفل رعاية حقوق الإنسان وصيانة حقوقه وكرامته.

ولسؤال هنا، كيف يطبق العدالة بين الناس؟ لا ريب أن وجود نظام قضائي يفصل في قضايا الناس وخصوماتهم وفق شرع عادل كفيل بتطبيق العدالة وإرساء قواعد أحكامها، ومن هذا النظم وجد عند العرب بعد الإسلام.

في حاضرة الإسلام الأولى (مدينة الرسول) نزلت أول آيات حكم القضاء، قال تعالى:

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (١).

ومنذ نزول هذه الآية صار الرجوع إلى الرسول العظيم في الخصومات والتسليم بحكمه وتنفيذه جزءاً من الإيمان، وهكذا أضفى الرسول العظيم على المبادئ الدينية الصفة القانونية، فأظهر الكيان الرسمي للقضاء (٢)، وانتهت عند ذلك مهمة التحكيم الجاهلي (٣).

بعد الرسول (ص) تابع الخلفاء الراشدون العناية بالقضاء وتطبيق العدالة في الأحكام، وفق الأسس التي وضعها القرآن الكريم، ومن ثم فقد أصبح من أهم خصائص الشرع الإسلامي تنبؤ المحرص على بناء الأحكام وفق قواعد العدل، والنصوص القرآنية والأحداث النبوية متظافرة على التأكيد بأن «العدل قوام السرعة الإسلامي والقضاء جملة وتفصيلاً» (٤).

القضاء هو: فصل الخصومات وقطع المنازعات (٥). وفيل يعني القضاء في بعض معانيه

(١) النساء، ٤/٦٥، وعن الخصومة التي نزلت بسببها هذه الآية يراجع: الزمخشري، الكشاف ١/٥٢٥.

(٢) عن قضاء الرسول العظيم محمد (ص) يراجع: البخاري، الجامع الصحيح، ص ٣٩٦، الشافعي، الأم ١/١٩٩.

(٣) عن التحكيم الجاهلي يراجع: نفاذ جرير والفرزدق ١/١٣٦، ابن حبيب، المعبر، ص ٢٣٦.

(٤) د. صلاح الدين الناهي، النظرية العامة في القانون الموطن وعلم الخلاف، ص ٣١٠.

(٥) ابن السكيت، لسان الحكماء، ص ٣.

الإلزام، وفضى القاضي أى ألزم الحق أهله^(٦). ولكن ما عمل القاضي إذا تجاوزت سلطته في سلطاتها، على حقوق الناس وممتلكاتهم^(٧)؟ في هذا المجال يظهر عمل صاحب المظالم لا القاضي.

ان ديوان النظر في المظالم ظهر أساسا لانقاف جور السلطه ممدة في موظفيها الكبار منهم كالوزراء، وكذلك الصغار كعامل الخراج أو صاحب الشرطه.

ان محكمة المظالم واحدة من أربع خطط قضائية انيطت بها صلاحيات الاداره القضائية في الدولة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، إلا أنها بحق أكره هذه الخطط في صلاحياتها ونفوذها^(٨). ف رئيس الدولة هو الذى تتولى مهمة ترأسها والاشراف على أعمالها^(٩).

(٢) الأصول التاريخية لمحكمة المظالم :

في الجزيرة العربية، وفي مكة بالذات ظهرت أول بوادر التصدى للظلم والوقوف إلى جانب المواطن المظلوم، في مكة حيث المجتمع التجاري المزدهر، تروى المصادر خبر ذلك اليماني من زبيد، قدم مكة معتمرا مع بضاعه له، اشتراها رجل من كبار تجار قريش «العاص بن وائل» اشتراها ومأطل في دفع السمن، ثم امتنع عن تسديده، فقام هذا الرجل ستصرخ ملأ مكة في رد هذا الظلم عنه فائلا

يا آل فهر مظلوم ببضاعته يبطن مكة نائبي الدار والنفر

بعد هذه الاستغاثة قام ابوسفيان والعباس بن عبدالمطلب فردا عليه ماله، واجتمعت بطون قريش فتحالفوا في دار عبدالله بن جدعان «على رد المظالم بمكة وان لا يظلم أحد إلا منعه وأخذوا للمظلوم حقه»^(١٠)

(٦) التهانوى، موسوعة اصلاحات العلوم الاسلامية ١٢٣٤/٥ .

(٧) بشير ابن قيم الجوزية الى معارضة الشريعة للظلم، واعتبار السياسة العادلة فرع من فروعها، فالسياسة «سياسة ظالمة تحرمها الشريعة وسياسة عادلة تفرها» الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص ٥.

(٨) عن الخطط القضائية في الدولة العربية الإسلامية، راجع: النباهي: تاريخ قضاء الأندلس، ص ٥.

(٩) راجع ما كتبه النويرى في، نهاية الأرب ٢٧٠/٦ .

(١٠) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٧٩

النويرى، نهاية الأرب ٢٦٦/٦ .

هذه المؤسسة أصولها الأولى ظهرت عند العرب قبل الإسلام، ثم لم تلبث حتى تكاملت بعد الإسلام على شكل مؤسسة إدارية واضحة المعالم متكاملة الجوانب، فلا أثر لاية مؤثرات أجنبية في ظهور «ديوان المظالم» فالديوان وليد تطور وحاجة المجتمع الى هيئة قضائية عليا ترد الظلم عن الناس فتضمن حقوقهم وترسي قواعد حياة مستقرة للجميع.

ان الأصول التاريخية لهذه المؤسسة ترجع في أولياتها الى حلف الفضول، هذا الحلف شهده محمد العظيم قبل نبوته وأقر شرعيته في عصر النبوة، فالحلف «وان كان فعلا جاهليا دعتهم إليه السياسة فقد صار بحضور رسول الله (ص) وما قاله في تأكيد أمره حكما شرعيا وفعلا نبويا»^(١١).

في العصر الراشدي نظر عمر في مظالم الرعية^(١٢) كما نظر عليا والمصادر تؤكد أن الخليفة الرابع أمر ببناء قبة، كان يرمي الناس فيها رقاع ظلاماتهم ينظر فيها الخليفة بنفسه، وسمي هذا البناء «بيت القصص»^(١٣) قصص المظالم^(١٤)، فكان علي «أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ولم يتخرج فيها الى نظر المظالم المحض لاستغنائها عنه».

في العصر الأموي انتشر العمل بقضاء المظالم، فقد «تجاهر الناس بالظلم والتغالب، فاحتاجوا في ردع المتغلبين وانصاف المغلوبين الى نظر المظالم الذي يمتزج به قوة السلطة وانصاف القضاء»^(١٥). ويعد عبد الملك بن مروان أول من خصص لمظالم الناس يوما يتصفح فيه قصص ظلاماتهم، وكان إذا احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه أبي ادريس الاودي، فنفذ فيه أحكامه «فكان أبو ادريس هو المباشر وعبد الملك هو الأمر»^(١٦). وعلى هذا المنهج سار بقية خلفاء بني أمية، خاصة الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي ندب نفسه «للنظر في المظالم فردها وراعى السنن العادلة وأعادها»^(١٧).

(١١) الأحكام السلطانية، ص ٧٧.

(١٢) البيهقي، المعاصن والمساوي، ٢/٢٧٤.

(١٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٥/٦٣.

(١٤) ن. م.، ٥/٦٣، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٧٨.

(١٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٧٨.

(١٦) ن. م.، ص ٧٨.

(١٧) ن. م.، ص ٧٨. راجع أيضا: الاصبهاني، محاضرات الادباء (بيروت - ١٩٦٦) ص ٢١٦.

يتبين من هذا أن ديوان المظالم في أصوله التاريخية يرجع إلى تراث العرب القديم، يوم عقدت قریش، حلفاً قاهراً على رد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم، ثم تنامت هذه المؤسسة أكثر في العهد الراشدي والأموي، حتى تكاملت في العهد العباسي^(١٨)، شأنها في ذلك كبصية النظم العربية تظهر بسيطة ثم ما تلبث أن تتكامل استجابة لتطور وتقدم المجتمع والاداره في الدولة.

صلاحيات صاحب المظالم :

ظهر صاحب المظالم في عهد عبدالمك بن مروان، وكان أول من تحمل هذه المسؤولية، فكانت سلطاته «سلطات القضاة غير انه أفسح حالاً منهم»^(١٩) فهو يتمتع بحرية العمل أكثر من القضاة، لهذا اشترط فيمن يتقلد هذه الوظيفة أن يكون «جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماية وببت القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين»^(٢٠).

ومع أن مؤسسة المظالم تجمع الصفة القضائية والتنفيذية معا، إلا أن المسؤول فيها عن تصريف شؤون العدالة يختلف عن القاضي بخمس نقاط جوهرية^(٢١) :

- أولاً : صاحب المظالم اعظم هيبة وأشد قوة.
- ثانياً : السلطة القضائية لصاحب المظالم أوسع خالاً.
- ثالثاً : لصاحب هذه الوظيفة من قوة الارهاب ماليس للقضاة.
- رابعاً : لصاحب هذه الوظيفة كامل الحرية في التعامل مع الخصمين في اتخاذ الاجراءات المناسبة كالوساطة لاجل التراضي، أو الكفالة، وفرض الاقامة الاجبارية أحياناً.
- خامساً : لصاحب المظالم كامل السلطة في استدعاء الشهود واطراف الدعوى، وهذا ماليس للقضاة.

(١٨) نهاية الأرب ٢٦٨/٦٢

(١٩) القرافي ، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ص ٤ .

(٢٠) الأحكام السلطانية ، ص ٧٧ .

(٢١) الماوردي ، الأحكام السلطانية، ص ٨٣ - ٤ . وهو يذكر عشرة فوارق بين القاضي وصاحب المظالم، أوجزها هنا في خمسة.

نهاية الارب ٢٧١/٦ .



والظاهر أن منح صاحب المظالم حرية التصرف المسؤول إنما كان يستهدف تحقيق عدالة القانون، مما يمكن الناس من العيش بطمأنينة بعيدا عن مظاهر الجور والظلم. كما تمكنه من ممارسة سلطته القضائية في الدعاوى التالية:

أولا : دعاوى تخص تعدى الامراء على الرعية والتعسف في ممارسته سلطاتهم، وهذه الدعاوى هي الغالبة على عمل هذه المؤسسة.

ثانيا : دعاوى ظلم وجور عمال الأقاليم فيما يجبونه من أموال .

ثالثا : دعاوى تخص موظفي الدواوين.

رابعا : تظلم الجند من نقص رواتبهم أو تأخر دفعها.

خامسا : دعاوى تخص الأملاك المقتسوبة . وهذه الغصوب ضربان، غصوب سلطانية تغلب

عليها ولاية الجور غصبا من أربابها. مثلا عليها نذكر أن عمر بن عبدالعزيز خرج

ذات يوم الى الصلاة فاعترضه رجل ورد من اليمن متظلم فقال عمر ما ظلامتك؟

فقال : غصبي الوليد بن عبد الملك ضيعني فطلب عمر بن عبدالعزيز «دفتر

الصواني» فوجد فيه: اصفى عبد الله الوليد بن عبد الملك ضيعة فلان. فأمر عمر

باخراجها من دفتر وردها الى صاحبها، واعطائه مبلغا يعادل ضعف نفقته (٢٢).

سادسا : الاشراف على الوقوف .

سابعا : تنفيذ الدعاوى التي عجزت القضاة عن تنفيذها لضعف عن انفاذها وعجزهم عن

المحكوم عليه لقوة يده أو لعلوقه وعظم خطره، فيكون صاحب المظالم «أقوى يدا

وانفذ أمرا فينفذ الحكم على من توجه إليه بانتزاع ما في يده أو بالزامه الخروج مما في

ذمته» (٢٣).

ثامنا : النظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة من أمور تتعلق بالقانون العام.

تاسعا : النظر في أمور بعض العبادات .

عاشرا : النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتخاصمين.

ان تبويب الماوردي لسلطات صاحب المظالم جاء منسجما مع الواقع الفعلي لهذه المؤسسة،

فالماوردي هنا يثبت ما كان واقعا فعلا، واستمر عليه العمل حتى منتصف القرن الهجري

الخامس (توفي الماوردي سنة ٤٥٠ هـ).

(٢٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٨٣ .

(٢٣) ن. م. ص ٨٣. نهاية الأرب، ٦٢/٢٧٣ .

ديوان مظالم الرعية :

الديوان هو السجل، ثم تطور هذا المعنى فصار يعني المكان الذي توضع فيه السجلات، بالإضافة إلى مجموعة الموظفين المعيّنين لانجاز الأعمال الخاصة بها. فديوان المظالم هنا يشمل كامل جهاز هذه المؤسسة السجلات والموظفين والمكان الذي يضمهم جميعا.

ان ديوان المظالم يضم المجموعة التالية من الموظفين :

أولا : صاحب ديوان المظالم .

يتولى هذه الوظيفة رجلا له دين وأمانة وعدل ورأفة ليكون بهذه الصفات نافعا للمتظلمين^(٢٤). ويتولى صاحب الديوان عملا خلاصات لكل المظالم متبنة برقاع (عرايض) تعرض على رئيس الدولة، فاذا جلس للمظالم عرضت عليه «ليوقع على القصة بما يوجبه الحكم»^(٢٥).

وإذا انفض مجلس المظالم أخذ صاحب الديوان جميع الدعاوى وما صدر بحقها من الخليفة ليكمل خلاصة بها محررة في سجل خاص، هو سجل المظالم، فيه اسم المتظلم ونوع ظلامته، والحكم الصادر بحقها. وإذا ما تكررت مراجعات متظلم ما، في قضية لم تحسم، كان على صاحب الديوان ان يعمل خلاصة شاملة للظلامة، يعرضها على الخليفة، وينبئها في ديوان المظالم^(٢٦).

ثانيا : صاحب الحوائج

يتولى صاحب الحوائج عرض قصص المتظلمين على الخليفة مباشرة بعد استلامها من صاحب الديوان، فوظيفة صاحب الحوائج وصاحب الديوان تكاد أن تكون متقاربة، إلا أن الثاني أوسع في صلاحياته فهو يتولى الاشراف على كامل شؤون الديوان وموظفيه.

(٢٤) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ورقة ٢٤. مخطوط مصور في المكتبة المركزية لجامعة بغداد، رقم ٥٩٠٧.

(٢٥) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ورقة ٢٤.

(٢٦) ن. م. ورعه ٢٤.

يذكر ابن طيفور أن أحمد بن خالد كان يتولى وظيفة صاحب الحوائج، طلب منه المأمون مرة الاستعجال، في عرض قصص المتظلمين لبيت فيها قال له: «أغد على باكرا لأخذ القصص التي عندك فانها قد كثرت لنقطع أمور أصحابها فقد طال صبرهم على انتظارها... فبكر وقعد لها المأمون فجعل يعرضها عليه ويوقع فيها» (٢٧).

ثالثا : نائب صاحب المظالم

ينظر الخليفة، بوصفه رئيسا للدولة، في مظالم الرعية، لكنه ينب عن أحيانا مسؤولا ينظر في مظالم الرعية، في مدينة أو إقليم من الأقاليم (٢٨).

رابعا : كتاب المظالم

نظرا لسعة الأعمال التي يمارسها ديوان المظالم مع طائفة كبيرة من الناس، نجد لدينا عددا من كتاب المظالم يعملون كلا حسب اختصاصه نذكر منهم:

أ - كاتب تشييت :

وهو الذي يثبت الظلامة في سجل الديوان، مع ذكر اسم المدعي والمدعى عليه. ثم يحيلها إلى صاحب الديوان (٢٩).

ب - كاتب نسخ :

يتولى مهمة استنساخ نص الظلامة حرفيا، لتحفظ في الديوان (٣٠).

(٢٦) ن . م . ورقة ٢٤

(٢٧) ابن طيفور، تاريخ بغداد، ٥٧/٦

(٢٨) راجع مثلا على هذه الحالة : ياقوت، معجم البلدان ١٣٧/٢ - ٨

(٢٩) قدامة بن جعفر، ورقة ٢٤، مخطوط

(٣٠) قدامة بن جعفر، ورقة ٢٤، مخطوط

ج - كاتب انشاء :

يتولى انشاء الكتب وتوزيعها الى الجهات المختصة حسب مقتضى الحال^(٣١).

د - كاتب تحرير :

يتولى مهمة مراسلة المؤسسات القضائية والتنفيذية فيما يخص ظلمات الناس (كالشرطة مثلاً)^(٣٢).

مجلس المظالم (المحكمة العليا)

نعني بمجلس المظالم انعقاد هذه المحكمة في مكان وزمان محدد بعلمه الناس ويفدون إليه يحضره رئيس المجلس متمثلاً بالخليفة بالإضافة إلى عدد كبير من الفقهاء والقضاة والشهود العدول والشرطة والأعوان، يحضر هؤلاء للمشاورة والمداولة وتنفيذ الأحكام^(٣٣).

وقد سبق أن ذكرنا أن عبد الملك بن مروان أول من خصص يوماً معيناً ينظر فيه ظلمات الناس. ولكننا نجهل اليوم الذي خصصه لمجلسه هذا، وإن كان الماوردي يرجح يوم الجمعة أو الاثنين^(٣٤).

في الدولة العباسية، صار جلوس الخلفاء للمظالم نهجاً ثابتاً في سياستهم لا يحدون عنه. ويعتبر المنصور أول من عين موظفاً لهذه المؤسسة وهو الحسن بن عمار، كان يجمع ظلمات الناس ويعرضها على الخليفة ليبت فيها^(٣٥). وكان المنصور قد أودع أموال من صادرهم من الموظفين في «بيت مال المظالم»^(٣٦)، وأمر ابنه المهدي بردها إذا ما تولى الخلافة بعد أبيه^(٣٧).

(٣١) قدامة بن جعفر، ورقة ٢٤. مخطوط

(٣٢) قدامة بن جعفر، ورقة ٢٤. مخطوط

(٣٣) التويري، نهاية الارب، ٢٧٠/٦.

(٣٤) ن. م، ٢٧٠/٦. راجع أيضاً قدامة بن جعفر، ورقة ٢٤ م

(٣٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٠٢/١٤

(٣٦) الطبري، ٤١٥/١٠.

(٣٧) الطبري، ٤١٥/١٠.

ابتدأ المهدي عهد خلافته في النظر بمظالم الناس، وكان إذا جلس مجلس المظالم أمر بادخال الفضاء عليه ليشاركوه في مجلسه وأحكامه^(٣٨). وقد عين المهدي ابن نوبان في وظيفة «صاحب المظالم» يجلس للناس بالرصافة فإذا ملأ كساءه من رقاع المظالم رفعها الى الخليفة لينظر فيها^(٣٩).

ان المصادر تجعلني أقر بثقة أن محكمة من هذا النوع. كانت الوسيلة الوحيدة لاتصال الناس بأعلى سلطة في الدولة العربية. وفي الوقت ذاته كانت انجح وسيلة للسلطة ذاتها في التأكيد على العدالة والالتزام بنهج الشريعة السمحاء وسنة الرسول^(٤٠). مثلاً وتدليلاً على قولنا هذا نذكر قول أحد مستشاري الخليفة الهادي، ينبهه على أهمية نظره في مظالم الشعب بعد أن تركها فترة، يقول له: «يا أمير المؤمنين أن العامة لا تنقاد لما أنت عليه لم تنظر في المظالم منذ ثلاثة أيام»^(٤١). فأمر عندها الهادي بفتح أبواب القصر، فدخل الناس على بكرة أبيهم، يحملون الرقاع (العرايض) بأيديهم، فلم يزل الهادي ينظر فيها إلى الليل^(٤٢).

والظاهر أن أبا يوسف القاضي كان يدرك دور هذه المؤسسة في كسب الناس فلفت نظر الرسيد إلى أهمية جلوسه لمظالم رعيته كي يعم العدل ربوع دولته. يقول ابو يوسف للرشيد:

«يا أمير المؤمنين لو تقربت إلى الله عز وجل بالجلوس لمظالم رعيته في الشهر أو الشهرين مجلساً واحداً تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم، رجوت ان لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته، ولعلك لا تجلس إلا مجلساً أو مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاءه»^(٤٣)

(٣٨) ابن الطعطنى ، الفخرى ، ص ١٧٩

(٣٩) الطبرى ، ٤٠٨/١٠

(٤٠) راجع نهاية الارب ٢٧٠/٦. وهو يذكر أن بعض الخلفاء شيد بناية خاصة للنظر في المظالم سماها «دار العدل»

(٤١) البيهقي، المعائن والمساوى ٢٠٦/٢

(٤٢) الطبرى في ٣، ح ١٠، ٥٨٣. طبعة بيروت

(٤٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٤

الظاهر ان ابا يوسف نجس خطورة تفاقم نفوذ البرامكة في الدولة العباسية، وفي أوساط الرأي العام، خاصة بعد أن تولى جعفر البرمكي نيابة الرشيد في نظر مظالم الرعية. فصار الناس يزدهون على بيته ينتظرون خروجه لعرض ظلاماتهم عليه^(٤٤).

لقد كان صوت أبي يوسف، «الصوت الوحيد الذي اعترض على سياسة الأخذ بالموروث الساساني» الذي مثل البرامكة أحد أقطابه الكبار. لقد نبه أبو يوسف الخليفة الرشيد الى خطورة استحواذ جعفر على هذه المؤسسة الشديدة الصلة بالناس.

وقد استجاب الرشيد لهذا النداء، فجلس لمظالم الناس بنفسه^(٤٥) في بغداد والرافقة^(٤٦) كما ولي ابن عليه وظيفة صاحب المظالم^(٤٧).

ويعد المأمون أكثر الخلفاء العباسيين متابعة لسير أعمال هذه المؤسسة حتى انه كان يجلس «مجلس المظالم» مرتين في الاسبوع، يومي الجمعة والأحد جلوسا عاما لكافة المتظلمين لا يمنع أحداً من الرعية^(٤٨). فزاد ذلك من شعبيته بعد أن تدهورت في بغداد أمر البيعة بولايه العهد لعلي بن موسى الرضا^(٤٩).

يذكر الماوردي أن المأمون جلس يوماً لمظالم الرعية، فكان أول الناس حضوراً امرأة في يدها رقعة ظلامة، سأله المأمون: «من تخصتك؟»^(٥٠) ردت قائلة: القائم على رأسك العباس بن أمير المؤمنين! فقال المأمون لقاضيه يحيى بن اكنم اجلسها معه وانظر بينها، فأجلسها معه ونظر بينها بحضرة المأمون، وصار كلامها يعلو، فزجرها القاضي، فقال له المأمون: دعها فان الحق انطقها والباطل أخرسه، وامر برد ضياعها، وتابع بنفسه تنفيذ الحكم^(٥١).

(٤٤) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ١٦٤، ١٧٠.

(٤٥) الاصفهاني، الاغانى، ١٦٦/١٤.

(٤٦) الرافقة: مدينة بناها المنصور، وعمرها الرشيد، وسكن فيها مدة طويلة (معجم البلدان ١٥/٣).

(٤٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ق ٢، ج ٧، ص ٧٠.

ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ١٠٠/١.

(٤٨) ابن طيفور، تاريخ بغداد ٥٧/٦.

(٤٩) المسعودى، التنبيه والاشراف، ص ٣٤٩ (بيروت - ١٩٦٥).

(٥٠) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٨٣.

ان الظاهره المهمه في هذه المؤسسة الفضائية ذات الصيغة السعبيه، ضعف فعاليتها، بل توقف ممارستها لصلاحياتها ابان ضعف بعض الخلفاء العباسيين، في فترات تسلط القوى الأجنبية كالتركيه، والبيهييه (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) والسلاجقيه (٤٤٧ - ٥٩٠ هـ). فكيف يرد الخليفه العباسي المظالم عن رعيته وهو عاجز عن رد الظلم عن نفسه، بل عجز بعض الخلفاء عن ممارسة بعض صلاحياته^(٥١).

من هنا حاول بعض الخلفاء العباسيين استعادة بعض سلطاتهم من القوى الأجنبية عن طريق النظر في مظالم الرعية وسماح شكوايهم، وثقوا سلطتهم بالشعب كنقطة ارتكاز لهم في التصدي للقوى الأجنبية. وأصدق مثال على هذا ما أقدم عليه الخليفة المهدي في سامراء، حيث «كان يجلس للمظالم فيحكم حكما يرتضيه الناس»^(٥٢) وقد اتخذ من (دار العامة) مقرا له تقرأ عليه قصص المتظلمين من أولها إلى آخرها فيأمر في التوقيع فيها، ثم تحرر وتختتم وتدفع إلى أصحابها بين يديه^(٥٣).

والمصادر تشير إلى أن المهدي أمر أن يدخل الناس عليه مباشرة، فأرستى بعض موظفيه من الناس، قدموا بعضهم على البعض الآخر في مقابلة الخليفة^(٥٤). «فاتخذ بيتا له شباك حديد على الطريق، وأمر فنودي بطرح القصص فيه، فكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده أولا فينظر فيه لا يقدم بعضه على بعض»^(٥٥)، فليس غريبا بعد هذا أن يستنفر الخليفة المهدي عامة الشعب لمساندته في ضرب الأتراك، «استنفر العامة وأباحهم دماءهم وأموالهم ونهب منازلهم»^(٥٦) إلا أن محاولته فشلت، فقد كان الأتراك آنذاك في أوج قوتهم وقدراتهم العسكرية^(٥٧).

(٥١) ينطبق هذا القول على أكثر خلفاء فترة التسلط البيهي الأجنبي على العراق خلال الفترة (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ)

(٥٢) الفخري، ص ٢٤٦

(٥٣) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٩

(٥٤) العسكري، الأوائل، ص ١٦٧

(٥٥) العسكري، الأوائل، ص ١٦٧

(٥٦) اليعقوبي، التاريخ، ٣/ ٢٤٣

(٥٧) مهل المهدي من قبل الارك سنة ٢٥٦ هـ (اليعقوبي ٣/ ٢٤٣)

ونقل لنا الصابي صورة حية لمجلس مظالم في العباسية أمر بانعقاده الخليفة المعتضد للنظر في شكوى رفعت إليه من أهل بادوريا^(٥٨) فقد تجاوز على مياه سقيهم ظلما أهل المنطقة المجاورة لهم بالتواطؤ مع موظفي الحكومة المسؤولين عن الري. يقول الصابي: ان أهل سقي الفرات واطثوا العمال والمهندسين على ظلمهم وكنان ما عندهم من أمر أبواب فنظره دما ووافقهم على تصنيفها ليتوفر الماء عليهم فأمر المعتضد بالله أحد كبار موظفيه بالخروج الى هذه المنطقة على أن يصحب معه أصحاب الدواوين ومشايخ العمال، والمهندسين، وبعض قضاة بغداد، وطائفة من الشهود العدول، وبعض الذراع، للوقوف على حقيقة هذه الظلامة. وقد خرج هؤلاء من بغداد ومعهم عامل بادوريا وجماعة من شيوخها، وصلوا المنطقة واجتمعوا مع الدهاقين هناك، ودرسوا طبيعة توزيع المياه على ضوء مقاسات الأبواب^(٥٩).

كان المهتدي آخر من جلس للمظالم في سامراء^(٦٠) فلم يجلس بعده خليفة طيبة تسلط القوى الأجنبية على الخلافة العباسية، انبسطت مسؤوليتها ببعض الوزراء الأقوياء، جلسوا لها جلوسا عاما، في أيام محدودة ومعلومة لعامة الرعية.

لقد أصبح في بداية القرن الرابع الهجري عرفا ساريا أن ينوب الوزراء عن الخليفة في حضور مجلس المظالم، وقد اشتهر من هؤلاء الوزراء علي بن عيسى^(٦١) جلس للمظالم كل يوم ثلاثة^(٦٢) وابن الزيات^(٦٣) جلس لمصالح الناس أياما عدة في الشهر الواحد^(٦٤) ويعتبر ابن الفرات أكثر الوزراء العباسيين متابعة لشؤون مظالم الرعية^(٦٥).

وفي عهد المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) ولأول مرة في تاريخ القضاء العربي أمرت أم المقتدر

(٥٨) بادوريا : منطقة زراعية خصبة جدا، من أعمال بغداد

(٥٩) الصابي، رسم دار الخلافة ١٨٠

(٦٠) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٧٠/٦

(٦١) علي بن عيسى، يذكر ابن الطقطقا، كان علي بن عيسى شيخا من شيوخ الكتاب فاضلا دينا ورعا متزهدا وما أعلم أنه وُزِّرَ لبني العباس وزيرا بنسبه في علمه وحسابه، وضبط الدواوين (الفخري، ص ٢٦٨)

(٦٢) عريب، صلة تاريخ الطبري، ص ١٣٠. الفخري ص ٢٦٨

(٦٣ - ٦٤) الفخري، ٢٦٩. وقد بنظر في المظالم من هودون الوزير فيوسف بن يعقوب تولى ديوان المظالم ببغداد، فنأدى من كانت له مظلمة من قبل الأمير الناصر (الموفق) فما دونه من الناس فليحضر (المنتظم ١٠٥/٥) حوادث سنة



قهمانة لها تعرف ثمل ان تجلس بالرصافة وتنظر في ظلمات الناس كل يوم جمعة فأنكر الناس ذلك واستبشعوه وكثر طعنهم فيه من اليوم الأول الذي جلست فيه، وفي اليوم الثاني احضرت القاضي ابا الحسن الاشعري وبعض الفقهاء مجلس المظالم «فخرجت توقيعاتها على السداد فانتفع المتظلمون منها وسكن الناس الى ما كانوا نافروه من قعودها ونظرها» (٦٦).

في عهد السيطرة الأجنبية على الخلافة العباسية، ابتداءً من سيطرة أمير الأمراء على بغداد (٣٢٤ - ٣٣٤ هـ) وحتى نهاية العهد السلجوقي في سنة ٥٩٠ هـ خضعت هذه المؤسسة الى الظرف الجديد فكان هؤلاء الأمراء ينظرون في مظالم الناس دون الخلفاء والوزراء، فناصر الدولة بن حمدان أمير الأمراء سنة ٣٣٠ هـ كان ينظر في قصص مظالم الناس، وتقام الحدود بين يديه، وبفعل ما يفعل أصحاب الشرط (٦٧).

وفي عهد السيطرة البويهية كان عضد الدولة ينظر في مظالم الناس في بغداد، لكنه أمر بمنع رفع الظلمات على كبار قواده، فلما نجح أحد المواطنين في إيصال ظلامته الى عند الدولة - وكان اسفار أحد كبار قواده العسكريين قد اغتصب ضيعته - رفض عضد الدولة قبول الظلامة، وقع فيها ما يفيد أن الدعوى قديمة باطلة (٦٨).

في العهد البويهي، ولأول مرة في تاريخ هذه المحكمة، عهد الى النقباء العلويين مهمة النظر في مظالم الرعية، ففي عهد الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ) تقلد الحسين بن موسى العلوي المظالم بمدينة السلام، وكتب له بذلك عهداً (٦٩). وفي سنة ٣٩٤ هـ قلد بهاء الدولة الشريف الحسين بن موسى قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة العلويين، وكتب له عهداً على جميع ذلك (٧٠).

(٦٦) صلة تاريخ الطبري . ص ٧١

(٦٧) ابن الأثير . الكامل . ٢٩٣/٦ .

(٦٨) الروذراوري . ذيل عجائب الأمم . ص ٤٧

(٦٩) الفيلسفي . مآثر الامام في معالم الخلافة ٣٤٠ . ص ١٥١ - ١٥٧

(٧٠) المنظم ٢٢٦/٧٤

وفي سنة ٤٠٦ هـ تقلد الشريف المرتضى أبو القاسم الموسوي الحج والمظالم ونقابه نقباء الطالبين، وجمع الناس لقراءة عهده في لواء الملكية، وحضر الأسراف والفضاة والفقهاء جميعهم^(٧١).

والسلاجقة كالبويهيين نظروا في المظالم^(٧٢). إلا أن الخلفاء العباسيين عاودوا نشاطهم منذ منتصف القرن الهجري السادس لاهياء مؤسسة المظالم، فكان القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ) يأمر أحد موظفي دار الخلافة بالخروج للناس واستلام ظلاماتهم، فكان إذا خرج انتهالت عليه رقاع المتظلمين، يرفعها الى الخليفة مباشرة^(٧٣)، وفي خلافة المقتدى اتخذ صاحب المظالم مجلسا له في باب النوبي يداوم الجلوس فيه يوميا لاستلام رقاع المتظلمين^(٧٤).

وأوردت المصادر أسماء طائفة من موظفي هذه المؤسسة نظروا في مظالم الرعية منهم:

تولى المظالم سنة ٥٠٠ هـ ^(٧٦)	محمد الله بن محمد الدامغاني ^(٧٥)
تولى المظالم سنة ٥٨٣ هـ ^(٧٧)	عبد الوهاب بن قادر الجيلي
نظر في المظالم في الفترة ٦٢٩ - ٦٣٣ هـ ^(٧٨)	جمال الدين علي بن المعالي

ولا يعني هذا أن الخلفاء العباسيين المتأخرين لم ينظروا في المظالم، فالخليفة الراشد (٥٢٩ - ٥٣٠ هـ) أمر أن ينادى في بغداد: من كانت له مظلمة فليشكها الى الديوان العزيز^(٧٩). وكان هذا النداء ردا على محاولة السلاجقة في حث الناس ودعوتهم الى رفع مظالمهم للسلطان السلجوقي^(٨٠). كما أن الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٢ هـ) قد أمر وزيره برفع قصص المتظلمين اليه ليوقع فيها بنفسه^(٨١).

(٧١) راجع هذا العهد في المنتظم ٢٧٦/٧

(٧٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٧٤

(٧٣) ابن الجوزي، المنتظم ٥٩/٨

(٧٤) ن. م، ٢٦/٩، راجع نص العهد في المصدر ذاته ٢٦/٩ - ٣٠

(٧٥) المنتظم ٢٦/٩

(٧٦) القرشي، الجواهر المضية ٢٨٧/١

(٧٧) مرآة الزمان، ٨٤، ق ٢، ص ٤٥٤

(٧٨) الحوادث الجامعة، ص ١٤٥

(٧٩) المنتظم ٨٠/١٠

(٨١) الكارروني، مختصر التاريخ، ص ٢٣٤



أما الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) فقد جلس بنفسه، ينظر في مظالم رعيته، يوقع عليها بنفسه، استمر على هذا التقليد طيلة خلافته إلى أن ضعف بصره وتوالت الأحزان على قلبه. وكف عن الجلوس لها «عجز عن النظر في قصص المتظلمين، فكانت امرأة تسمى نسيم خطها قريبا من خطه جعلها بين يديه تكتب الأجوبة في الرقاع»^(٨٢).

انتشرت محاكم المظالم في جميع الأقطار والأمصار إلى جانب القضاء الاعتيادي، ففي الأندلس، نظر بعض القضاة في ظلمات الرعية بناء على طلب رئيس الدولة وكان نظرهم في مل هذه الدعاوى على طريقة قاضي المظالم ووفق صلاحياته^(٨٣).

وفي مصر نظر أحمد بن طولون في مظالم الناس وقد «داوم النظر في المظالم حتى استغنى الناس من الشرطتين ومن القاضي، حتى كان يكابر بما نعس في محله واتكأ، ثم انصرف إلى منزله ولم يتقدم إليه اتان»^(٨٤). ولما اختلف الطولونيون مع الموفق بقيت مصر ما يقارب سبع سنوات بلا قاض «نظر فيها ابن عبده في المظالم»^(٨٥) أربع سنين. وكان خمارويه يبجل ابن عبده ومعظمه ويجري عليه كل شهر ثلاثة آلاف دينار وفوض إليه مع القضاء النظر في المظالم والمواريث والأحباس والحسبة^(٨٦).

كذلك كان كافور الاخشيدى يجلس في «مجلس المظالم»^(٨٧) ولكثرة اقبال الناس على مجلس مظالم كافور كان القاضي ابو الطاهر الذهلي «في احكامه كالمحجور عليه لكثرة جلوس كافور للمظالم في كل سبت»^(٨٨).

ولما قدم جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ بجيوش المعز لدين الله الفاطمي جلس لمظالم الناس ووقع على رقاع ظلاماتهم، وكان جلوسه في يوم السبت من كل اسبوع^(٨٩) وربما أوكل

(٨٢) الكندي، مواب الوفيات، ٣٩٠/١.

(٨٣) الحسن، قضاء قرطبة، ص ٣٧ - ٨.

(٨٤) الكندي، ص ٥١٢.

(٨٥) الكندي، ص ٥١٥.

(٨٦) الكندي، ص ٥١٦.

(٨٧) الكندي، ص ٥٨٣.

(٨٨) الكندي، ص ٥٨٤.

(٨٩) المرمرى، اتعاظ الحما، ص ٢٢٣.

هذه المهمة الى أبي عيسى مرشد^(٩٠). ولما قدم المعز لدين الله الى مصر قلل النظر في المظالم الى الحسين بن عمار^(٩١). وقد انفرد الفاطميون عن غيرهم فعينوا ناظرًا خاصًا بمظالم المغاربة^(٩٢) وآخر خاصًا بالطبقة العامة من الناس^(٩٣).

ثم انيطت مهمة تعيين صاحب المظالم الى الوزير بن كلثوم الذي استدعى أحمد بن المنهال، من تونس «فرد إليه أمر المظالم في مصر وأعمالها وكتب له بذلك سجلاً»^(٩٤) ولما عين قاسم بن عبدالعزيز بن محمد بن النعمان بمنصب قاضي قضاء مصر سنة ٤٢٧ هـ «نظر في الأحكام والمظالم»^(٩٥).

ذكرت المصادر وجود «محكمة المظالم» عند الحمدانيين وقد شيد الملك الناصر في النمام بناء خاصة يجلس فيها للنظر في مظالم الرعية سماها «دار العدل» وكان جلوسه يومي الاثنين والخميس^(٩٦).

ان اجراءات رفع دعاوى المظالم امام المجلس، بسيطة فكان المواطن يتقدم بالظلامة مكتوبة، كذلك تصدر الأحكام فيها مكتوبة، وأحياناً على شكل توافيع توجز حكم الخليفة في الظلامة. وكانت بعض هذه التوافيع تجري مجرى النصوص الأدبية البليغة^(٩٧). فقد كتب المأمون مرة لأحد عماله، رفعت عنه مظلمة، ثم تكررت كتب اليه: فد كثر شاكوك، وقال شاكوك، فأما عدلت وأما اعتزلت^(٩٨).

(٩٠) ن. م. ٢٢٣.

(٩١) السيوطي، حسن المحاضرة ١١٦/٢.

(٩٢) المفريزي، ص ٢٢٣.

(٩٣) ن. م.، ص ٢٢٣.

(٩٤) الكندي، ص ٥٨٩.

(٩٥) الكندي، ص ٦١٣.

(٩٦) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢٦٧/٣. تخميص سامي الدهان.

(٩٧) راجع عنها: الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ص ٢١٩. البيهقي، المحاسن والنساي، ج ٢/ ص ٢٨٤ - ٥.

النوري، نهاية الأرب ٢٨٩/٦.

(٩٨) المحاسن والنساي، ٢٨٤/٢.

بعض مظالم الرعية أمام «صاحب المظالم» :

وصف بعض المؤرخين هذه المحكمة فقالوا انها بمثابة محكمة الاستئناف او محكمة التمييز، والظاهر ان اطلاق هذه التسميات قد يكون بعيدة عن الواقع، فمحكمة المظالم لم تعرض عليها دعوى سابقة نظرت فيها محاكم أخرى، ان فهم طبيعته هذه المؤسسة لا يتأى إلا من درسه طبيعة الدعاوى التي رفعت اليها، وهذه الدعاوى تختلف عن الدعاوى المرفوعة الى المحاكم الاعتيادية، دعاوى المدعي فيها، ابناء الشعب، فدعاوى المظالم، دعاوى فئات كبيرة من الناس، قدمت الى حاضرة الدولة (العاصمة) من أمصار كبيرة، كالتسام، ومصر، وخراسان، وبعضها من مدن كبيرة، كما رفعت التفتايات الحرفية مظالمها، بالإضافة الى الفلاحين والمزارعين.

سأورد هنا ظلمات فئات كبيرة من الناس، تظلم من جور كبار الموظفين، كما ننظم أحياناً من احراءات وتعليقات السلطة المركزية، خاصة فيما يتعلق بالضرائب والأرض.

تظلم أهل حلوان في مصر :

ذكر البيهقي : قدم رجل من أهل حلوان مصر على عمر بن عبدالعزيز فقال: يا أمير المؤمنين ان والدك وفي بلادنا، فكتب الى عبدالملك يخبره ان حلوان صافية وهي ارض خراجيه، فاقطعها آياه، فورسها انت واخوتك فاتق الله ولا تظلمت كما ظلمنا أبوك (ومع حرص عمر على العدل في سياسته، أثاره طلب المظلّمه هذه، رد على ممثل أهل حلوان، وان كان أبي كما ذكرت فهو أبي لا أبوك، نازعى منازعه جميله، ولا ستمه عرضي، فان لي فيه شركاء اخوة واخوات لا برضون ان افضي فيها بغير قضاء قاضي، افوه معك الى القاضي فان فضي لي اصطبرت، وان فضي لك سلمت ففاما جميعا الى القاضي، ففعدا بين يديه فتكلم عمر بحجته، وتكلم الرجل، فتحكم القاضي للرجل. فقال عمر: ان عبدالعزيز قد انفق عليها ألف ألف درهم. قال القاضي قد اكلتم من غلتها بفدر ذلك^(٩٩).

(٩٩) البيهقي، لحاسن ونسارى ٢/٢٧١، وعن حرص عمر بن عبدالعزيز في رد مظالم الناس راجع نهج البلاغه ٧٢/٥. وقد أشار ابن الجدي «فجعل عمر لا يدع ستم من كدر في أبدي أهل بيته من المظالم إلا ردها مطمئنه مطمئنه».

تظلم أهل الشام :

تظلم المسلمون في الشام إلى الخليفة المنصور في رفع المظالم عنهم، فلا يمكن لدميين من ظلمهم والتعسف في أملاكهم، ويمنعهم من انتهاك حرمانهم لكونه أمرهم أن يقبضوا ما وجدوه لبني أمية (١٠٠).

تظلم مزارعي البصرة :

تظلم مزارعو البصرة، من أهل نهر المرقاب، من استحواذ الدولة على أراضيهم الزراعية، فدموا ظلامه إلى المهدي، ثم الهادي، ثم الرشيد، ثم قدم منهم وفد لمقابله جعفر البرمكي، وكان بنو الرشيد وظيفة «ناظر المظالم» عرضوا عليه الظلام، فحل الاشكال بسراء هذه الأراضي من الرشيد بعشرين ألف درهم، وارجعها للمزارعين (١٠١).

تظلم نصارى الموصل :

لما دخل الخليفة المهدي الموصل سنة ١٦٣ هـ تظلم إليه النصارى من هدم بيعة «مروما»، وكان السبب في ذلك أن أصحاب هذه البيعة المجاورة للمسجد المعروف ببني اسباط الصير في المقارب لدرب بني ألبا الطبيب، كانوا يدخلون في البيعة أشياء من غيرها، فوقف المسلمون بالموصل على حقيقته الأمر فنفروا إليها فهدموها، فلما قدم المهدي الموصل تظلم النصارى وكرر ضجيجهم لهدم بيعتهم، فنظر المهدي في الأمر، فأحضر النصارى من شهد يهدم بيعتهم، وأحضر المسلمين من شهد بما أدخلوه فيها وأضافوه إليها مما ليس منها، وخرج الفرقان معه إلى بلد، فأوجب على النصارى اخراج اربعمائة (٤٠٠) ذراع من بيعتهم بسبب ما أدخلوه فيها من زياده، وأمر ببناء المسجد من ماله (١٠٢).

(١٠٠) بن ميم الجوزية، أحكام أهل الذمة ٢١٦/١

(١٠١) الدوردي، الأحكام السلطانية، ص ٩٠

(١٠٢) الأزدى، تاريخ الموصل، ص ٢٤٤

تظلم أهل مصر :

قدم أهل مصر في بغداد يتظلمون إلى الرشيد من واليهم العباسي موسى بن عيسى الهاشمي، فأرسل الرشيد عمر بن مهران لستجلي حصفه الأوضاع في مصر وصحة السكوى المرفوعة إليه. يقول بن مهران عما فعله في مصر «خرجت من بغداد وحدي في زى متظلم.. فدخلت باب الامارة ودوان البلد وبيت المال، وسألت وبحثت عن الأخبار وجلست مع المظلمين وغيرهم فحكيت ثلاثة أيام»^(١٠٣) بعد هذا التحري، والتبث من صحة شكوى ومظلمة أهل مصر، عزل الرشيد واليها.

إن المظالم الجماعية التي رفعها الناس إلى أعلى سلطة في الدولة ممثلة في الخليفة لتعطينا صورة مسرفة لأوضاع الادارة العربية في مختلف أمصارها، فلم تكن السلطة العربية آنذاك لتتخذ في اتخاذ الاجراءات المناسبة لافضاء الأمراء عن مراكزهم إذا ما أثبت أهل ذلك المصر صحة مظالمهم.

مظالم أهل خراسان :

مظلمة أخرى و«جماعية» يبعث بها أهل خراسان إلى الرشيد عام ١٨٩ هـ بعد أن عاث عامه علي بن عيسى فسادا في هذا الأقليم صادر أموالهم واستخف برجالهم، فكانت تلك الظلامات «تسكو سوء سيرته»^(١٠٤) وتسال أمير المؤمنين استبداله بمن «أحب من كفاته وفواده»^(١٠٥).

ولمكانه خراسان وأهميتها المكيه في الدولة العباسية اتخذ الرشيد اجراء سريعا بعزل علي بن عيسى، وكتب له كتابا بخطه شديد في لهجته قاسيا في تعيير قال له «... ظلمت الرعية واستخطت الله وخليفه بسوء سيرتك»^(١٠٦)

(١٠٣) الجهني، الورر، ص ١٧٢، المسعودي، مروج الذهب، ٢٩٩/٣

(١٠٤) لطبري، ٢٤١/٨، حوادث سنة ١٩١ هـ، مسكويه، بحار الأمم ٣١٥/٣

(١٠٥) ن. م، ٣٣١/٨، بحار الأمم ٣١٥/٣

(١٠٦) ن. م، ٣٣١/٨

ثم ان الرسيد ولى بدلا عنه هرمه بن أعين، وطلب منه القبض على علي بن عيسى ومطالبته برد مظالم الناس وأموالهم، بروى الطبرى: ان هرمه أقام علي بن عيسى ومعه كتابه وأمواله «لمظالم الناس» فكان إذا ورد للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حتى قال: اخرج للرجل من حقه، والا بسطت عليك العذاب، فيقول ابن ماهان: اصلح الله الأمير (اجلني يوما او يومين. فيقول ذلك الى صاحب الحق فان شاء فعل» وبعد أن استوفى الناس حقوقهم «اظهروا السرور بذلك وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم وكثروا دعاؤهم للأمير المؤمنين بالبفاء وحسن الجزاء»^(١٠٧)

هنا شكلت «محكمة المظالم» محكمة عليا يرأسها الأمير الجديد المدعي فيها جماهير الشعب الذى اغتصب أموالهم، والمدعى عليه الأمير المعزول ومعه الجهاز الادارى من كتاب وجباة فهؤلاء شركاء طبيعيون مع الأمير السابق.

بذكر هرمه بن أعين سبب توليته خراسان «أرسلنى أمير المؤمنين... للقبض عليه ورد مظالم الناس»^(١٠٨) وفي رواية أخرى ان الخليفة بعث بنأكد لهرمه يحمله على محاكمه الجهاز الادارى السابق و«انصاف الناس منهم في حقوقهم ومظالمهم حتى لا يبقى لمظالم منهم قبلهم ظلامة إلا استقضيت ذلك له وأجلته وأياهم على الحق والعدل»^(١٠٩) ان هذه الدعوى كادت تثير الوضع السياسى في خراسان وأجبتوها محكمة المظالم بالشكل الذى تمت فيه، فأرضت الناس في حقوقهم، ان هذه المحكمة كما وصفها النورى بحى تميز فيها: الأصول السياسية والقواعد الفقهية^(١١٠).

في عهد الواثق كرت الظلامات من عمال الخراج، فأمر الخليفة ان يجلس مع أصحاب دواوين الخراج رجال من المعتزلة «لانصاف المتظلمين من أهل الخراج»^(١١١) ويذكر التنوخى أن أهل الأهواز قدموا سامراء في عهد المتوكل وكانت شكواهم نعسف وظلم واليهم. فأمر المتوكل بعزله، وعاد أهل الأهواز الى مدنهم مسرورين^(١١٢).

(١٠٧) الطبرى ، ٣٣١/٨

(١٠٨) نجارب الأمم ، ٣١٥/٣

(١٠٩) الطبرى ، ٣٣١/٨

(١١٠) مهنا الأرب ، ١٨٠/٦

(١١١) المرتضى ، المنية والأمل في مريح كتاب الملل والنحل، ص ٣٠

(١١٢) التنوخى، نسور المحاصرة ١٨/٢



تظلم فلاحى العراق من الاقطاع:

في عهد المقتدر تزايد ورود الناس الى العاصمة بغداد يحملون رقاع مظالمهم معه، يتظلمون «هذا من أمير، وهذا من والي، وهذا من قاضي»^(١١٣).

وفد اعتاد وزير المقتدر ابن الفرات^(١١٤) أن يجلس للمتظلمين صباح كل يوم سبت، بينما يجلس لهم «صاحب ديوان المظالم» بقية أيام الاسبوع، حيث تحسم بعض الظلمات، وتحال المهمة منها الى الوزير نفسه. وقد أحال صاحب ديوان المظالم الى الوزير يوماً، مظالم الفلاحين العراقيين من أهل رودمستان، وهرمز جرد، وجنبلاء، وهي قرى خصبة بين سواد بغداد والكوفة، عاني فيها الفلاحون تعسفا وظلما من وكيل السيدة ام المقتدر فهذه الأراضي جميعها «من اقطاع السيدة»^(١١٥).

تظلم فلاحى فارس من خراج التكملة

وفي عهد المقتدر أيضا قدم الى بغداد وجوه أهل فارس يتظلمون من عبء خراج التكملة، يذكر الصابي عن هذا الوفد المتظلم «ورد قوم من أجلاءهم الى بغداد لرفع ظلماتهم فجمع المقتدر مجلسا من القضاء والفهاء والكتاب والعمال والمواد فأفتوا ببطان التكملة، وصدر كتاب الخليفة بذلك سنة ٣٠٣ هـ»^(١١٦).

والظاهر أن بعض الظلمات، كانت ترفعها الجماهير معبرة عن سخطها ومعارضتها لبعض الأوضاع الجارية، ملا على ذلك تظلم أهل بغداد من الدلم واحتجاجهم على تعسف هؤلاء الأجانب وبحوزاتهم على حقوق الناس وباستمرار^(١١٧).

(١١٣) السوخي، نسوار المحاضرة، ٨٧/٥

(١١٤) من وزراء المقتدر الكبار، وقد فرض الخليفة اليه الأمور «فدورها كما يدبرها الخلفاء» (العيون والحدائق ٤٤٠، ص ١٢١٥)

(١١٥) نسوار المحاضرة، ٨٧/٥

(١١٦) رسوم در الخلافة، ص ١٠٧

(١١٧) شكل دخول لويش بعدد مرحله برعيه من أكبر المراحل نهجورا وانحطاطا، على المستويين السياسي والاداري.

ان البويهيين قوة أجنبية غريبة عن العراقيين، استولت على بغداد بالقوة وقد أثار دخولهم حاضرة العباسيين سخط الناس فقاتلوهم بالحجارة والعصي^(١١٨)، ثم اجتمعوا بأعداد كبيرة في المسجد الجامع سنة ٣٣٠ هـ يتظلمون منهم.

بقول الرودروري : «اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجوا وتظلموا من الدسم ونزولهم في دورهم بغير أجره ونعديهم عليهم في معاملاتهم فلم يقع انكار لذلك فمضت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر»^(١١٩).

هذه المظلمة لم يستطع أهل بغداد أن يرفعوها الى رئيس الدولة (الخليفة) فقد كان هذا بدوره بشكو ظلم البويهيين دون أن يستطيع عملاً ما فكان طبيعياً والحالة هذه أن يستمر «الدبلم في النهب والسلب وكبست الدور وأخرج أهلها»^(١٢٠).

تظلم الحرفيين :

لا رب ان دخول القوى الأجنبية وهيمنتها على السلطة السياسية في الدولة العباسية قد أربك الأوضاع العامة، وساهم في تدهور أوضاع الناس المعاشية، فزاد هذا من تدمير مختلف الأوساط الاجتماعية في المدينة والريف.

وظلامه صناع واسط وحرفيها مثلاً على هذه الأوضاع، فقد جاء هؤلاء من واسط الى بغداد يرفعون دعاوى ظلامتهم الى الخليفة المقتدى من عاملهم ابن زريق، ولكنهم لم يفلحوا في مقابلة الخليفة المقتدى، مكثوا في بغداد أربعة أشهر عبثاً يحاولون مقابلة الخليفة، فقد نواطأ عامل واسط مع «صاحب المظالم» في بغداد للحيلولة دون مقابلة هؤلاء للخليفة فما العمل؟ لقد نجح حرفيو واسط، وبالتعاون مع بعض عمال بغداد، في دخول قصر الخليفة بالتواطؤ مع أحد جوارى القصر.

بقول ابن الجوزي: «في صفر سنة ٤٧٩ دخل عريف الصنائع والفعله والصنائع معه على العادة الى دار الخلافة فخرج المقتدى يمشي في الدار فخرج اليه ثلاثة من الرجال فقبلوا

(١١٨) ذيل تجارب الأمم ١٨/٢، ٢٥.

(١١٩) ذيل تجارب الأمم ١٨/٢.

(١٢٠) م، ١٨/٢.



الأرض وقالوا: نحن رجال من رؤساء نهر الفضل صودرنا وعوفبنا ولنا أربعة أسهر على الباب لم نجز لنا حال»^(١٢١).

رد المقتدى : من فعل بكم هذا ؟

قالوا : ابن زريق الناظر بواسط . طمأنهم المقتدى بدراسة هذه المظلمة، ودعاهم في الرجوع الى واسط . ثم اصدر أمرا في الحال «من ساعته بايضاح الحال فان كان كما ذكرنا فليعزل ابن زريق عن أعمال واسط وليصعد به (يجعل) منكلا ثم نقدم الى صاحب المظالم ان لا يطوى حال احد من الرعية»^(١٢٢) وبعد هذا الأمر وصل من نوب عن الخليفة في استيفاء حقوق هؤلاء من ابن زريق، وسفيذ أمر الخليفة فيه^(١٢٣).

ولدينا روايات كثيرة عن مظالم فردية، رفعها أفراد من عامة الشعب الى رئيس الدولة، حيث تدخل الخليفة وبسرعة لرفع المظلمة وارجاع حقوق الناس لأهلها ومعاقبة كبار موظفيه.

لدينا مظلمة، رفعها رجل من العراق الى مهندس الدولة الخليفة الثاني (عمر ابن الخطاب)، ظلم هذا الرجل من عامله عدي بن ارطاة في ارض له. قال عمر غاضبا: قاتله الله! أما والله ما غرنا إلا بعمامته السوداء، ثم كتب الى عدي بن ارطاة برد الأرض^(١٢٤).

لقد رفعت مظالم من مختلف الطبقات على مختلف الموظفين فهناك مظالم رفعها السهود على القضاة^(١٢٥)، كما رفع عامة الناس مظالم على القضاة^(١٢٦) وعلى الشرطة^(١٢٧) وعلى الولاد^(١٢٨). ولدينا مظلمة الى الواثق من حداد^(١٢٩) ومن ذمي^(١٣٠).

(١٢١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٧/٩

(١٢٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢٧/٩

(١٢٣) ن م ، ٢٧/٩ . وراجع أيضا أطروحة زمين الدكتور فاضل الحاددي، الظلم في لعري في أواخر العصر العباسي ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ رسالة دكتوراه على الاله الطابعة ص ٢٧٦ . «المظالم»

(١٢٤) رجع هذه المظلمة في البيهقي، لحاسن والمساوي ٢/٢٧٤

(١٢٥) الكندي ، ص ٦٠٧

(١٢٦) نسوار الماصره ٥/٥٧ . الكندي، ص ٥١٦، ٥٨٣، ٦٠٧

(١٢٧) نسوار الماصره، ٢/١٨

(١٢٨) تاريخ بغداد ، ٤/١٤٦

(١٢٩) سرح هيج ، البلاغه ٥/٧٢

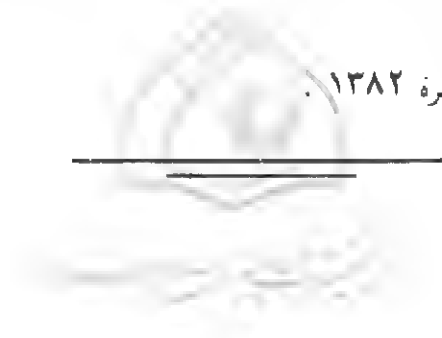
١٣٠، ن . ٥/٧٢

المصادر

- بن الأنير ، علي بن أبي الكرم
الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٧ م.
- الازدي ، يزيد بن محمد
تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- الاصبهاني ، حسين بن محمد
محاضرات الأدباء ، بيروت ١٩٦١ م.
- البخاري ، محمد بن اسماعيل
كتاب الجامع الصحيح ، لندن ١٩٦٢ - ٦٨ .
- البيهقي ، ابراهيم بن محمد
كتاب المحاسن والمساوي ، القاهرة - ١٩٦٧ .
- التوحي ، المحسن بن علي
نشوار المحاضرة ، بيروت - ١٩٧١ - ٧٣ .
- الجهنسياري ، محمد بن عبدوس
كتاب الوزراء والكتاب ، القاهرة - ١٩٣٨
- ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي
المنتظم ، الدكن ١٣٥٧ هـ .
- ابن أبي الحديد
شرح نهج البلاغة ، بيروت ١٩٦٣ م.
- الحسيني ، ابو الحسن علي
أخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ١٩٣٣ م.
- د . الخالدي ، فاضل عبداللطيف
النظم في العراق في أواخر العصر العباسي ، رسالة دكتوراه على الآلة الطابعة.

- الخطيب البغدادى ، احمد بن على
تاريخ بغداد (بيروت ، لا. ت)
الروذراورى ، محمد بن الحسن
ذيل كتاب بحارب الأمم، القاهرة ، ١٩١٦ .
الزمخشري ، جابر الله أبى القاسم محمد
تفسير الكشاف، بيروت، (لا. ت).
السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة - ١٩٦٨ .
السافعي ، محمد بن ادريس .
الام ، القاهرة ، ١٩٦١ .
ابن السحنة ، ابراهيم بن أبى اليمن
لسان الحكماء في معرفة الأحكام، بهامش نعين الحكماء للطرابلسي.
الصديقي، هلال بن المحسن
رسوم دار الخلافة، بغداد، ١٩٦٤ .
الطبرى ، محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة .
ابن العديم .
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، (لا. ت)
العسكري ، الحسن بن عبدالله
الأوائل ، طنجة ، (لا. ت)
القرافي، احمد بن ادريس
الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، القاهرة، ١٩٣٨ .
الفرتي ، يحيى الدين عبدالقادر
الجواهر المضية في الطبقات الحنفية، الدكن، ١٣٣٢ .
القلقشندي، احمد بن عبدالله
صبح الأعشى، القاهرة (لا. ت)
مآثر الانافه في معالم الخلافة، الكويت ١٩٦٤ .

- الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد
مختصر التاريخ، بغداد ١٩٧٠ .
- الكنبي، محمد بن ساكر
فوات الوفيات ، القاهرة ١٩٥١
- الكندى، محمد بن يوسف
كتاب الولاة وكتاب المضاة، القاهرة ١٩٠٨ .
- الماوردي ، علي بن محمد
الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٦٦ .
- النوري ، احمد بن عبدالوهاب
نهاية الأرب، القاهرة ١٩٥٥ .
- فداه ، ابن جعفر
الخراج وصناعة الكتابة، مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد برقم ١٦ .
- ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم
كتاب الخراج ، القاهرة ١٣٨٢ .



سَيِّدُ الرُّسُلِ صَلَّاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ مَعَ النَّبِيِّ

- غزوة بني قينقاع .
- غزوة بني النضير .
- غزوة بني قريظة .
- غزوة خيبر .

للدكتور: إحسان شريفا - متوكِّفًا





كل من درس الكتب التاريخية الإسلامية وخاصة كتب السيرة النبوية، وجد أن عداوة اليهود ضد محمد (صلى الله عليه وسلم) قد بدأت من طفولته، ولا تزال تدوم ضد الإسلام والمسلمين الى يومنا هذا .

هم الذين أرادوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم وهو مع حليمة، أمه التى أرضعته ويقول ابن سعد: «ان أم النبى صلى الله عليه وسلم لما دفعته الى السعدية التى أرضعته قالت لها: احفظى ابنى، وأخبرتها بما رأت من المعجزات. فمر بها اليهود، فقالت: الا تحدثونى عن ابنى هذا فانى حملته كذا ووضعته كذا كما وصفت أمه، فقال بعضهم لبعض: اقتلوه، فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا، هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيمًا لقتلناه»^(١) .

هكذا كان اليهود تريد قتل الصبى خشية أن يكون نبيا وليس منهم. ونقرأ فى المصادر أيضا، لما سافر محمد (صلى الله عليه وسلم) مع عمه أبى طالب الى بصرى ولقى بحيرا، خاف عليه بحيرا أن يقتله اليهود وأوصى الى أبى طالب أن يرجع ويذهب بمحمد (صلى الله عليه وسلم) الى بلده^(٢) .

النبى المنتظر:

كما نقرأ فى الكتب التاريخية كانت أحبار اليهود، قبيل مبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) ينتظرون نبيا ويصفونه، وفى المدينة يستنصرون على الأوس والخزرج بهذا النبى المنتظر^(٣) ويقولون: «انه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم»^(٤) وكان أول من عرف مولد (محمد صلى الله عليه وسلم) فى المدينة يهودى .

(١) ابن سعد، طبقات، بيروت، ١٣٨٨ - ١١٣، ١.

(٢) ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق، نشر الدكتور محمد حميد الله، الرباط ١٩٧٦، ص ٥٥، ابن هشام، السيرة، مصر ١٩٥٥، ١، ١٨٢، ابن سعد، طبقات ١، ٥٥، المسعودى، مروج الذهب، بيروت ١٩٧٣، ١، ٥٨٩، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ٢، ٣٧، ابن كثير، السيرة النبوية، ١، ٢٤٥ .

(احسان ريبا - سفر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى بصرى والراهب بحيرا، بحث قدم فى المؤتمر العالمى الثانى للسيرة النبوية فى اسطنبول (تركيا) ١٠ - ١٧ حزيران ١٩٧٧ م .

(٣) ابن هشام - السيرة - ١، ٢٠٤ .

(٤) ابن هشام - السيرة - ١، ٢١١ .

قال حسان بن ثابت: «والله انى لفلان يفعة، ابن سبع سنين أو نمان أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمه بينرب: يا معشر يهود، حتى اذا اجتمعوا اليه، قالوا له: ويلك، مالك ؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به»^(٥).

فلما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون. فأنزل الله سبحانه وتعالى: « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» فقال لهم معاذ بن جبل: «يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته» قالوا: «ما جاءنا بشئ نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكره لكم»^(٦) هكذا كذبوه بغيا وحسدا وضغنا .

لم يكن اليهود تنكر نبوه محمد (صلى الله عليه وسلم) فقط، بل كانوا يعارضون كل من أسلم منهم، ولو كان سيدهم أو خبرهم أو عالمهم كعبدالله بن سلام^(٧) وكلما رأوا عداوة ضد الإسلام والمسلمين، اشتركوا فيها، ولا سيما تعاونهم مع المنافقين في نفاقهم .

تأسيس الدولة الإسلامية :

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كان عدد اليهود فيها قريبا من نصف سكانها^(٨) وكان عدد المسلمين قليلا جدا بالنسبة اليهم والى المشركين من العرب. فأهم شئ عند وصوله (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة كان إقامة الأمن للمسلمين. ولهذا جمع المسلمين واليهود ومن أجاب اليه من العرب فى دار أنس رضى الله عنه فكتب لهم كتابا^(٩) وهذا الكتاب كان دستور الدولة التى أسسها، وهو أول دستور مكتوب فى تاريخ البشر^(١٠) أيضا. وألحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جماعة بحلفائها وجعل بينه وبينهم أمانا^(١١) وأدع فيه

(٥) ابن هشام - السيرة - ١، ١٥٩ .

(٦) ابن هشام، ٢، ٥٤٧ .

(٧) ابن هشام، ٢، ٥١٦ .

(٨) Mohammad Hamidullah , Le Prophete de L'Islam, 4 ed.

(٩) ابن هشام، ٢، ٥٠٢، الواقدي، مغازى، اكسفورد ١٩٦٦، ١، ١٧٦ .

(١٠) Mohammed Hamidullah, Le Prophete de L'Islam, I, 185

(١١) المقرئى، امتاع الأسباع - القاهرة ١٩٤١، ١، ١٠٣ - ١٠٥ .

اليهود وعاهدهم وأفرهم على دينهم وأموالهم. ولكن عندما نطالع نص هذا الدستور، نرى أن أسماء قبائل اليهود كقنيقاع أو بنى النضير أو بنى قريظة ليست مكتوبة، بل هم حلفاء لقبائل العرب، ولا يذكر في الدستور الا تحت لفظ «يهود». وهكذا أوجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأمن للمسلمين.

بعد هذه المسألة السياسية، حل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسألة الاقتصادية التى هى اعاسة واقامة المهاجرين الذين تركوا كل أموالهم فى مكة وهاجروا فى سبيل الله. وهى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ولا نرى مثل هذه المؤسسة البشرية الانسانية فى تاريخ البشر الى يومنا هذا.

ولكن اليهود لم تحتمل الاسلام وانتساره واستتدت عداوتهم وبدأ شعراؤهم الفاسدون يهجون ويمكرون ويسبون الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم ابو عفك وكعب بن الأسرف وابن سنيينة وغيرهم. وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصبر على عداوتهم حتى بالغوا فى طغيانهم.

كان أبو عفك اليهودى يحرض على عداوة النبی (صلى الله عليه وسلم) ويقول الشعر حتى قتله سالم بن عمر^(١٢) وكان كعب بن الأسرف - عدو الله ورسوله يهجو النبی (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ويحرض عليهم كفار قريش فى شعره ثم خرج الى مكة بعد غزوة بدر فجعل يرنى قتلى بدر ويحرض قريشا^(١٣) ولما رجع الى المدينة قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من لى بابن الأسرف فقد آذانى» فقال محمد بن مسلمة: انا به يا رسول الله وأنا اقتله، وقتله^(١٤) وكان ابن سنيينة أيضا يهجو النبی (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه حتى قتل.

وأخاف الرسول (صلى الله عليه وسلم) اليهود بقتل شعرائهم وحذرت يهود وخافت وذلت^(١٥).

(١٢) امتاع، الأسباع، ١٠٣، ١.

(١٣) امتاع الأسباع، ١٠٧، ١٠٨ - ١٠٨.

(١٤) ابن هشام، ٣، ٥١.

(١٥) امتاع الأسباع، ١٠، ١١٠.

غزوة قينقاع :

كما قلنا آنفاً، أخاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اليهود بنهمهم عن العدو ضد المسلمين. ولكن بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين الرسول (صلى الله عليه وسلم) من العهد فجمعهم بسوق قينقاع وقال: «يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يوقع الله بكم من وقعه فربش، فوالله انكم لتعلمون انى رسول الله، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من لقيت، انك فهرت فوما أغمارا، وانا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تعدل ملك»^(١٦).

فبينهم على ما هم عليه من اظهار العداوة ونبد العهد، جاء امرأه رجل من الأنصار الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صانع فى حلى لها، فجاء أحد من بنى قينقاع فحل درعه من ورائها بنشوكه ولا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا بها، فانبعه رجل من المسلمين فقتله. فاجتمع عليه بنو قينقاع وقتلوه، ونبدوا العهد الى النبى (صلى الله عليه وسلم) وحاربوا ومحصنوا فى حصنهم. فأنزل الله تعالى: «واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين»^(١٧) - فقال صلى الله عليه وسلم: أنا أخاف بنى قينقاع، فسار اليهم. وكان بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبى بن سلول المنافق عدو المسلمين. وكانوا أسجع اليهود، فكانوا أول من غدر من اليهود، فحاصروهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه. فأمر بهم فربطوا، ثم خلى عنهم بسفاعة عبدالله بن أبى بن سلول، وأمرهم أن يجلوا من المدينة، فجاء ابن أبى بحلفائه معه، وقد أخذوا بالحروح، يريد أن يكلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليقرهم فى المدينة^(١٨) ولم يقبل منهم فأجلاهم محمد بن مسلمة الأنصارى وقبض أموالهم وسلاحهم، وخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب منهم وقسم ما بقى على أصحابه .

ونتيجة ذلك أن صبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على طغيان اليهود حتى بالغوا فيه وفكروا فى قتل المسلمين ونبدوا العهد، حاصروهم وقابلهم وأجلاهم عن المدينة .

(١٦) الوحدى ، المقدى ، كسفورد ١٩٦٦ ، ١ ، ١٦٧ ، امتنع الأسباع ١ ، ١٠٣ ، ابن هشام ، ٣ ، ٤٧

(١٧) الأنفال - ٥٨

(١٨) الواحدى ، المغازى ، ١ ، ١٧٨



غزوة بنى النضير :

لما قتل عمرو بن أمية رجلين من بنى عامر بعد وقوعه بئر معونة، ولهما أمان وعهد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهولاه علم به، أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يبعث بدينهما الى بنى عامر. وخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى بنى النضير يستعينهم في دمه القتيلين لأنهم كانوا من بعه الدولة الاسلاميه وهم حلفاء لبنى عامر وقالت اليهود لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفعل يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، اجلس حتى نطعمك! ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسند الى بيت من بيوتهم ثم خلا بعضهم الى بعض. وأسار عليهم كبيرهم حبي بن أخطب وقال: «يا معشر اليهود قد جاءكم محمد في نفي من أصحابه لا يلبغون عسره، فاطرحوا عليه حجاره من فوق هذا البيت الذى هو تحتة فاقتلوه، فلن يجدوه أخلى منه الساعه! فانه ان قتل تفرق أصحابه فلحق من كان معه من فرس بحرمهم، وبقي من هاهنا من الأوس والخزرج حلفاءكم»^(١٩) فقام عمرو بن جحاش ليطرح عليه (صلى الله عليه وسلم) صخره - فإسلام بن مسكم: يا قوم، أطيعونى في هذه المره وخالفونى الدهر! والله ان فعلتم ليخبرن بانا قد غدونا به، وان هذا نقض العهد الذى بيننا وبينه فلا تفعلوا!^(٢٠)

نريد أن نضع جوهر السياسة التى اتبعها النبى (صلى الله عليه وسلم) في هذه الغزوة، ناركبن التفاصيل الفرعيه .

فلما هيا الصخرة ليرسلها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جاء الوحى بما هموا به فنهض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورجع الى المدينة، وهم يظنون انه قام يقضى حاجه^(٢١) وقال لهم كنانة بن صويراء اليهودى: ان اسلموا وهو رسول الله وأنه لآخر الأنبياء^(٢٢) ولم يقبل ذلك منه .

(١٩) الواقدي، المغازى، ١، ٣٦٤.

(٢٠) الواقدي، المغازى، ١، ٣٦٥.

(٢١) الواقدي، المغازى، ١، ٣٦٥، ابن هشام، ٣، ١٩٠، اسامع الأسامع، ١، ١٨٠.

(٢٢) الواقدي، المغازى، ١، ٣٦٥.



فلما رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المدينة بعث الى اليهود محمد بن مسلمة، وأمرهم بترك المدينة لأنهم نقضوا العهد، وأرسل حبي بن أخطب خبرا الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال بأنهم لن يخرجوا من المدينة .

وسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى بني النضير وحاصره ودد الحصار أياما ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالنخل ففقطعت وحرفت، فسقى على اليهود قطع النخل وبعت حبي بن أخطب الى النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه يخرج ومن معه، ونرى سياسة الرسول في هذه الغزوة كانت إجلاءهم من المدينة. هم فكروا في قتله (صلى الله عليه وسلم) وهو اكتفى بإجلائهم من المدينة لأنه كان رسول الله. ولو كان رجل غير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقتلهم جميعاً .

أذن لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أموالهم ما حملت الإبل إلا السلاح وقسم الغنيمة للمهاجرين. وكان المهاجرون يسكنون في دور الأنصار .

وهكذا حل الرسول (صلى الله عليه وسلم) مشكلة السكن للمهاجرين. فأنزل الله تعالى في بني النضير: **«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ»** (٢٤١)
غزوة بني قريظة :

لما أجلي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بني النضير ساروا الى خيبر. فلما قدموا خيبر، خرج اليهودي حبي بن أخطب في بضعة عشر رجلا الى مكة، يدعو قرينا واباعها الى حرب محمد (صلى الله عليه وسلم) فقالوا لقريش: «نحن معكم حتى نستأصل محمدا؛ جننا لنحالفكم على عداوته وقتاله فقال أبو سفيان: مرحبا وأهلا، احب الناس الينا من اعانتنا على عداوة محمد. واننا نرى هنا كيف كان يحرض اليهود قرينا على عداوة الاسلام والمسلمين .

وكان هؤلاء اليهود يفضلون وثنية قريش على الاسلام . وعندما سأل أبو سفيان وفد اليهود: «يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، اخبرونا عما أصبحنا نحن فيه ومحمد،



أدبنا خير أودن محمد؟» فمالت اليهود «اللهم انتم أولى بالحق منه»^(٢٤) فانزل الله تعالى:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّائُفَاتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا »^(٢٥).

واتفقوا على التعاون في ما بينهم ثم خرجت اليهود الى غطفان، وجعلت لهم نمر خبير سنة ان هم نصرهم^(٢٦) ثم عاهد حبي بن أخطب ابا سفيان أن ينفضوا العهد الذي بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) - وأتى حبي بن أخطب الى بنى قريظة فكرهت فرظة دخول حبي بن أخطب الى دارهم ولكنه أقنعهم حتى قبلوا آراءه ونفضوا العهد وشقوا الكتاب الذي كتبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينه وبينهم^(٢٧) وتعاونوا مع المشركين في غزوة الخندق. ولما علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) خيانه بنى قريظة، أشد ذلك عليه، وكانت غزوة الخندق نستمر مع كل سدتها والرسول (صلى الله عليه وسلم) في الخندق مع أصحابه .

وحينئذ همت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً فجاء خبر ذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعظم البلاء وبعث طائفة من المسلمين يحرسون المدينة ويظهرون التكبير فاذا أصبحوا امنوا وكان الخوف على ذراري المدينة من بنى قريظة أسد من الخوف من فريس وغطفان .

وبعد اختلاف الأحزاب في غزوة الخندق وانصراف فريس وغطفان اليائسون من المدينة كانت غزوة بنى قريظة .

لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الخندق دخل بيت عائشة رضي الله عنها وصلى الظهر فأناه جبريل عليه السلام فنادى: عذيرك من محارب؟ فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له جبريل: ألا أراك وضعت السلاح ولم تضعها الملائكة بعد؟ ان الله يأمرك ان تسير الى بنى قريظة فاني عامد اليهم فمززل بهم حصونهم .

(٢٤) الواقدي، المغارى، ٢، ٤٤٢، امتاع الأسباع، ١، ٢١٧، ابن هشام، ٣، ٢١٤.

(٢٥) النساء، ٥١.

(٢٦) امتاع الأسباع، ١، ٢١٧.

(٢٧) امتاع الأسباع، ١، ٢٦٧.

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليا رضى الله عنه فدفع إليه لواءه. وبعد بلالا رضى الله عنه فأذن في الناس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأمركم الا تصلوا العصر إلا في بنى قريظة^(٢٨) فصار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى بنى قريظة مع أصحابه وأحاطوا بحصون اليهود وراموهم بالنبل والحجارة وهم يرمون من حصونهم. فنزل منهم نبال بن قيس وكلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): على أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير: له الأموال والسلاح ويحرقن دماءهم، ويخرجون من المدينة بالنساء والذراري، ولهم ما حملت الابل إلا السلاح فأبى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الا أن ينزلوا على حكمه. وعاد تباش اليهم بذلك، فأشار عليهم سيدهم كعب بن أسد بأن يدخلوا في الاسلام وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته (صلى الله عليه وسلم) فلم يقبلوا رأيه. فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا فليقاتلوا حتى يظفروا. فأبوا ذلك، فأشار عليهم أن يخرجوا ليله السبت والمسلمون آمنون فيبييتونهم فقالوا: لا نحل السبت، واختلوا وندموا على ما صنعوا^(٢٩).

ثم نزلت اليهود على حكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأمر بأسراهم فكفوا رباطا.. وطلبت الأوس من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يهب لهم بنى قريظة فانهم حلفواهم كما وهب لابن أبي فينقاع حلفاءه. فقال: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم الى رجل منكم؟ قالوا: بلى! قال: فذلك الى سعد بن معاذ فحملته الأوس الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال سعد للأوس: انرضون بيحكمي لبني قريظة؟ قالوا: نعم! فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به قال: فأتى أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه المواشي وتسبى النساء والذرية، وتقسّم الأموال. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد حكمت بحكم الله ونفذ الحكم^(٣٠).

ويقال أن سعد بن معاذ أخرج هذا الحكم من لتوراه. وانا نجد في لتوراه التي بين أئدنا اليوم السطور الآتية:

«حين تقرب من مدنه لكى يحاربها اسندعها الى الصلح. فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل السعب الموجود فيها يكون لك للنسخير وستعبد لك».

(٢٨) امتاع الأساع ١٠ ٢٤١.

(٢٩) ساع الأساع ١٠ ٢٤٣.

(٣٠) ابن هشام ٣ ٢٤٠.



وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك» (٣١).

أما بعد .. فأننا نرى أن كل هذه الغزوات مع اليهود كانت جوابا لخيانتهم على المسلمين. وكما قلنا آنفا ان أول من نقض العهد من اليهود كان بنو قينقاع، وعفا عنهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأجلاهم، نانيا همت بنو النضير على قتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعفا عنهم وأجلاهم، ولكن اليهود لم يصلحوا ولم يتوبوا عما فعلوا وخانوا ونقضوا العهد حتى تعاونوا مع المشركين في غزوة الخندق . وقتلهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنهم لا يفهمون ولا يعقلون الا بالقتل. وهذا الحكم من بدء تاريخهم إلى يومنا هذا ولهذا نبهنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) على اليهود، وكان آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «أخرجوا اليهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب» (٣٢).

وعلينا اليوم أن ننظف القدس المحتلة من هؤلاء الصهاينة الخائنين المجرمين الملعونين الذين لا تزال تدوم عداوتهم وجرائمهم ضد الإسلام والمسلمين .

(٣١) الكتاب المقدس - تثنية - ١٠/٢١ - ١٥

(٣٢) سنن الدارمي، كتاب السير، ٢، ٢٢٣

سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته مع اليهود

عندما نطالع الكتب التاريخية الاسلامية، نرى أن عداوة اليهود ضد الاسلام ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد بدأت منذ ظهور الاسلام ولم تنقطع حتى يومنا هذا، ونعرف أيضا أن اليهود كانوا قبيل مبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) ينتظرون نبيا ويصفونه ويستنصرون على الأوس والخزرج بهذا النبي المنتظر وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) بصبر على كل الأذى الذي يلقاه من اليهود. ولما رأوا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتحمل أذاهم بالسب والشتيم والمكر ولا يحيد عن دعوته، بدأوا بالمنسغبة الفعلية .

وكما رأينا في بحثنا هذا، أن اليهود فكروا في قتل محمد (صلى الله عليه وسلم)، وخاصة بعد غزوة بدر، أظهروا البغي والحسد، وبالغوا في طغيانهم حتى هتكوا أعراض نساء المسلمين وخانوا عهودهم ووعدهم فوقفوا بجانب أعداء المسلمين من المبركين.

كانت هذه الأمور كلها دأعية لبدء غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود . وفي بحثنا هذا .. رأينا كيف غزا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اليهود وما كانت سياسته في هذه الغزوات .

الدكتور احسان ثريا صيرما

تركيا

صفحات من تاريخ الانتفاضة
الشعبية اللبنانية

للسنة ١٩٥٨

صادق حسن السوفاي

مدرس / قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة بغداد



مقدمة

عم الاستياء الشعبي لبنان على عهد الرئيس بشارة الخوري لما ساد حكمه الذي امتد بين ١٩٤٣ - ١٩٥٢ من فساد ورشوة ومحسوبية واستغلال للنفوذ وانراء غير مشروع^(١). وأتهم كبار الساسة اللبنانيين ومنهم صائب سلام الرئيس الخوري بأنه «جعل الدولة مزرعة لأصحابه وأصدقائه وأهله»^(٢) فضلاً عن ان مركز الخوري السياسي قد ضعف كثيراً باغتيال صديقه وحليفه ورئيس وزرائه رياض الصلح، الذي سقط صريع رصاص أحد أعضاء الحزب السوري القومي* المنحل رداً على اعدام حكومة الصلح لسبعة من قادة الحزب على رأسهم مؤسسه ورئيسه انطون سعادة بعد محاولة الحزب الانقلابية الفاشلة في لبنان في حزيران

(١) عبدالرازق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج١، ص ٢٨٩.

(٢) اسكندر الرباسي، رؤساء لبنان كما عرفتهم، ص ١٥٩.

• اسمه انطون سعادة مع مجموعه من الشباب في الجامعة الأمريكية في بيروت في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٢. استمر الحزب يقاوم الانتداب الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية، وبغياب مؤسسه الذي اصدرت السلطات الفرنسية امراً بنفيه غيابياً، عاد مؤسس الحزب الى لبنان في آذار ١٩٤٧، واصدرت السلطات اللبنانية امراً باعتقاله بعد خطاب القاه في مطار بيروت وهاجم فيه الكيان اللبناني. اعدم زعيمه انطون سعادة سنة ١٩٤٩ بعد اتهامه بالعصيان المدني المسلح. توالى على رئاسة الحزب بعد موت مؤسسه كل من جورج عبدالمسيح، مصطفى رشيد، أسد الأسقر، عبدالله محسن، عبدالله سعادة، عصام محاري، يوسف الاشقر، مسعد جميل، اسد الأسقر. انتفى جورج عبدالمسيح مع مجموعة من الاعضاء سنة ١٩٥٧ وأسس نجماً باسم «الحزب القومي الاجتماعي».

اغتيال أحد أعضاء الحزب العفيد عدنان المالكي في ٢٢ نيسان ١٩٥٥ في دمشق، وجرت ابر ذلك ملاحقة لاعضاء الحزب وتحاكمتهم في سوريا. في سنة ١٩٥٨ وقف الحزب مع كميل شمعون ضد المد الناصري التحرري. في أواخر ١٩٦١ قام الحزب بانقلاب فاشل ضد حكم فؤاد شهاب واعقب ذلك حملة ملاحقة ضد اعضائه ثم صدر مرسوم بحله. عاد الى العمل العلني في أواخر ١٩٧٠ في لبنان حيث تركز قوته الأساسية من أهدافه المعلنة بمحاربة وحدة سوريا الكبرى. والجدير بالذكر ان فكر هذا الحزب تأثر كثيراً بالفكر الاجتماعي الألماني، كما انه تميز في بدايه نشأته وحتى الى ما بعد ١٩٥٨ بعدائه الشديد للسبوعية، وباعتباره الصهيونية واليهودية شيئاً واحداً. وما زال حجاج جورج عبدالمسيح يسير على نفس هذا الخط السياسي في حين ان فكر الحزب قد تطور وبدأ يحاول التعاون مع قوى اليسار والمقاومة الفلسطينية بشكل خاص. انظر الموسوعة السياسية، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

١٩٤٩^(٣). وكان الناس قبل اغتيال الصلح يقولون «إذا افترق بشارة الخوري ورياض الصلح ضاع الانسان فالواحد منها يكمل الآخر»^(٤).

ولا بد من الانتارة ايضا الى أن لجوء الحكومة الى حل بعض الاحزاب والمنظمات ذات الطابع شبه العسكري مثل الكتائب^(٥) والنجادة^(٦) دفع هذه القوى وغيرها الى التلاحم ضد بشارة الخوري^(٧). مع العلم ان هذه القوى المتناحرة عموماً لم يجمعها سوى الرغبة في اسقاط الخوري عن سدة الرئاسة.

وقاد عملية الضغط على الخوري لحمله على الاستقالة زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط، وقد حملت جريدة الحزب «الانباء» راية الحملة المعادية للحكومة^(٨) وعم الاضراب البلاد تلبية لدعوة القوى المعارضة منذ ١٦ أيلول ١٩٥٢، وتقرر استمراره حتى يسقط الخوري، فاضطر للاستقالة يوم ١٨ أيلول ١٩٥٢^(٩). مع أن مدة رئاسته كانت تنتهي رسمياً يوم ٢٣ أيلول ١٩٥٥، أي أنه انسحب قبل ثلاث سنوات وخمسة أيام من الموعد القانوني المحدد لانتهاه ولايته الثانية المتدنة في ١٩٤٩. وقد عهد بالرئاسة مؤقتاً الى فؤاد

(٣) كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص ١٥٨.

(٤) لرياضي، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٥) حركة سياسية لبنانية تأسست في بداية العقد الرابع من هذا القرن استجابة للسياسة الفرنسية الرامية الى تكريس كيانات التجزئة الاقليمية الواقعة تحت إندائها على أساس طائفي سياسي، وفصل الدولة اللبنانية عن المجموعة العربية قوياً وسياسياً. وكان السبب المباشر لتكوين هذه المنظمة طائفي فضلاً عن الرد على الحركة العربية النامية، وقد تبنت الكتائب اسلوب التشكيلات الفاشية والانماط العسكرية على شاكلة الفلانج (الكتائب) الأسبانية التي اقتبست الاسم عنها. ومن أبرز مؤسسي الحزب بيير الجميل وشارل حلو الذي انسحب منها فيما بعد. انظر الموسوعة السياسية، ص ٢٣٩.

(٦) قامت حركة النجادة اللبنانية في الثلاثينات من مطلق القرن الذي كان يشعر به المسلمون، وخاصة لجماعة السنّة في تمثيلهم في الادارة والدولة وفي مصالحهم العامة وحقوقهم في العلم والتنمية الاقتصادية، وكمقابل لحركة الكتائب اللبنانية.. وتفنن لنجادة الى برنامج واضح. وقد تبنت فيما بعد شعار لعمية العربية دون ان تربط ذلك بحركة التحرر الاجتماعي العربي. ورغم وقوفها الى جانب القضية العربية، فإن النجادة تعتبر اقرب الى ليمين منها الى اليسار العربي، في محاولة تعبيرها عن مصالح البرجوازية الاسلامية الكبيرة. رئيس النجادة الحالي عدنان الحكيم. انظر الموسوعة السياسية، ص ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٧) الصليبي، المصدر السابق، ص ص ٢٣٦ - ٢٣٩.

(٨) انظر: كمال جنبلاط حقيقة الثورة اللبنانية، ص ص ٢٠ - ٢١.

(٩) الصليبي، مصدر سابق، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

شهاب القائد العام للجيش الذي قبلها بـسـرط انتخاب رئيس جديد بأسرع وقت من قبل مجلس النواب منعاً لحدوث أزمة دستورية^(١٠).

بعد أن شغرت الرئاسة الأولى بدأ الصراع بين الموارنة لملء هذا المقعد الشاغر. وقد انحصرت المنافسة الفعلية بين ثلاث شخصيات مارونية هي: كميل شمعون، حميد فرنجية (الشقيق الأكبر للرئيس اللبناني السابق سليمان فرنجية)، اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش. ولما كان الأخير عازفاً عن ترشيح نفسه لأسباب لسنا في مجال الخوض فيها، فقد انحصرت المنافسة بين شمعون وفرنجية. ولكن سرعان ما انسحب فرنجية بسبب الترغيب - المصحوب بالترهيب كما يبدو من قبل شمعون، فيما لو تولى الرئاسة، خاصة وأن شمعون عين فرنجية بالفعل مساعداً له بعد توليه الرئاسة. ثم ما لبث بعد عدة أشهر أن ابتعد.

وهكذا لم يبق من المرشحين غير شمعون، الأمر الذي رجع كفته، واضطر معظم القوى، حتى الوطنية منها إلى إعطائه أصواتها رغم ولائه للغرب والشك في مواقفه من القضية القومية، ولا سيما ما يخص مسألة فلسطين^(١١). ولا يستبعد دعم المخابرات المركزية الأمريكية له. يقول الكاتب الأمريكي مانفريد هالبرت بهذا الصدد ما نصه: «ويبدو أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A. ساعدت على انتخاب شمعون عام ١٩٥٢»^(١٢).

إن عدم ثقة الحركة الوطنية اللبنانية، وعلى رأسها جنبلاط وحزبه والقوى المستقلة، بشمعون دفعها إلى ربطه بتعهد قبل أن تمنحه أصواتها، ظناً منها أن هذا العهد قد يعيقه عن السير في خطه المعادي للعروبة وللبنان. وقد وقع بالفعل على هذا التعهد يوم ٢١ أيلول ١٩٥٢^(١٣). ثم تعهد ثانية أمام قائد الجيش فؤاد شهاب ليكون ضامناً وكفيلاً لتعهداته^(١٤)، الأمر الذي ترك بصماته على مواقف شهاب اللاحقة من شمعون كما سنلاحظ ذلك فيما بعد.

(١٠) جريدة «لواء الاستقلال» البغدادية، ١٩ أيلول ١٩٥٢، وانظر صلاح العقاد، المشرق العربي، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(١١) انظر جنبلاط، صحيفة الثورة اللبنانية، ص ٢٨ - ٢٩.

(١٢) انظر رينسارد بارت، حروب التدخل الأمريكي في العالم، ص ١٢٠.

(١٣) انظر جنبلاط، صحيفة الثورة اللبنانية، ص ٥٧ - ٥٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.

وبهذا الأسلوب جاء كميل شمعون الى كرسي الرئاسة بأغلبية ٧٤ صوتاً، إلا أنه سرعان ما كشف القناع عن وجهه الحقيقي فبدأ بمحاربة القوى الوطنية سرّاً ثم علانية لما توفر له تركيز سلطته في الادارة وفي الدولة^(١٥). وأخذ شمعون يعزز من نفوذه بالتخلص من منافسيه وتعيين أعوانه بدلاً منهم في المناصب الحساسة. وصارت الوظائف تشتري بالأموال، حتى غدت الرشاوي سمة ملازمة للنظام إلا فيما ندر.. وقد بلغ الأمر حد اطلاق سراح المجرمين الخطرين ليسرحوا ويمرحوا مقابل مبالغ من المال يدفعونها لكبار المسؤولين^(١٦) الذين لم يترددوا حتى عن بيع أوسمة الدولة ونياشينها^(١٧). كما تفشت في عهده تجارة المخدرات وتداولها وانتشرت الدعارة والمقامرة، وانحطت الأخلاق العامة، إذ أصر شمعون على تحويل لبنان إلى «فندق» و «علبة ليل» في محاولة مدروسة لافساد وجه لبنان العربي بقطع أوصاله الروحية مع الماضي ومع الجوار ومع ذاته^(١٨).

ولما كان شمعون ينوي التجديد للرئاسة بل خطأ جملة خطوات نحو هذا الهدف، فقد حذر حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان في بيان له اصدره في أيار ١٩٥٨ من هذا التوجه، مؤكداً ان نجاح شمعون في ذلك معناه «استمرار الطغيان الفردي على حكم لبنان، وضرب حركات الشعب الوطنية، واستمرار سياسة ربط لبنان بالعملة الامريكية، وتفوق الاخطبوط الرجعي الاقطاعي على القوى الشعبية، وتكريس الانقسام الطائفي العشائري المصطنع بين صفوفه، وبالتالي تهديد استقلال لبنان نفسه»^(١٩).

وقد لخص الحزب سياسة شمعون الداخلية بالنقاط الأربع التالية:

- ١ - اغراق لبنان بالانتاج الاجنبي بحجة الحرص على مبدأ الاقتصاد الحر.
- ٢ - تكريس سياسة التفرقة الطائفية وتقديم مصالح طوائف معينة على حساب طوائف أخرى.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(١٦) جريدة «الحرية» البغدادية، ٢ تشرين الأول ١٩٥٨.

(١٧) جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، ص ٣١ - ٣٢.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(١٩) نضال البعث، ج ٨، ص ١٢١.



- ٣ - عرقلة كل مشروع اقتصادي: صناعي أو زراعي أو عمراني يمكن أن ينعش مناطق لبنان الريفية وبصورة خاصة منطقة الجنوب المتاخمة لإسرائيل .
- ٤ - محاولة سلخ لبنان ثقافياً عن التيار الثقافي العربي الذي يعتز به الشعب والذي يتجاوب مع روحه وتراثه^(٢٠) .

اما سياسته الخارجية فكان شعارها «مزيداً من الولاء للغرب، مزيداً من العداء للشعوب والحركات التحرر العربية» فنراه من جهة يضع لبنا في خدمة حلف بغداد، بعد أن رحب به في بيان رسمي^(٢١)، بالتنسيق مع النظام الملكي في العراق، وأخذ الأموال منه، ومن تركيا لضرب الحركات الجهادية في القطر اللبناني^(٢٢)، خاصة بعد توقيع شمعون على بيان أنقره أثر زيارته لها في نيسان ١٩٥٥ تمهيداً للدخول في حلف بغداد^(٢٣) ومن جهة أخرى اتخذ شمعون موقفاً معادياً للنورة المصرية، خاصة بعد وضوح خطها القومي^(٢٤)، وبسبب الزخم الجهادي المؤيد لتأميم قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦، اضطر الى «تأييد» التأميم علناً والعمل ضد مصر وقيادتها الوطنية سراً. ولما بدأ العدوان الثلاثي ضد مصر في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ ساد لبنان شعور بالسخط والثورة. وسرعان ما كشف شمعون أوراقه حينما رفض طلباً من عبدالله اليافي رئيس حكومته وصائب سلام عضوها الفعّال بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا، وسحب السفيرين اللبنانيين من لندن وباريس احتجاجاً على موقف الدولتين المعتدتين، إلا أنه رفض ذلك بشدة، فاستقال اليافي وسلام في تشرين الثاني ١٩٥٦^(٢٥) وارتبكت أوضاع شمعون تماماً حينما انتصرت مصر في حربها العادلة ضد المعتدين وانسحاب هؤلاء مكرهين من مصر. وحرصاً من شمعون على نظامه، أعلن ترحيبه بالمبدأ الذي طرحه الرئيس الأمريكي ايزنهاور في مطلع عام ١٩٥٧ والذي عرف باسمه . وكما هو معروف ان الرئيس الأمريكي أصدر «مبدأ» المذكور بحجة «ان الفراغ الحالي في الشرق الأوسط لا بد

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٤٩ .

(٢١) جهاد محمد محي الدين، حلف بغداد، ص ٢٣٣ .

(٢٢) انظر فؤاد عمون، سياسة لبنان الخارجية، ص ٦٢ .

(٢٣) انظر جسلاط حقيفة، الثورة اللبنانية، ص ٥٣ - ٥٥ .

(٢٤) انظر عدنان فواز، دور لبنان السياسي في العالم العربي، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢٥) الصليبي، مصدر سابق، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

ان يجري اشغاله من قبل الولايات المتحدة قبل ان يتم ذلك من قبل الاتحاد السوفيتي»^(٢٦) وفي الواقع لم يكن من الصعب على العرب إدراك كنه مبدأ ايزنهاور وفهم دوافعه الحقيقية التي كان من شأنها الهائهم عن قضيتهم المركزية، يقول الكاتب الأمريكي ريتشارد بارنت بهذا الصدد: «ان المبدأ لم يعرض الحماية إلا ضد [ما يسميه] العدوان الشيوعي بينا العرب مهتمون أكثر بالعدوان الاسرائيلي، لذا لم يكن لديهم دافع كبير للاتفاق مع الولايات المتحدة»^(٢٧).

من هنا فان موقف كميل شمعون جاء على طرفي نقيض مع مصالح اللبنانيين وعموم العرب، وهو لم يكن بمعزل عن توجيهات خارجية لم تكن بخافية عن القوى الوطنية اللبنانية، فكما كتب هالبرت في حينه كان «معظم اللبنانيين المهتمين بالسياسة» يعتقدون «ان الرئيس اللبناني ووزير خارجيته شارل مالك رغم عدم استشارتها الاعضاء الاخرين في الحكومة بخصوص الترحيب بمبدأ ايزنهاور، كانا يتحركان منذ البداية باتفاق مع C.I.A. ومهما كانت نشاطات الولايات المتحدة السرية في السياسة اللبنانية، فانها كانت تراهن بشكل مكشوف على شمعون باعتباره اكثر سياسي لبناني جذابة بالوقوف بوجه عبدالناصر وحياده الايجابي»^(٢٨).

ولما كان معظم اعضاء البرلمان من اعداء شمعون بفضل التزيف الذي ساد انتخابات ١٩٥٣ النيابية، فقد تمت الموافقة على تبني لبنان لمبدأ ايزنهاور^(٢٩). وقد اعتقد شمعون ان ذلك رسخ نظامه بشكل يمكنه الانفصام كلياً عن القوى الوطنية ومجاهة الجهاديين فعندما اقتربت الانتخابات النيابية لسنة ١٩٥٧ زادت الحكومة من تعسفها بحق الجهاديين، فضربت بشدة مظاهراتها التي عمت شوارع المدن اللبنانية الكبرى، مما أدى الى سقوط عدد كبير بين قتيل وجريح^(٣٠). وبفضل التزيف مرة اخرى فاز اعداء شمعون بالانتخابات وخسر العديد من رجال المعارضة مقاعدهم^(٣١). ورغم ذلك أخذ الخط البياني للسخط الجهادي يتصاعد

(٢٦) بارنت، مصدر سابق، ص ١١٥ - ١١٧.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٢٩) انظر نضال البعث، ج ٨، ص ٨٣ - ٨٤.

(٣٠) جنبلاط، حقيقة الثورة اللبنانية، ص ٧٩ - ٨١.

(٣١) انظر بارنت، مصدر سابق، ص ١٢١.

خاصة بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا في ٢٢ شباط ١٩٥٨، حيث عمت الافراح لبنان، رغم تهديد الحكومة بقمع كل تظاهرة شعبية^(٣٢). وقادت القوى الوطنية والقومية المحتلة بالحزب التقدمي الاشتراكي وحزب البعث العربي الاشتراكي وغيرها الدعوة لمساندة الوحدة العربية ودعمها^(٣٣).

وهكذا نجّمت اسباب الثورة ضد نظام شمعون بفعل عدائه للجماهير من جهة وولائه للاستعمار من جهة ثانية وطعنه لتجربة الوحدة العربية بالتآمر عليها من جهة ثالثة، حتى انطلقت عواطف الجماهير وسخطها من عقابها في شهر مارس ١٩٥٨ على شكل انتفاضة شعبية عارمة.



(٣٢) د. جمال الدين الرمادي، صفحات من تاريخ لبنان السياسي ووضعها الاقتصادي، ص ٥٩.

(٣٣) نضال البعث، ج ٨، ص ١٠٧.

الفصل الأول

الانتفاضة الشعبية اللبنانية

فيما سبق لاحظنا توتر الجو السياسي بين القوى الوطنية اللبنانية وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب القومي الاشتراكي وبعض الشخصيات البارزة التي اشتهرت بمعارضة سياسة شمعون من جهة وبين القوى الحاكمة وعلى رأسها كميل شمعون وبعض السياسيين اليمينيين والقوى والاحزاب الانعزالية وفي مقدمتها حزب «الكتائب اللبنانية» من جهة أخرى . وفي وسط هذا الجو المشحون بالاحقاد والشكوك والريب والخلافات والانتظار المشوب بالحذر وتوقع الانفجار، اغتيل الصحفي التقدمي نسيب المنني^(٣٤) صاحب جريدة «تلغراف بيروت» المعارضة بشدة للحكومة بعد منتصف ليلة ٨/٧ أيار ١٩٥٨^(٣٥) والشهيد المنني كان وطنياً ينبذ الطائفية التي زاد شمعون بين بت سمومها بين السبب .

وفي صباح اليوم التالي، وبعد أن وصلت أخبار الاصطدامات المسلحة التي اشتعلت في طرابلس بين المتظاهرين وقوات شمعون، عقدت قوى المعارضة اجتماعاً ضم فاده «جبهه الاتحاد الوطني» وهم كل من حسين العويني، عبدالله اليافي، كمال جنبلاط، فؤاد عجون، صائب سلام، وقرروا اللجوء الى الكفاح المسلح . وأختير جنبلاط لبيد بالتحرك في المنطقة الجبلية قرب بيروت حيث قربته المختارة في منطقة الشوف التي يسكنها غالبية من اتباعه الدروز، حيث كانت ظروف اشتعال الثورة مهية بفعل الاصطدامات التي حدثت في الشوف بين ابنائها وعصابات شمعون، كما سبقت الإشارة. وسرعان ما تحرك رجال جنبلاط لخلق الوضع المناسب لذلك .

(٣٤) عثر في جيب المنني بعد اغتياله على خطابات تهديد بالقتل ما لم يتوقف عن حملاته ضد شمعون، مما أكد الاتهام الموجه للحكومة باللجوء الى أساليب التصفيه الجسدية في مجابهتها للمعارضة ولقمع السريفة . وذكر ان عدد رسائل التهديد كانت اربعة وهي خالية من التوقيع آخرها كان بتاريخ ١٩ نيسان ١٩٥٨ . وقد طلب المنني من شمعون ان يستميل، وذلك في اخر مقال له نشره صبيحة يوم اغتياله . انظر فوزي ابو دياب، لبنان والامم المتحدة، ص ١٣٦؛ صلاح العقاد، المسرق العربي، ص ٢١٨ .

(٣٥) بارت، مصدر سابق، ص ١٢٢ .

ادّعت «جبهة الاتحاد الوطني» بياناً اتهمت فيه الحكومة بالاسترسال في انارة الفتنة وحملتها مسؤولية اغتيال المثني داعية في الوقت نفسه الى الاضراب العام ، وبلا ذلك وفي اليوم نفسه (٨ أيار) اجماع المجلس الأعلى للصحافة الذي اتخذ قراراً باحتجاب الصحف عن الصدور لمدة ثلاثة أيام اعتباراً من (العاشر من أيار) حداً واحتجاجاً على اغتيال المثني. وفي مساء اليوم نفسه دعا كل من رشيد كرامي ومحمد حمزة الى اعلان الاضراب في طرابلس، كما أعلنت القوى الموجودة في المدينة وشخصياتها البارزة ادانتها لجرمة الاغتيال واستنكارها لها .

وفي (٩ أيار) أضربت بيروت وطرابلس والمدن اللبنانية الأخرى، وقامت نظاهرات عدسده حصل من جرائم اصطدام بقوى الامن فسقط عدد من القتلى والجرحى من الطرفين^(٣٦). وقد هاجم المتظاهرون في طرابلس مكتب الاستعلامات الامريكي وأضرموا فيه النار، مما دفع المكاتب الأوربية الأخرى المثنية الى غلق أبوابها. وعندما طالبت المعارضة الوطنية سمعون بالاستقالة كان جوابه اتهامهم بأنهم «عملاء مصريين»^(٣٧). وفي نفس اليوم تصدى رجال سمعون الى المصلين الخارجين بعد أداء أفرضة الصلاة من جامع المنصوري في طرابلس وأوقعوا فيه ضرب المبرج الذي نتج عنه جرح اربعين شخصاً من الابرياء العزل^(٣٨).

ولا بد هنا من الاسارة الى الدور المشرف الذي لعبه حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان في بدء الانتفاضة الجماهيرية ضد سمعون، ومن ثم في تعميقها وتجذيرها لتعزيز الحركة الوطنية، إذ أن قيادة الحزب بما لها من نفوذ فعال في المدن اللبنانية خاصة طرابلس وجدت ان الوقت مناسب تماماً لفتح المعركة ضد سمعون وعهده. ورأت في اجتماعها الذي عقدته صبيحه يوم اغتيال المثني ان الحادثة تصلح لبدء محاربة العهد، وقطع الطريق على تجديد سمعون لولايته. وقررت ان تقوم الحزب بجر بقية عناصر المعارضة الى المعركة في حاله تردد هذه العناصر. وبالفعل فقد ترددت «جبهة الاتحاد الوطني» في بيروت في فتح المعركة ضد

(٣٦) جويرف مغيرل، لسان والقصبة العربية ص ص ٥٥ - ٥٦، وانظر: Fahim I. QuBain, Crisis in Lebanon, p. 71.

(٣٧) ماريت، مصدر سابق، ص ١٢٢.

(٣٨) QuBain, op. cit, p. 72 وانظر الحسني، الورود، ج ١، ص ٢٩٠.

التجديد مباشرة، وقررت أن تدعو إلى اضراب عام شعاره الاستمرار في الاضراب حتى نعمل لمجرمون الذين اغتالوا المتني، حتى إذا ما نجح هذا الاضراب حول إلى معركة ضد العهد علنا. وكان نتيجة اجتماع قيادة الحزب إصدار بيان حازم اعتبرت فيه النظام القائم مسؤولاً عن جريمة اغتيال المتني ودعت المواطنين إلى الاضراب لقطع الطريق على تجديد ولاية رئيس الجمهورية. وطلبت من الجهاز الحزبي توزيع البيان في بيروت خلال مآتم المتني، ومحاولة تحويله إلى تظاهرة شعبية ضد العهد تفتح باب الاضراب. ورغم أن البيان وزع علنا، فإن السلطة لم تحاول القبض على أحد من موزعيه كي لا تساعد في ازدياد نقمة الرأي العام. ووفقت العناصر المشرفة على المآتم ضد كل محاولة للتظاهر السياسي العنيف ضد العهد.

كما كان من قرارات القيادة في الاجتماع نفسه إبلاغ أجهزة الحزب في المناطق بالدعوة للاضراب العام، وإيفاد أحد الرفاق للإشراف على بدء الحزب للمعركة في طرابلس وإيفاد أحد الرفاق لقيادة المعركة في بعلبك. وقد عرف الرأي العام فيما بعد أن انطلاق الحركة النورية كان من طرابلس وبفعل جهاز الحزب في المسدنة. ولا شك أن نجاح حزب البعث العربي الاشتراكي في فتح المعركة وتسجيل العناصر الأخرى أو جرّها إلى النضال هو نجاح له في أحد أدواره القيادية الأساسية. وقد سجل الرأي العام هذا اللجّاح للحزب واعتبره مسؤولاً إلى درجة ما عن توفيت انطلاق المعركة ضد سمعون وتجديد ولايته^(٣٩). وفي الواقع أن نشاطات الحزب في مثل تلك الأيام الحرجة أثبتت جبراته ضد نظام سمعون رغم بطشه وارهابه.

التقت زوجة الشهيد المتني في يوم (٩ أيار) مع بعض السياسيين المعارضين لسمعون، ومنهم كمال جنبلاط وصائب سلام وعبدالله اليافي، وكانت ذات شخصيه قوية وشكيمه أقوى، وأعلنت استعدادها لرفع السلاح ضد النظام أن ترددوا هم في ذلك، مما أثار حماس هؤلاء السياسيين وزاد من اندفاعهم. وفي اليوم التالي (١٠ أيار) انهم صائب سلام كميل سمعون صراحة بأنه وراء عملية الاغتيال^(٤٠).

وفي اليوم نفسه استمر الصدام في طرابلس بين قوات الأمن والمتظاهرين فذهب ضحيته عشرة قتلى وستين جريحاً. وفي اليوم التالي (١١ أيار) استؤنف «القتال» فتشكلت «المقاومه

(٣٩) نضال اليعب، ج ٨، ص ١٤١

(٤٠) موسى صبري، مختر صحفي وراء أحداث عسر نورث، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٢

السعيية» لردع قوات شمعون والتصدي لها وانجاح الاضراب. وفعلاً اغلقت معظم المحلات والمخازن ابوابها تلبية لنداء الاضراب. وكان حصيلة الأيام الثلاثة من الصدام والممتدة بين (٩ - ١١ أيار) ١٣ قتيلًا و (١١٠) جريحاً^(٤١) وفي (١٢ أيار) قام الثوار في بيروت بوضع المتاريس في السوارع المؤدية إلى قلب العاصمة. واستشهد في هذا اليوم ستة من المتظاهرين على يد رجال الشرطة^(٤٢).

وكان شمعون قد أصدر أوامره في (١١ أيار) أي بعد اعلان الاضراب - إلى أخيه فؤاد شمعون مدير الامن العام باطلاق الرصاص على المتظاهرين والمضربين قائلاً له: «لا يهمني عدد الضحايا بقدر ما يهمني فشل هذا الاضراب». وفعلاً باشر فؤاد شمعون بتنفيذ أوامر شقيقه نصاً وروحاً فاستعلت بيروت وطرابلس والمدن الأخرى بفضل رصاص السلطة، ولكن لم يثن ذلك الوطنيين الذين طالبوا الساسة اللبنانيين المعارضين لشمعون بالسلاح مؤكدين بأنه «لا بد من مقاومة العنف بالعنف»، واعتبروا الأمر امتحاناً لمسألة «حرية لبنان وعروبته» التي بدأت تتعرض لخطر جدي، داخلي وخارجي، ولا سيما بعد أن بدأت الاسلحة والاعتدة والاموال تنهال على شمعون من الدول الغربية الاستعمارية ومن عمان وبغداد^(٤٣).

ولقد كشفت الوثائق بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ان الحكومة العراقية كانت تزود شمعون بالسلاح والعتاد بهدف محاصرة الانتفاضة السعيية اللبنانية واجهاضها. وبما كشف عنه الستار لقاء الثوار اللبنانيين القبض يوم ٢٠ أيار ١٩٥٨ على سيارة تابعة للسفارة العراقية في بيروت وهي مسحونة بالسلاح لقوات شمعون، فوجه الثوار أثر ذلك انذاراً إلى السفير العراقي، الذي اصدر بياناً رسمياً حاول فيه عبثاً دحض التهمة الموجهة الى حكومته. ولكن سرعان ما تكرر الحادث في ١٥ حزيران عندما استولى الثوار على ما في سيارة ثانية مشابهة من سلاح محتجزين إياها في منطقتهم الحصينة. وقد كشف النقاب بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عن عمليتين لنقل الاسلحة والعتاد من بغداد إلى بيروت، إذ تبث من خلال محاكمات بعض رجال العهد المباد انه بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٥٨ نقلت كمية من الأسلحة وزنها ثلاثة أطنان من العراق إلى بيروت بطائرة عراقية عسكرية وسلمت إلى رائد في الدرك اللبناني من رجال شمعون

(٤١) QuBain, op. cit, p. 72

(٤٢) Ibid, p. 72

(٤٣) موسى صبري، مخبر صحفي، ص ٢٦٢ - ٢٦٤

اسمه نخله مغيب اما الوجبة الثانية فقد نقلت بطائرة عراقية ايضا وحطت في بيروت وكان معظم حملتها من عناد قياس (٩) ملم جرى نقله باشراف درك شمعون^(٤٤).

وقد بلغ التعاطف بين النظام العراقي الى سوريا عن طريق الأردن لاحتلالها واجهاض تجربة الوحدة بين سوريا ومصر (ج.ع.م) والعمل على سحق انتفاضة السبع اللبناني. وهذا التفاهم لم يكن معروفاً قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وقد كشف الستار عن اللورد بيرد وود الذي أرخ حياة نوري السعيد مستقيماً إياه من المصادر الرسمية البريطانية^(٤٥). ويؤكد غامن السفير الأمريكي في بغداد وقتئذ انه حين التقى آخر مرة مع نوري السعيد يوم ١٢ تموز ١٩٥٨ وجده منزعجاً جداً لأحداث لبنان، وأخذ يلح عليه ليعرف ما ستفعله حكومة واشنطن لإنقاذ شمعون. ولكن لم يكن لدى السفير ما يطمئنه به، إلا أنه رغم ذلك يجزم قائلاً: «ولا شك ان نوري السعيد قرر بعد قليل من مقابلاتي له تعزيز القوة العراقية على الحدود العراقية الأردنية». ولكن هذه القوة التي خطط لها اجهاض الوحدة واسناد حكم شمعون هي التي قامت بالثورة فقلبت نظام الحكم الملكي معلنه النظام الجمهوري^(٤٦).

ومما لفت النظر حقاً ان حكومة واشنطن كانت قبل قيام الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ حذرت من تزويد الحكومة العراقية بالاسلحة الحديثة لنسكها في ولاء الجيش العراقي للنظام الملكي القائم وقتئذ واحتمال استعمال هذا السلاح في الثورة ضد هذا النظام الذي كبل العراق بالاحلاف، وذلك بالرغم من ميل الأمريكان الشديد لمساعدة البعث اللبناني، بجميع السبل، ويبدو كل ذلك واضحاً من خلال الحديث المهم الذي دار بين فاضل الجمالي وزير الخارجية العراقية والمستر هيرتر مساعد وزير الخارجية الأمريكية حول الموضوع^(٤٧).

وهكذا في الوقت الذي كانت فيه الاسلحة تندفق على شمعون من عواصم متعددة، كانت

(٤٤) الحسني، الوزارات، ج ١٠، ص ٢٩١ - ٢٩٤.

(٤٥) Lord Birdwood, M. V. O, NUYI As-said-Astudy in Arab Leadership, pp. 258-259.

(٤٦) ولد مارغلمن، عراق نوري السعيد، ص ٢٤٦، ص ٢٢٣، ونظر الحسني، الوزارات، ج ١٠، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٤٧) حين سأل محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية العراقية المستر هيرتر مساعد وزير الخارجية الأمريكي «لماذا لا تعطونا مقداراً من الطائرات فنقل نحو ألفي جندي عراقي الى لبنان عبر الأراضي التركية ونكون قد ساعدنا هذا القطر العربي مساعده فعالة» ؟ رد عليه هيرتر متسانلاً «وهل انت واثق من ان الجيش العراقي يساند حكومتهم» ؟ فأجابه الجمالي «بكل تأكيد» فلم ينس هيرتر بينت سعة . نظر الحسني، الوزارات، ج ١٠، ص ٣٠٧.

القوى الوطنية تفتقر إلى ذلك عموماً، رغم حصولها على بعض القطع من السلاح الخفيف. أما غالبية سلاحها فلم تكن تتجاوز البنادق القديمة ما بين صالحة للاستعمال وغير صالحة، فضلاً عن بنادق الصيد والمسدسات، ولكن الوار غنموا مدفع رسانس يوم (١٣ أيار) من قوات سمعون سهل الكثير من مهمهم، وقد حاول الدرك النسمعوني استعادة المدفع حين هجم رجاله في اليوم التالي على حي المحيط به بطلون النار بلا تعيين بقصد الإبادته. ولكن مناوئه الحي لهم بالرصاص والحجارة هزمتهم. وأخذ الوار بطلون على المناطق المحررة التي صدرت تحت سيطرتهم اسم «بيروت الحرة»^(٤٨). وقد لقي الوار مساندة الكثير من الشخصيات اللبنانية البارزة كل مدفعه دافع معين، إلا أنهم يجتمعون على سب واحد هو كره سمعون، ومن أبرزهم البطريرك الماروني المعوشي والرئيس السابق بشاره الحوري^(٤٩).

وفي نفس اليوم (١٣ أيار)، بعد أن استبدت بالوار ولقوا دعماً سعيياً واسعاً، قاد كمال جنبلاط مظاهره صاحبه لتقدمها عدة سيارات توجهت إلى قصر بيت الدين حيث يقبع سمعون، ولكن حرس القصر قام بإطلاق الرصاص على المظاهرين وعلى سيارة جنبلاط بالذات بقصد اغتياله، وقد أصاب الرصاص عدة سيارات أخرى للمتظاهرين فسقط سبعة لذلك أربعة جرحى، مع العلم أن المظاهرين كانوا عزلاً عن السلاح^(٥٠) وأن المظاهرة، كما أكد جنبلاط نفسه، كانت ذات طابع احتجاجي سلمي لا هجومي مسلح بهدف الهجوم على القصر واحتلاله كما يزعم بعض المؤلفين^(٥١).

وبعد استداد رخم الانتفاضة لسعييه واساع نطافها اتهمت الحكومة اللبنانية الجمهورية العربية المتحدة بأنها خلف وراء أحداث لبنان فأبرقت الخارجية اللبنانية في ٢٠ أيار ١٩٥٨ إلى سفريها في القاهرة طالبة منها تقديم شكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة «لمداخلتها غير الودية في شؤون لبنان الداخلية» أمام مجلس الجامعة العربية، وطلبت أن تقدم لشكوى فوراً بحجة أن الجمهورية العربية المتحدة تساعد الوار وتقدم الإمدادات العسكرية لهم بعد أن نظموا في صفوف «المقاومة السعيية»^(٥٢).

(٤٨) اطرموسى صري، مخبر صحفي، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤٩) بارب، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(٥٠) جنبلاط، حفيضة الثورة اللبنانية، ص ٢٦.

(٥١) QuBam, op. cit, pp 72-73 : واظر هوري انودناي، لبنان والامم المتحدة، ص ١٢٧.

(٥٢) معبر، مصدر سابق، ص ٥٦.

وفي هذه الأثناء توجه شارل مالك وزير خارجية لبنان الى نيويورك ليفدم شكوى ممايله الى مجلس الأمن الدولي، قبل ان تبت الجامعة العربية بالشكوى المعروضة عليها، أي في حزيران ١٩٥٨^(٥٣)، مدعياً ان لدى حكومته «أدلة رسمية لا يحصى ولا يمكن دحضها» على التدخل السوري - المصري في الثورة، وبضمنها أدلة حول تسلل - مزعم - للمسلمين وسحبات السلاح وحملات دعائية عنيفة ضد حكومه شمعون . وكان من السهل اثبات النهمه الاخيره، ان جاز لنا تسميتها تهمة، فقد كانت وسائل الاعلام المصرية والسورية ندعو اللبنانيين صراحة الى اسقاط نظام شمعون بالعنف اي عن طريق الثورة، اما التهم الأخرى فقد كان اثباتها أمراً صعباً^(٥٤) .

وفي ٦ حزيران ١٩٥٨، وبعد ان اتخذ مجلس الجامعة العربية المنعقد في بنغازي حلاً وسطاً لم يرض حكومة شمعون^(٥٥)، اجتمع مجلس الامن الدولي لبحث الشكوى اللبنانية^(٥٦) . وكانت حكومة شمعون تدرك جيداً ان موقفها هذا يثير الرأي العام اللبناني والعربي الى حد كبير. فلم يكن مجرد صدفة ان ذكر شارل مالك أمام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب اللبناني، انه «في لجوئه الى مجلس الامن لا يقصد اثاره المتساكن في وجه الجمهوريه العربيه المتحده، وان الحكومه اللبنانيه لن تسمح باستخدام شكواها في مجلس الامن ضد مصالح

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٥٧ .

(٥٤) نارت، مصدر سابق، ص ص ١٢٣ - ١٢٤، في التتبع من أنار صاح صوت من القاهرة «شعب لبنان الحر العربي يعرف جيداً كيف يطبخ بحكومه شمعون» .

(٥٥) كان قرار المجلس:

- ١ - وضع حد بكل وسيله لكل ما من شأنه ان يعكر صفو العلاقات بين جميع لدول الأعضاء .
- ٢ - مطالبه الحكومه اللبنانيه بسحب الشكوى التي قدمتها الى مجلس الأمن
- ٣ - توجيه نداء الى مختلف الفئات اللبنانيه كي تضع حد للاضطرابات ونسوى خلافاتها الداخليه بالطرق السلميه والوسائل الدستوريه .
- ٤ - ارسال لجنة بحري اختيار اعضائها من بين أعضاء المجلس (الجامعة) لتولى هدهذه الوصع وتنفيذ قرار مجلس جامعه الدول العربيه»، وجاء هذا القرار حلاً وسطاً فلم يوجه لهمه الى أحد وإن حاول حل الأزمة، غير ان الحكومه اللبنانيه رفضت هذا القرار في الخامس من حزيران، وبدوا ان الحكومه اللتانيه لم تكن مهتمه جداً بحل القضية على صعيد الجامعة العربيه، والدليل ان مالك لم يبال بحضور اجتماعات بنغازي ونما توجه رأساً الى نيويورك لحضور اجتماعات مجلس الأمن. انظر هوري أبو ديب، لبنان والامم المتحده، ص ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٥٦) مغيزل، مصدر سابق، ص ٥٧ .

لجمهورية العربية المتحدة الأساسية»، كما أكد بأنه «إذا لمس ان هناك أية محاولة لاستغلال دعوى الحكومة اللبنانية على الجمهورية العربية المتحدة فعندئذ نضم في الحال صوتنا الى صوتها للدفاع عن مصالحها واحباط كل خطه فد توضع للنيل من سيادتها وكرامتها»^(٥٧).

وفعلًا أثار موقف حكومه سمعون حفيظة القوى الوطنية اللبنانية التي ادانته بنسدة، الأمر الذي وجد له صدى واضحاً في الصحافة البيروتية، فانتقدته بقوة وطالبت بسحب الشكوى اللبنانية باصرار «حفاظاً على كرامه الشعب اللبناني» كما ورد على لسان جريدة «السياسة» في عددها الصادر يوم ٢٧ أيار ١٩٥٨^(٥٨).

قرر مجلس الامن الدولي بعد أخذ ورد طويلين^(٥٩)، ايفاد لجنة تحقيق دولية للتأكد من مزاعم حكومة سمعون واتهاماتها لدولة الوحدة. وفي ١٢ حزيران بدأت فرق المراقبين التي قرر المجلس ارسالها تفد الى لبنان. وفي ١٩ منه وحصل الأمين العام للأمم المتحدة داغ همرشولد الى

(٥٧) مير البعلبكي، أوراق بورية، ص ص ١٢ - ١٣.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ص ١٤ - ١٥.

(٥٩) في المناقشات التي حثرت حول الأزمة اللبنانية عام ١٩٥٨ في مجلس الأمن أند مندوبو الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ونايون والعرب بعوه مزاعم الوفد اللبناني وحسوا على الاتحاد جزم على الفور اما الاتحاد السوفيتي فقد رفض بقوة مزاعم الوفد اللبناني الذي برأسه شارل مالك وروبر الحارثيه وأصر على ان الفرص من هذه الشكوى هو تمهيد الطريق امام التدخل الغربي في شؤون لبنان الداخلية وفي العاشر من حزيران وفي زجه المناقشات الحامية تقدم الدكتور غونار يارنغ مندوب السويد بمسروع قرار وسط وضع في صيحه من شأنها ارضاء طرفين متنازعين فهو من جهة لا يصدر حكماً في القضية ومن جهة ثانية سمح باتخاذ بعض التدابير البقاء لمساعدة لبنان. وقد حاز المسروع الذي تقدم به الدكتور يارنغ على قبول الجميع بما في ذلك لبنان والجمهورية العربية المتحدة، عدا دولة واحدة هي الاتحاد السوفيتي. وفي ١١ حزيران تم اقرار المسروع السويدي بأغلبية لاصوات، إذ فاز بعشره اصوات مقابل لا شيء، وامتعت دولة واحدة عن التصويت هي الاتحاد السوفيتي. وهذا هو نص القرار

«ان مجلس الأمن،

بعد ان استمع الى التهم التي وجهها ممثلوا لبنان بشأن تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شؤون لبنان الداخلية وإلى رد ممثل الجمهورية العربية المتحدة، بقرار ارسال فريق للمراقبة على وجه السرعة الى لبنان لتأكد من انه ليس هناك سسل غير شرعي للأشخاص أو تزويد بالاسلحه أو بعبر ذلك من المواد عبر الحدود اللبنانية، وتقول السكرتير العام اتخاذ الخطوات اللازمة لهد لسان، ويطلب من فريق المرافقه لحاطه مجلس الأمن علماً بصورة مساعده عن طريق السكرتير العام» ... انظر هوردي ابو ديساب، لبنان والامم المتحدة، ص ص ١٤١ - ١٤٢، ص ١٧٣

بيروت لإجراء اتصالات بالمرافيين الدوليين والسلطات اللبنانية، ثم انتقل إلى القاهرة حيث أجرى اتصالات مع المسؤولين هناك^(٦٠).

أكد لقوة المرافيين الدوليين عدم وجود أية دلائل على تدخل للجمهورية العربية المتحدة في أحداث لبنان، وانها لم تستطع التعرف على أي متسلل. إلا أن المرافيين «نكسوا» باحتمال وجود شحات من السلاح من سوريا». وقد أزعج تقرير المرافيين المسؤولين الأمريكيين الذين أرادوا ادانة حكومة الوحدة مهما كلف الأمر، حتى أنهم ادعوا ان «لديهم معلومات حصلوا عليها من مصادر خفية لم يكسفوها، بأن مصر كانت تجهز النوار بالسلاح والاموال بنشاط، اما حكومة شمعون فقد استنشاطت غضباً لأن الامم المتحدة لم تجر وراء تفسيرها لأحداث الانتفاضة وأسبابها باتهام دولة الوحدة. ومن المهم ان نشير بهذا القصد الى ان الأمريكان بدأوا يقرون الحقيفة الواقعة بانفسهم واسلوبهم المعروف في مثل هذه الحالات. ففي تعليق له على الموضوع كتب الكاتب الأمريكي بارت يقول ما نصه: «لا شك ان مجموعة مرافبي الامم المتحدة قد خففت من أهميه تدخل الجمهورية العربية المتحدة، ولكنها كانت على صواب من القضايا الاساسية، فناصر كان يحاول استغلال الغليان السياسي في لبنان، لكنه لم يخلق ذلك الغليان بنفسه، ولم يكن لبنان بحاجة الى اسلحة خارجية لأجل صراعاته العنيفة الداخلية، وهو الذي كان دائماً مليئاً بالمخزونات السرية من الأسلحة وبأسواق بيع السلاح. ان التدخل المصري لم يكن الدافع ولا الركن الأساسي للحرب الأهلية»^(٦١). ولكن «سي» المؤلف الأمريكي ان يقول ان الامر كله كان لعبة دبلوماسية فاشلة استهدفت الفاء بعه أحداث لبنان على الغير بعد ان فقد النظام القدرة على الحكم والتصدي للانتفاضة السعبيه.

بعد ان رفضت الامم المتحدة تبني افكار شمعون وحكومته، ساع ان بريطانيا والولايات المتحدة عازمتان على التدخل عسكرياً في لبنان اذا ما طلبت الحكومة اللبنانية ذلك، خاصة بعد أن احيطت جهود النظام الشمعوني ليكون التدخل تحت راية الامم المتحدة لصالح الاستعمار وعملائه كما حصل قبل ذلك بهان سنوات في كوريا.

وفي الوقت الذي كانت فيه أحداث لبنان الساخنة تعالج دولياً ظلت الأوضاع الداخلية تشتد سوءاً من حيث تدهور الحالة الأمنية وارتفاع عدد الضحايا من الأهليين وقوات السلطة،

(٦٠) مفيزل، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٦١) بارت، مصدر سابق، ص ص ١٢٤ - ١٢٥.

ومن حيث فرض الرقابة على الصحف وإيقاف بعضها عن الصدور، وسحب يد القضاة الشرعيين وحالتهم إلى المجلس التأديبي لرفضهم الانسياق وراء التيار السمعوني بنبذ أساليب الحق والعدل وانتقادهم بعنف للمسلك الحكومي السيئ .

استمرت الانتفاضة الشعبية تتعاطم وتزداد اشتعالاً وتوسع نطاقها حتى قرر الثوار التوسع في عمليات الخنادق ونصب الاسلاك السائكة والمتاريس للحيلولة دون تقدم مصفحات ودبابات السلطة نحو الأحياء الشعبية في «بيروت الحرة» التي قسمت إلى ثلاثة قطاعات أو مناطق بهدف توزيع المسؤولية:

- ١ - المنطقة الجنوبية (جنوبي بيروت) وهي من طرق الجديدة وحتى أرض المطار وتشمل أحياء: الحرش، مستشفى المقاصد، صبره، أبو ساكر، الرواس، ديبان ياسين .
- ٢ - المنطقة الوسطى (وسط بيروت) وتشمل أحياء: البسطة، المحيطية، برج أبي حيدر، زقاق البلاط .
- ٣ - المنطقة الغربية وتشمل: الزبدانية، الطرف، الملك، عائسة، بكار، تلة الخياط .

وفاد هذه المناطق بناؤها بحيث اختار كل حي قائده، وأنشؤ الجميع بحماس تحت راية الثورة، فحتى النساء والشيوخ والأطفال استتركوا في أعمال الحراسة والرصد وغيرها. وانضم إلى الثوار عدد كبير من الجنود بأسلحتهم، إلا أن اسماءهم ظلت مكتومة خشية تنكيل السلطة بعوائلهم. وبدأ جهاز الثوار الاعلامي عمله بالنهويل في النداءات التلفونية التي يقوم بها افراده بنشأن عدد قطع السلاح التي وصلتهم من مدافع هاون وغيرها كجزء من الحرب النفسية لاضعاف معنويات سمعون وفوانه وعصاباته. ونجحت «مخابرات» الثوار في الحصول على معلومات هامة مفادها ان سمعون طلب من مندريس رئيس وزراء تركيا وقتئذ تهيئة مكان لاقامته في تركيا عندما يهرب من لبنان. وشكل الثوار قوة شرطه للمحافظة على الأمن في أحياء الثورة باسم «الشرطة الشعبية» وكذلك فوه اسعاف خاصة. ووضع قانون عاجل لمحاكمة الأخطاء العسكرية والاعمال الخيانية. ونجح بعض الثوار في الاستيلاء على بعض قطع السلاح من السلطة من بينها رشاشين ومدفع بازوكا ساهم في محطيم مصفحتين حكوميتين. ولم «تنخيل سمعون ان المدفع الذي عطل المصفحتين هو من مدافع حلف بغداد». ورغم ان الشهداء ظلوا يساقطون. إلا ان زغرودة النساء في أحياء «بيروت الحرة» لم تتوقف أو تنقطع

فكانت هذه الزغاريد الحبيبة ترفع من معنويات المقاتلين وندفعهم الى المزيد من الصمود والتضحيات^(٦٢).

وهنا لا بد من الإشارة الى ان حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان لم يكتف خلال هذه الاحداث الساخنة بحمل السلاح وتوعية الجماهير واصدار البيانات، بل أقام أيضاً «اذاعة شعبية» كانت تبث على موجة معينة التوجيهات والاحاديث والانشيد لعدة ساعات يومياً، كما تولى الحزب اصدار النشرة الاسبوعية «للمقاومة الشعبية» في بيروت^(٦٣). ويلخص احد المصادر دور الحزب بالقول ان البعثيين عاشوا «في صميم المعركة وشاركوا فيها مشاركة فعالة وقدم الحزب عدداً من الشهداء قبلها وأثناءها وعدداً آخر من الجرحى»^(٦٤).

استمر النوار اللبنانيون في نشاطهم وبدأوا يلجأون الى اساليب جديدة ومؤثرة في نضالهم اليومي. ففي ١٥ حزيران قاموا بعملية جريئة اسفرت عن نسف دار سامي الصلح رئيس الوزراء واقرب اعوان شمعون وذلك بعد ان اجبروا الحامية التي تقوم بحراستها على الانسحاب^(٦٥) وكان من الطبيعي ان تهز هذه العملية شمعون ونظامه بعنف وان تؤثر على معنوياته، ولا سيما بعد ان قام النوار بهجوم جديد على مقره في القصر الجمهوري. وقد رد شمعون على هذه العمليات المهمة بقصف مدفعي عشوائي ذهب ضحيته الكبير من الابرء في الاحياء السكنية في «بيروت الحرة».

ولما تأكد شمعون ان الاتصالات التلفونية تسهل الكثير من مهام النوار قام بقطع اسلاك التلفون عن احياء النورة ولكن النوار هددوه بقطع جميع الاسلاك التلفونية في كل انحاء لبنان ان لم تعاد الحياة لاتصالاتهم فاضطر الى اعادتها بعد عسر دقائق فقط من توجيه الانذار. ثم أراد شمعون ان يجس نبض النوار فطلب عقد هدنة، فأجاب النوار بأن القتال سيتوقف في حالة واحدة هي استقالته عن الرئاسة بعد ان يفيل وزارة سامي الصلح وبعبكسه فان القتال

(٦٢) موسى صبرى، مخبر صحفي، ص ص ٢٦٦ - ٢٧٠.

(٦٣) نضال البعث، ج ٨، ص ١١٩.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٦٥) «عوض سامي الصلح يبلغ نصف مليون ليرة لبنانية لقاء هذا العمل، وكان ذلك على عهد الرئيس فؤاد شهاب وفي أواخر شهر أيلول ١٩٦١ تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء اللبناني المخذ في أواخر عهد الرئيس كميل شمعون». انظر عبدالرزاق الحسين، الوزارات، ج ١٠، ص ٢٩٠.



سيستمر. وفُسلت أيضاً محاولات سَمعون في دس بعض عملائه في صفوف النوار الذين اكتشفوهم واعتقلوهم ولتشي كل منهم جزاءه العادل. (٦٦)

وتعزيزاً لموقف النوار الذين كانوا يخوضون نضالاً مريراً وبطولياً لحمل المناضلون البعثيون الكثير من اعباء الثورة ومنافها، وقد أكد حزب البعث العربي الاشتراكي ضرورة استمرار الثورة وعدم تخليه كحزب قومي تقدمي عن المعركة قبل تحقيق مطالب الجماهير اللبنانية المباشرة والمتمثلة في:

- ١ - اسقاط نظام سمعون وحل المجلس النيابي المزيف .
- ٢ - محاكمة المسؤولين بسبب ما ارتكبه بحق استقلال لبنان ومصالح ابنائه، وتجريدتهم من بواطنهم غير المشروعة .
- ٣ - اقامة عهد جديد يقوم على :

- أ (المحافظة على استقلال لبنان وسيادته
- ب (التزام سياسة الاخوة الحقيقية على الصعيد العربي في الميادين الثقافية والاقتصادية والعسكرية، والوقوف بوجه «اسرائيل» بسياسة تنبع من المصلحة العربية العامة .
- أ - تبني سياسة الحياد الايجابي على الصعيد الدولي والتخلص من مبدأ أيزنهاور وكل ارتباط مع الاستعمار .
- د (تأسيس حكم شعبي تقدمي يقوم على العدل بين المواطنين واعتماد الكفاءة الشخصية مكان الاعتبار الطائفي في جميع مرافق الدولة، وتعزيز الاقتصاد الوطني والتنظيم التعاوني .
- هـ (تطوير قانون الانتخابات بحيث يتلاءم مع تمثيل أرادة الجماهير وصيانة حريتها (٦٧) .

(٦٦) موسى صري، مصدر سابق، ص ص ٢٦٦ - ٢٧٥ .

(٦٧) بصال البعث، ج ٨، ص ١٢٥ .

• كانت حكومة سمعون السبابة في الانضمام الى مبدأ أيزنهاور .

موقف الولايات المتحدة من الأحداث اللبنانية والانزال الامريكي في بيروت

كان من الطبيعي ان تلقي الولايات المتحدة الامريكية بثقلها الى جانب حكومة شمعون التي لم تخف ميلها الكبير نحو الامريكان منذ اليوم الاول لمجيئها الى دست الحكم*. فلم يمر اسبوع واحد على انفجار الاحداث في لبنان عندما اعلنت الولايات المتحدة بأنها قد ضاعفت فرقة المشاة الملحفة بأسطولها السادس في البحر المتوسط، وانها ستنتظر الى ارسال القوات الامريكية الى لبنان إذا طلب منها ذلك، وهي لم تكتف بذلك، بل انها باشرت في الحال بارسال الاسلحة عن طريق الجو الى قوات شمعون، لكن الكير منها سرعان ما وصل الى أيادي الوار. تم صرح دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة انه لا يعتبر لبنان متعرضاً الى هجوم «من دولة يمكن اعتبارها وافة تحت نفوذ الشيوعية الدولية»، لكنه حذر بقوله ان ذلك لا يعني «انه لا يمكن عمل شئ» شارحاً ان هناك في مبدأ أبرزهاور مواد أخرى تقضى بأن «استقلال تلك البلدان أمر حيوى للسلام والمصالح القومية للولايات المتحدة. وان ذلك بالتأكيد سير لصالحية القيام بشئ ما إذا اقتنعنا ان سلامنا ومصالحنا الحيويه مهددة من قبل أى جهة كانت»^(٦٨).

ومن الجدير بالذكر ان ارسال القوات الامريكية الى لبنان كان موضوع بحث دائم في واشنطن منذ اندلاع الثورة الشعبية في أيار ١٩٥٨، إذ ان جون فوستر دالاس اعتقد ان الوضع خطير بما فيه الكفاية لانزال قوة عسكرية أمريكية لوقف الغليان الثوري في السوق الأوسط، وكان يرغب القيام بذلك في أبار رغم مخاوفه الكبيرة من ان مثل هذا التحرك سيؤدي الى اجراءات انتقامية كنسف انابيب النفط الامريكية وغلق قناة السويس بوجه الملاحة فضلاً عن مضاعفات أخرى متوقعة لا يمكن اهمالها أو التغاضي عنها^(٦٩) الا أن هذه المخاوف

(٦٨) بارنت، مصدر سابق، ص ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٦٩) المصدر نفسه، ص ص ١٢٨ - ١٢٩ .



لُحيت جانباً أو بالأحرى مُزقت حينما وصل «استيضاح» إلى واشنطن من شمعون يوم ٤ تموز ١٩٥٨ عن إمكانية إنزال قوات الاسطول السادس في لبنان لحماية نظامه من الانهيار على يد النوار اللبنانيين. وكان ايزنهاور يتظاهر قبل ذلك بساعات بأن الأزمة اللبنانية ستحل دون تدخل أمريكي، خاصة بعد أن وافق كميل شمعون على صرف النظر عن فكرة تجديد عهده بعد تعاظم المد الثوري في البلاد.

استمرت اوضاع شمعون تسير من سيء إلى أسوأ، ولما كان الانتظار معناه سقوطه وتعرض المصالح الامبريالية، وفي مقدمتها الامريكية في لبنان خاصة والمشرق العربي عامة، إلى ضربة قاضية سارع شمعون بناء على ذلك كله وعلى وجه التحديد اثر^(٧٠) قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق بترحيب بل تحريض من واشنطن إلى استدعاء^(٧١) القوات الامريكية المحمولة على ظهر الاسطول السادس الموجود قبالة سواحل بيروت إلى التدخل فوراً خلال (٤٨) ساعة مؤكداً لهم ان التدخل اذا لم يتم خلال هذه الساعات فإنه سيصبح في عداد الأموات، وسيصبح لبنان برأيه دولة تابعة لمصر تدور في فلكها^(٧٢).

(٧٠) ذكر كوين في كتابه ان شمعون طلب انزال القوات الأمريكية قبل قيام الثورة العراقية، وأنه سمع ذلك من مصادر موثوقة في المرة الأولى حين كان شارل مالك يعرض القضية امام مجلس الأمن حين طلب من حكومة واشنطن ارسال قوات إلى لبنان. ثم طلب شمعون ذلك مرتين إلى السفير الأمريكي في بيروت خلال شهر حزيران، وفي المرة الأولى اجاب السفير بأن تدخلاً عسكرياً قد يؤكد عدم شعبية شمعون، ومن الأفضل استخدام الضغط أو التهديد للتوفيق بين المعارضة والحكومة دون انزال قوات مسلحة، فلما الح شمعون في المرة الثانية، اجاب السفير بأنه لا بد من تقديم طلب تحريري إلى الحكومة الأمريكية انظروا: QuBain, op. cit, p. 131. وانظر صلاح العقاد، مصدر سابق، ص ٢٢٩.

(٧١) استقل كميل شمعون بالطلب من دون مجلس النواب، ولم يكن الدستور الذي لا تجهله الحكومة الأمريكية يسمح له بأن يتنازل عن سيادة البلاد الوطنية بطلق ارادته. وقد استدعى هذا التدخل احتجاج رئيس مجلس النواب اللبناني عادل عسيران الذي طالب برسائل إلى كل من همرشولد سكرتير عام الامم المتحدة ورئيس مجلس الامن الدولي ووزاره الخارجية، بانسحاب القوات الأمريكية من لبنان لأن وجودها لم يأت عن طريق طلب رسمي مسفوق بموافقة المجلس النيابي باعتباره القوة الشرعية الوحيدة في لبنان، انظر حريدة «الحرية»، ١٧ تموز ١٩٥٨؛ فؤاد عمون، سياسة لبنان الخارجية، ص ٦٩.

(٧٢) QuBain, op. cit, p. 115

يمكن القول ان استدعاء كميل شمعون للقوات الامريكية للتدخل في لبنان تم في ظل ما يلي :

١ - فشل شمعون في السيطرة على الموقف داخلياً بواسطة أجهزته القمعية (الأمن، الدرك، الشرطة)^(٧٣) بمغزل عن الجيش اللبناني الذي رفض قائده اللواء فؤاد شهاب انجاد شمعون، أو اقحام الجيش لمساعدته في أجهزة الثورة لان شهاب اعتبرها احتجاجاً جماهيرياً أكثر منها تخريبياً وعصياناً يستوجب التدخل، اذ كان شهاب يتغني ابفاء الجيش خارج الصراعات التي كانت تهدد بانقسام البلاد،^(٧٤) ولأنه اعتبر مهمة الجيش مقتصرة على الدفاع عن حدود البلاد ضد العدوان الخارجي، والحفاظ على الأمن الداخلي عند الحاجة، لذا حين دعي الى استخدام قوى الجيش للقضاء على الثورة لم يوافق الا على منعها من الامتداد والانتشار^(٧٥) وكما رفض شهاب الوقوف مع شمعون رفض في الوقت نفسه الوقوف مع النوار، وبذلك وقف الجيش على الحياد فنجح في شل الكثير من حركة شمعون ونفوذه، كما شل حركة النوار وحال بينهم وبين تحقيق النصر الحاسم ، بهدف فرض الحل الوسط على لبنان شعباً ونظاماً .

٢ - فشل المساعدات المادية والمعنوية المتمثلة بالاموال والاسلحة والأعتدة المقدمة من قبل

(٧٣) الامن : مديرية عامة مهمتها مراقبة الأحزاب السياسية وحركات الجمعيات والأفراد ورض الجمعيات السرية والمنوعة والمشبوهة وتعني بمكافحة الجاسوسية ومراقبة اعمال التخريب ودعاء الفوضى والاضطرابات والمطبوعات والأنشطة السيائية واللاجئين السياسيين ومنع التهريب ومراقبة المسافرين، وابعاد المشبوهين عن البلاد. تألف مديرية الامن العام من اربعة اقسام هي: الديوان، الدائرة السياسية، دائرة الاجانب والجوازات، دائرة مراقبة الحدود. أما الدرك فيعرفونه باسم المندرمه، وهي كلمة فرنسية تعني «رجال السلاح» مهمتهم تعقب الاسماء والقبض على المجرمين وفرض النظام وحيية القانون على المتمردين، وذلك خارج نطاق المدن، اما الشرطة فواجباتها المحافظة على الأمن في المدن ويعبر عن الشرطة بالشرطة المدنية، تمارس صلاحياتها داخل المدن لمراقبة تنفيذ القوانين والأنظمة وتأمين حركة السير وممع المخالفات والقبض على المشبوهين بالنسل وفساد الأخلاق وقمع الدعارة السرية، وتنفيذ المذكرات الادارية والقضائية ولا يعهد للدرك بالمحافظة على الأمن في المدينة إلا في الحالات الاستثنائية. انظر نجيب صدهه وآخرون، دراسات عن حكومة لبنان، مجموعه محاضرات المحاضرة عن مهام وزارة الداخلية الفاها حسنى العوجي المدير العام في الوزارة يوم ١٧/١/١٩٥٥ في الجامعة الأمريكية بيروت، ص ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٧٤) بارنت، مصدر سابق، ص ١٢٣ .

(٧٥) الصليبي، مصدر سابق، ص ص ٢٤٦ - ٢٤٧، الرياضي، مصدر سابق، ص ١٩٢ .

بعض الدول الاستعمارية كالولايات المتحدة أو العميلة كالحكومة الملكية في العراق إلى أجهزة شمعون الصمعية في أنفاذ نظامه .

٣ - فشل جهود شمعون لجر الأمم المتحدة للصراع الدامي في لبنان بإدخال قوات دولية تسانده وتعزز موقفه ضد الحركة الوطنية اللبنانية كما حصل في كوريا عام ١٩٥٠ .

٤ - بأسر شمعون من تدخل العراق وتركيا عضوا حلف بغداد لصالحه في لبنان عن طريق أجهاض دولة الوحدة باحتلال القوات العراقية تساندها القوات الأردنية، في ظل الاتحاد الهاشمي، لسوريا بعد أن تحول هذه معظم قواتها إلى حدودها الشمالية لاتقاء التهديدات التركية. وبعد احتلال دمشق تتوجه القوات العراقية نحو بيروت لذبح الانتفاضة وجزرها بالقوة. ولكن هذه الخطط احبطت تماماً بقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨^(٧٦)، التي قلبت التخطيط رأساً على عقب، إذ أن تركيا بعد سقوط العهد الملكي في بغداد لم تجرؤ على التحرك، وهي تحسب ألف حساب لتحرك جاراها القوي الاتحاد السوفيتي صديق الجمهورية العربية المتحدة، التي لا تضمن وقوفه متفرجاً على الأحداث، خاصة بعد تأييده الحار للنزعة العراقية وترجييه واعترافه السريع بها بعد اعتراف دولة الوحدة، لذا أمرت تركيا بالصمت ولا استبعد أن يكون هذا الصمت موقف أمني تركي فرضته التطورات الجديدة التي لم تكن متوقعة مع ما يمكن أن تفرضه من حسابات محتملة على الرغم من أنه قد يجر إلى غضب الولايات المتحدة على تركيا .

٥ - بعد أن يش شمعون من كل مساعدة قرر وضع مبدأ ايزنهاور الذي تبناه في ١٩٥٧ موضع التنفيذ وذلك بدعم واشنطن بجيوشها للانظمة العميلة والمالية لها في حالة تعرضها إلى محن وهزات على يد شعوبها المناضلة ومنها شعبنا العربي في لبنان، لأن شمعون ظن أن مشاة البحرية الأمريكية الرابضين على مقربة من شواطئ لبنان على ظهر قطع الاسطول السادس سيحولون دون سقوط نظامه .

(٧٦) يقول مؤيد عمون في كتابه «سياسة لبنان الخارجية»، ص ٦٨ «ففي يوم السبت الواقع في ١٢ تموز ١٩٥٨ الح كميل شمعون على مجلس الوزراء ليوافقوه على الاستجداء لمجلس العرامي الذي كان على أهبة التحرك. ولكن بيارأده عارض بشده فاضطر شمعون أن يرجي المناقشة إلى يوم الاثنين ١٤ تموز ولولا ثورة العراق المفاجئة في نفس اليوم، لأصبح لبنان ضحية تدخل دول نصبت نفسها حلفاً مقدساً اسلامياً، تحاول ان تقمع، كالحلف المقدس الأوربي، الحركات الوطنية التحررية بحجة الدفاع عن الشرعية» .

اتصل السفير الأمريكي في بيروت بواشنطن ناقلاً إليها على الفور استغاثات كميل سمعون وتذمره من تأخر المساعدات الأمريكية. وكان ألن دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A. وقتذاك وشقيق وزير الخارجية جون فوستر دالاس قد ابلى الرئيس ايزنهاور بأن سمعون كان يشعر بالمرارة «لأننا لم نبعث القوات لاسناده». وكان ايزنهاور قد اتخذ قراره، كما يقول في مذكراته، بأن الوقت قد حان «للانزال في الشرق الاوسط وخصوصاً في لبنان لوقف الاتجاه نحو [ما يسميه] الفوضى». وجمع الرئيس الأمريكي أبرز رجال الكونغرس للتشاور معهم حول الموضوع. وهنا صرح السناتور وليم فولبرايت الرئيس ايزنهاور بأن ليس هناك مبرر للتدخل في لبنان لأن ما يقع فيها ليس سوى حرب أهلية مقتصرة على القوى اللبنانية وحدها، إلا أن هذا لم يثن ايزنهاور عن عزمه وقراره^(٧٧). أعلنت جماهير الشعب العربي في لبنان أنها ستقاتل الدخلاء باسنانها وأيديها، بل إن كثيراً من ضباط الجيش اللبناني «المحايد» أعلنوا أنهم سيهجمون على الجيش الأمريكي بمجرد نزوله الى الساحل، وأنهم مع القوات الشعبية الى آخر نفس وآخر رجل^(٧٨) بعد أن حولت الاستغاثات الشمعونيه من سفير واشنطن في بيروت الى البيت الأبيض، أعطى فيبدأ الضوء الاخضر الى الاسطول السادس الأمريكي الذي كان مستعداً للانزال على شواطئ بيروت. وكان عدد القوات المهيئة للنزول في لبنان يتراوح بين (١٤ - ١٥) ألف جندي أمريكي^(٧٩) أي ضعف حجم الجيش اللبناني تقريباً^(٨٠). في حين كان حجم القوات الأمريكية المحمولة على ظهر قطع الاسطول السادس البالغة سبعون قطعة، أربعون ألف جندي من مشاة البحرية^(٨١).

بدأ الانزال في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الثلاثاء المصادف ١٥ تموز ١٩٥٨^(٨٢).

(٧٧) بارت، مصدر سابق ص ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٧٨) موسى صبري، مصدر سابق، ص ٢٧٩.

(٧٩) يذكر كوين أن عدد القوات التي نزلت الشواطئ اللبنانية كان يبلغ (١٥) خمسة عشر ألف جندي أمريكي.

انظر: QuBain, op. cit, p. 115.

بيبا يؤكد بارت أن عددهم كان (١٤) ألف جندي. انظر بارت، مصدر سابق، ص ١٠٦.

(٨٠) بارت، مصدر سابق، ص ١٦٠.

(٨١) QuBain, op. cit, p. 115.

(٨٢) Ibid, P. 115.

بنزول الوجبة الأولى البالغ عددها (١٨٠٠) (٨٣) رجلاً هم قوام كتيبة مشاة البحرية الأمريكية الثانية (٨٤). نزلوا على امتداد شاطئ خلدة والأوزاعي وانتشر جثودهم واعتدتهم ومدافعهم ودباباتهم على الشاطئ من خلدة حتى صربا نم «توقفوا مؤقتاً» عن الزحف نحو مركز بيروت وأحيائها السكنية المزدهرة (٨٥)، إلا أنهم فيما بعد أدخلوا بعض قطعانهم ترافقها قوات لبنانية، للمرابطة عند ميناء بيروت وبعض المؤسسات الأمريكية. بالتنسيق مع قيادة الجيش وسخط النوار الصامت رغم أخذ موافقة قادتهم المبدئية على ذلك تحاشياً للصدام المباشر مع القوات الأمريكية وما يترتب على ذلك من خسائر بشرية كبيرة. فضلاً عن قناعات قادة الثورة الخاصة التي تدفعهم إلى الحد من اندلاع الثورة لئلا تلتهم كل شئ يعيق توجهها النضالي. وفيما يلي نص البلاغ الذي اذاعه الجيش الأمريكي الذي نزل في لبنان والموقع من الرئيس الأمريكي ايزنهاور والمؤرخ في ٢٢ تموز ١٩٥٨، أي بعد أسبوع من نزول الجيش الأمريكي يوم ١٥ تموز

«السى المواطنين اللبنانيين الكرام..»

لقد دخلت قوات الولايات المتحدة بلادكم بناءً على طلب من حكومتكم الدستورية، وهذه القوات موجودة هنا لكي تساعدكم في مجهوداتكم الرامية إلى المحافظة على استقلال لبنان في وجه أولئك الذين يرغبون في التدخل في شؤونكم والذين عرضوا سلم بلادكم وأمنه للخطر.

لقد غادر الضباط والجنود الأمريكيون بيوتهم لكي يساعدوا في الدفاع عن منهجكم في الحياة وعن ممتلكاتكم وعن عائلاتكم. انهم سيفقدون بلادكم حالما تتخذ الأمم المتحدة اجراءات تضمن استقلال لبنان.

لقد تصرفت الحكومة الأمريكية استجابة لنداء المساعدة الذي قدم من دولة مسالة يربطها بالولايات المتحدة منذ القديم أوثق روابط الصداقة» (٨٦).

(٨٣) يشير كوين إلى أن عدد هذه القوات (٢٠٠٠) الفتي جندي من مشاة البحرية نزلوا يوم ١٥ تموز ١٩٥٨ بكامل عدتهم وسلاحهم. وقد نزلوا على مبعدة خمسة أميال جنوبي بيروت. أما بارت فيجعل عدد رجال الكتيبة (١٧٠٠) رجل. والاثنتان على خطأ إذ أن تعداد أو قوام الكتيبة الأمريكية (١٨٠٠) رجل حسب النظر: QuBain, op. cit, P. 115

(٨٤) بارت، مصدر سابق، ص ١٣٠.

(٨٥) الرياني، مصدر سابق، ص ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٨٦) انظر الحسني، الوزارات، ج ١٠، ص ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

وأمام موقف الغرب هذا هددت موسكو، التي وصلها عبدالناصر فجأة قاطعاً رحلة خاصة إلى يوغسلافيا بسبب الثورة في العراق، بالرد بجميع الوسائل التي قد يتطلبها الموقف في حال التدخل ضد الثورة العراقية^(٨٧).

واتر نزول القوات الامريكية في لبنان طلب الاتحاد السوفيتي رسمياً سحب هذه القوات فوراً وأندر بانه لن يستطيع ان يقف موقف المتفرج من هذا التدخل، وان الموقف في الشرق الأوسط بات يهدد السلام العالمي، وان الاتحاد السوفيتي يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ الاجراءات الضرورية لصيانة الأمن والسلام ان لم ينسحب الامريكيون فوراً^(٨٨).

وسخرت المذكرة السوفيتية التي وزعت على وكالات الانباء من قلق الولايات المتحدة على رعاياها في لبنان، إذ قالت: «أما عن قلق واشنطن على سلامة رعاياها فان المرء يتساءل بمفتضى أي من قواعد القانون الدولي تستطيع الدول الأجنبية ان ترسل قواتها الى أراضي دولة أخرى لمثل هذه الأغراض وليس في القانون الدولي قواعد كهذه» .. وجاء في المذكرة ايضاً ان السبب الحقيقي للتدخل ينبعث من رغبة احتكارات البترول الامريكية، ورغبة دول أخرى في السيطرة على دول الشرق الأوسط كما ينبعث ايضاً من أفلاس السياسة الغربية في الشرق العربي، ومن انهيار حلف بغداد، ومن انهيار مشروع دالاس - ايزنهاور الشرير^(٨٩).

اما الرئيس جمال عبدالناصر فقد اعلن ان هذا الاحتلال يولف خطراً على السلام في الشرق الأوسط واعتداءً خطيراً على ميثاق الامم المتحدة وتهديداً سافراً للدول العربية التي رفضت ان تخضع للاستعمار وصممت على اتباع سياسة مستقلة في ظل الحياد الإيجابي^(٩٠).

وأكد الرئيس عبدالناصر ايضاً ان الحكومة الامريكية - كما هو واضح - اتخذت من الثورة الداخلية في لبنان التي مضت عليها سبعة أسابيع ذريعة لتحقيق عن طريقها غرضها في احتلال لبنان وتهديد بلدان الشرق الأوسط المستقلة ... وان تدخل امريكا يفضح النوايا

(٨٧) مفيزل، مصدر سابق، ص ص ٥٦ - ٥٩ .

(٨٨) د. جمال الدين الرمادي، مصدر سابق، ص ٥٩ .

(٨٩) جريدة «الحرية»، ١٧ تموز ١٩٥٨ . وقد سبب التدخل الأمريكي ايضاً الضيق لهرنولد سكرتير عام الامم المتحدة، كما اشارت وكالة انباء اسوشيتدپرس. وطالب نهرو رئيس وزراء الهند بانسحاب القوات الأمريكية من لبنان وذلك برسالة وجهها للسفير الأمريكي في دلهي. انظر جريده «الحرية» البغدادية، ١٧ تموز ١٩٥٨ .

(٩٠) د. جمال الدين الرمادي، مصدر سابق، ص ٥٩ .



الامريكية تجاه الشعب العربي في محاولة لاختضاعه والسيطرة عليه ويعتبر مهزلة تدل على استهتار امريكا بالامم المتحدة بل بوجود هذه الهيئة. وفي الوقت نفسه اعلن عبدالناصر ان أي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر عدواناً على ج.ع.م.، وانها ستقوم بكافة التزاماتها أزاء العراق طبقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي^(٩١).

اما الأسباب التي تشدق بها الامريكان لتبرير تدخلهم في لبنان فقد كانت مختلفة إلا أنها غير مقنعة كالعادة منها «حماية أرواح الامريكيين» و«دعم الحكومة اللبنانية في الدفاع عن سيادة لبنان ووحدته»^(٩٢)، وانه تم بناء على طلب عاجل من شمعون، كما أكد ايزنهاور، وان نزول هذه القوات في لبنان عمل غير حزبي^(٩٣) وانهم جاءوا للمحافظة على كيان لبنان من الخطر المجاور له: خطر احتلال الجمهورية العربية المتحدة وخطر الثورة العراقية الجديدة^(٩٤).

إلا أن هذه الادعاءات سرعان ما نسفت كلها على يد الحكومة الامريكية نفسها حين اعترف ناطق رسمي باسم وزير الخارجية الامريكية يوم ٨ تشرين أول ١٩٥٨ بأن «الاضطرابات» التي وقعت في لبنان كانت لأسباب داخلية. ولما طلب من الناطق توضيح هذه الفقرة قال، ان القوات الامريكية ارسلت الى لبنان يوم ١٥ تموز ١٩٥٨ بناء على طلب رسمي من الحكومة اللبنانية بزعم وجود تدخل اجنبي في شؤون لبنان. وأضاف بأن الموضوع بعد الآن لا يمكن ان يعتبر كذلك وان اية خلافات مماثلة قد تقع في لبنان بعد الآن ليست في الحقيقة إلا خلافات بين الكتل والعناصر السياسية اللبنانية نفسها وليس بين لبنان ودول اجنبية^(٩٥).

في حين اشار الدبلوماسي الامريكي روبرت مورفي مبعوث الرئيس الامريكي الى لبنان أثناء الأزمة ان هدف التدخل هو اظهار نفوذ الولايات المتحدة والتزاماتها في الشرق الأوسط، مؤكداً ان «ايزنهاور كان يعتقد انه اذا لم تتدخل الولايات المتحدة الان فستحدث خسائر جسيمة لا يمكن استرجاعها في لبنان وفي المنطقة عموماً. وكان ينبغي اظهار قدرة الولايات

(٩١) جريدة «الحرية» ١٧ تموز ١٩٥٨.

(٩٢) بارت، مصدر سابق، ص ١٣٠.

(٩٣) د. جمال الدين الرمادي، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٩٤) الرناشي، مصدر سابق، ص ١٩٨.

(٩٥) جريده «الحرية» ٩ تشرين الأول ١٩٥٨.

المتحدة على اسناد اصدقائها بشكل عملي وفي اللحظة المناسبة». ويعتقد بارت ان الهدف الرئيسي للتدخل كان منع البلدان المجاورة للبنان، أي سوريا أو الاقليم الشمالي من دوله الوحدة وقتذاك، من السير نحو الحياض أو الشيوعية. وكان أحد الأهداف الأخرى أن تظهر الولايات المتحدة استعدادها للمخاطرة بالتحرك العسكري حتى وإن عني ذلك المواجهة المباشرة مع الاتحاد السوفيتي^(٩٦)، بل ان ايزنهاور شد من أزر ماكميلان رئيس الوزارة البريطانية الذي أنزل قواته في الأردن في ١٥ تموز ١٩٥٨، بعد ان شعر ماكميلان بأن تدخله في الأردن معرض للأدانة في الامم المتحدة، بتأكيده ان للانكليز في الأردن نفس حقوق الولايات المتحدة في لبنان وانه «لا يرى سبباً للشعور بالاحراج»^(٩٧).

اما عدنان فواز استاذ العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية فيقول: «إذا كانت الثورة العسكرية في العراق سبباً أولياً للنزول العسكري الامريكي في لبنان، فقد ساعد هذا النزول على انتهاء الأزمة اللبنانية»^(٩٨) كما يرى. ولكنها نهاية لم تحقق آماني الثوار وتطلعاتهم.

لقد سبقت الإشارة الى ان القوات الامريكية لم تتقدم باتجاه المناطق السكنية أو الحساسة في بيروت واكتفت بما احتلته من مناطق الساحل خشية التصادم مع الثوار والقوى الوطنية والقطاعات العسكرية اللبنانية التي أبدت استعدادها للمقاومة والتصدي للدخلاء. لأن مثل هذا التصادم قد يجبر واشنطن الى ورطة كبيرة لم تحسب حسابها بل ولا تريد الوقوع في مستنقعها المتحرك، إذ ان جل ما تطمح إليه هو الحيلولة دون نجاح الثورة وتولي أحد رجالها أو مناصريها على الأقل رئاسة الدولة بعد شمعون .. ثم قد يؤدي مثل هذا التورط الامريكي الى ضرب المصالح الامريكية في لبنان والمنطقة العربية وهذه المصالح هي أحرص ما تحرص عليه الولايات المتحدة. فضلاً عن رغبة واشنطن في تحاشي المضاعفات المحلية والعربية والدولية التي قد يفرزها تدخلها الفج في لبنان.

ولما كانت أوامر قائد الاسطول السادس الاميرال هالاوي صريحة بتدمير بيروت عند حدوث أية مقاومة، فقد سارع اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش بالاتصال بقيادة «المقاومة

(٩٦) بارت، مصدر سابق، ص ١٣١.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٩٨) عدنان فواز، مصدر سابق، ص ٨٦.

الشعبية» لضبط اعصابها وأعصاب نوارها، وكذلك قام هو بالتأثير على الضباط اللبنانيين الذين أصرّوا على مقاومة الغزاة .. وقد نجح بالفعل في مسعاه هذا، ولكن بعد أن حصل كما يبدو على ضوء اخضر من هالايي بعدم التقدم نحو مركز بيروت وأحيائها المزدحمة قسراً أو دون اذن أو تشاور مسبق مع قيادة الجيش اللبناني أو بدون مصاحبة بعض رجاله أو قطعاته ان افتضى الامر دخول بعض قطعات جيش الاحتلال الامريكى الى مركز بيروت للمرابطة قرب بعض المؤسسات الامريكية الرسمية أو التجارية. وهذا ما حصل فعلاً كما سترى. وقد أحبط الثوار علماً بذلك . ويقول أحد قادة الثورة بهذا الصدد: قررنا «ان نسيطر على أعصابنا والا نصطدم بالجيش الامريكى» خسبه المضاعفات من جهة وخشية سقوط ضحايا عديدين من جهة ثانية وخشية اعطاء الفرصة للغزاة لاطالة أمد احتلالهم اللامشروع من جهة ثالثة. وقد نزل قرار عدم التصدي للغزاة على الجماهير نزول الصاعقة، فارتفعت الاصوات تدعو الجماهير الى التوجه نحو الساطى لقتال الامريكيين، ولكن قيادة الانتفاضة الشعبية نجحت بشكل أقرب الى الاعجاز في ان تشرح وجهة نظرها وتضع الجماهير بالبقاء في مواقعها. إلا أن هذا لم يمنع البوار من المطالبة باستقالة شمعون من الرئاسة بل اشتدت حملة المطالبة بدل ان تضعف ، حتى ان شعار «لا نلقي السلاح إلا بدهاب شمعون وسامي الصلح» غدا مطلباً جماهيرياً متداولاً في كل مكان^(٩٩).

وبالمقابل فقد أصر كميل شمعون على ان تدخل القوات الامريكية بيروت «وإلا اختطفني» كما أكد للامريكان - النوار، وحينئذ ستجد الحكومة الامريكية نفسها في وضع حرج لأن قوانينها في لبنان تصبح فوق أراضى أجنبية بدون الحكومة التى استدعتها» وكان الأمريكان قد أنزلوا نحو (١٥) ألف جندي يومي ١٥ و١٦ تموز واحتلوا مطار بيروت الدولي دون مقاومة بفعل بعده عن مركز العاصمة. أما الجيش اللبناني فقد وقف عند مداخل بيروت. ويرجح صلاح العفاد انه فعل ذلك بمجرد التظاهر بحفظ ماء الوجه. ولا شك ان بعض الضباط قد جرحت كرامتهم، ولكن القيادة العامة وقفت موقفاً سلبياً، وأخيراً وافقت على ان ترافق قوات لبنانية الامريكيين عند دخولهم العاصمة بناءً على رغبة رئيس الجمهورية كميل شمعون، وحددت المواقع التى ترابط فيها القوات الامريكية وهي الميناء والاماكن التى تقع فيها المؤسسات الامريكية^(١٠٠).

(٩٩) «الرياني، مصدر سابق، ص ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(١٠٠) صلاح العفاد، مصدر سابق، ص ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

وبعد ان اطمأن الجيش الامريكى الى عدم تصدى الجيش اللبناني له وانسحاب ذلك على الثوار حاول ان يجس نبض الثوار، بعد ان فهم خطأ ان قرار عدم التصدى دليل على الضعف والوهن، حين وجه انذاراً في ١٨ تموز الى قيادة «المقاومة الشعبية» بتخلى موقع نلّ الحياط وهي أعلى نقطة في بيروت، وتخليتها من قبل الثوار معناه كشف كل مواقعهم ومناطقهم في «بيروت الحرة» امام الجيش الأمريكى إلا أن الثوار رفضوا ذلك مؤكدين انهم سيدافعون عن الموقع حتى آخر رجل. وامام اصرار الثوار اضطر الأمريكان الى سحب انذارهم (١٠١).

ازاء السخط الشعبي العام ضد الولايات المتحدة والذى ساد لبنان وكل الوطن العربي، قرر الرئيس الامريكى ارسال روبرت مورفي نائب وكيل وزارة الخارجية كمبعوث عنه الى لبنان لدراسة الموقف من جهة وتحاشي تطوره بشكل لا يخدم المصالح الامريكى في المنطقة من جهة ثانية، حتى وان كان ذلك يعنى التضحية بشمعون نفسه، خاصة بعد ان احترقت أوراقه واصبح غير قادر بالتام على أداء الخدمة المطلوبة للاستعمار الامريكى من موقعه كرئيس للبنان، والمجى برئيس جديد لا يختلف عن شمعون إلا بالاسم ويمثله في استعداداته لخدمة البيت الابيض. وإذا تعذر ذلك وهو متعذر فعلاً في ظل استمرار الانتفاضة الشعبية، فلا بأس من تولى رئيس يمثل الوسط للحيلولة دون قطف الشعب اللبناني لهما نورتته بعد ان اقتربت من النضوج لولا قوات الاسطول السادس. وتقرر ان لا يعود مورفي من لبنان إلا بعد ان يرتب الأوضاع بهذا الشكل أو ذاك لما فيه خدمه مصالح واشنطن في لبنان خاصة والمنطقة العربية بوجه عام . ما ان وصل مورفي الى بيروت حتى تجلت أمامه جملة من الحقائق التي لا يمكن اهماها أو التغاضي عنها هي:

١ - ان شمعون كان قد تحول إلى شبه ما يكون بسجين في القصر الجمهوري، مهمته خلال السبع والستين يوماً السابقة لوصول مورفي تفادي الاغتيال لدرجه أنه لم يكن ليقترب من نافذة القصر أبداً خشية القناصة من الثوار، لذلك كان منقطعاً عن مجرى الأحداث السريع في البلاد. وتأكد لمورفي ان شمعون لا يمكن انقاذه، لذا فان استمراره كرئيس للبنان غير ممكن، أى أن مسألة تجديد عهده لا بد من صرف النظر عنها نهائياً. ولكن حفاظاً على «كرامته» شمعون، أو قل ما تبقى منها، ضمن مورفي له استمرار عهده حتى نهايته «القانونية» في ٢٣ أيلول ١٩٥٨ .

٢ - كانت الشخصية التي لها اليد الطولى في الموقف بل وفي ترتيب الكثير من أحداثه، خاصة بعد نزول القوات الأمريكية، هي شخصية اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش الذي أصر كما رأينا على رفض ادخال الجيش لصالح شمعون أو ضده، لأنه كان يأمل أن يقوم الجيش بدور الوسيط بين الأطراف المتصارعة لا الحاسم لصالح أحدهما، لينتج التوصل الى حل وسط وهذا ما أدركه مورفي أيضاً بعد تدارسه للموقف ... وبدأ مورفي أن الشخص الوحيد الذي يستطيع إيقاف الصراع هو فؤاد شهاب لأنه يحظى بتأييد ونقطة كل الأطراف أو معظمها على أقل تقدير إذا ما أريد إيقاف حالة التدهور وما يمكن أن تجره من مخاطر، في حالة استمرارها، على المصالح الأمريكية .

وجد مورفي ان الضرورة الماسة تتطلب من حكومته اتخاذ موقف اقل انحيازاً في الحرب الأهلية رسماً تعيد ترتيب أوراق اللعبة مرة أخرى وفي ظروف أكثر صلاحية ومواتاة. وهكذا رتب اجتماعاً مع قادة النوار بوساطة الكولونيل الأمريكي المتقاعد وليام ادي الذي كان يعمل مستشاراً لشركة الأرامكو في بيروت. «وأقنع» مورفي قادة البورة بأن الولايات المتحدة لم تعد مرتبطة بشمعون رغم كونه أكثر سياسي موالٍ لها في الشرق الأوسط^(١٠٢) .

وبعد ان اتضحت النوايا تماماً تبين أن معظم القوى السياسية في لبنان، والتي ساهم في صقل مواقف بعضها المبعوث الأمريكي مورفي، غير مختلفة حول شهاب تقرر اجراء الانتخابات في ٣١ تموز ١٩٥٨ لاختيار رئيس جديد للجمهورية. ولم يكن هناك من ينافس حقاً اللواء فؤاد شهاب على سدة الرئاسة - خاصة بعد ان اصيب حميد فرنجية مرشح المعارضة وأحد أقطاب المعارضة المارونيين لشمعون فجأة بداء عضال أقعده عن العمل السياسي نهائياً - مما اضطر المعارضة الى التوجه نحو فؤاد شهاب قائد الجيش وأبرز المرشحين للرئاسة^(١٠٣). ولا شك أن شهاب كان سيفوز حتماً في الانتخابات حتى لو دخلها معه فرنجية لما

(١٠٢) بارت، مصدر سابق، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(١٠٣) أبرز من رشح للرئاسة من داخل البرلمان: سلام الحداد، ريمون اده، اميلي ابو جوده. اما من خارجه: الفريد نقاش (رئيس سابق للبنان أثناء الاحتلال الفرنسي)، شارل حلو (صار فيما بعد رئيساً للبنان بين ١٩٦٤ - ١٩٧٠)، حواد بولص، اميلي بيان، بدري المعوشي، بشارة الخوري (وهو رئيس سابق)، فضلاً عن فؤاد شهاب المرشح الأقوى. ما فرنجية فكما اشير في متن البحث لم يرشح نفسه بسبب مرضه المفاجئ. انظر الصليبي، مصدر سابق، ص ٢٤٦، وانظر QuBain, op. cit, p. 155

لشهاب من سمعة طيبة ولأنه يحظى باحترام الأغلبية، فقد كان رجل الساعة في نظر الجبابرة الأكبر من القوى السياسية اللبنانية. ولا ننسى أيضاً أن مورفي صرح قائلاً بأنه قد اتضح له «وللجميع بأن الحل الأنسب هو انتخاب اللواء فؤاد شهاب خلفاً للرئيس شمعون»^(١٠٤).

ومن الجدير بالذكر أن مورفي غادر^(١٠٥) لبنان قبل قدوم يوم الانتخابات بساعات قليلة لتلافي الاحراج، وخشية تفسير بقائه على أنه يهدف الضغط على النواب لانتخاب شخص معين، لكن المرجح أن مورفي قرر ترك لبنان بعد أن وجد أن بقاءه لا يقدم ولا يؤخر خاصة بعد أن حسم الموقف لصالح شهاب وليس بالاستطاعة فرض شخصية لبنانية يمينية مكشوفة كشمعون. وهكذا حظى شهاب بتأييد معظم القوى القادرة على التأثير في الساحة اللبنانية ما بين مقتنع به وبين مضطر للاقتناع لأنه لم يجد غيره ليعطيه صوته. بل إن شهاب حظى حتى بدعم ج.ع.م.، فقد صرح مصدر مسؤول في القاهرة بعد انتخاب شهاب مباشرة قائلاً إن جمال عبدالناصر هو الذي رشح اللواء شهاب للرئاسة وذلك يوم ٢٠ أيار ١٩٥٨ حين اتصلت واشنطن بالرئيس عبدالناصر لبحث وضع لبنان. فأبلغهم أن الحل هو في تولي شخص ترضى عنه المعارضة وجميع الجهات السياسية المعنية، وأن هذا الشخص هو شهاب وفعلاً لم تقنع إلا حكومة شمعون في انتخابه وجاءت القوات الأمريكية لاحتلال لبنان ضاربة عرض الحائط الاقتراح، الذي سرعان ما اضطرت إلى قبوله بعد تردي الأوضاع، كما أكد هذا المصدر^(١٠٦).

وكان حزب البعث العربي الاشتراكي قد أصدر قبل يوم واحد من انتخابات الرئاسة، أي في ٣٠ تموز ١٩٥٨، بياناً عبر فيه عن رأي جميع القوى المعارضة لشمعون جاء فيه ما يلي :

١ - رفض اجراء الانتخابات في ظل جيوش الاحتلال وعن طريق مجلس مزيف لا يمثل أرادة الشعب .

٢ - المطالبة بحكم انتقالي يحقق جلاء الجيوش الأجنبية ويعمل على تصفية عصابات

(١٠٤) الصليبي، مصدر سابق، ص ٢٤٨ .

(١٠٥) وصل مورفي بغداد في ٢ آب ١٩٥٨. ولما سئل عن التدخل الأمريكي في لبنان قال انه جاء بناء على طلب الرئيس شمعون والحكومة اللبنانية الشرعية وتطبيقاً للمادة (٥١) من ميثاق الامم المتحدة. انظر جريدة «الحرية»، ٣ آب ١٩٥٨.

(١٠٦) الحرية، (١) آب ١٩٥٨: ايليا حريق، من يحكم لبنان، ص ٧٩

الخيانة وتطهير أجهزة الدولة والجيش من العملاء وصغار النفوس المخربين. ويجري انتخابات جديدة لعهد ديمقراطي جديد ينفذ أهداف الشعب التي قامت من أجلها الثورة».

وجاء في البيان أيضاً: «ولن نقبل البحث بأي مرشح لم يستتكر التدخل العسكري الأجنبي. لن نقبل بالبحث بأي مرشح لم يحارب العهد (الشمعوني) أو ساعد على إطالة أمده أثناء الثورة. إن شعار الجميع الآن هو المطالبة بجلاء الجيوش الأجنبية أولاً. لا انتخابات في ظل الاحتلال. والنصر للشعب وللثورة الجارية»^(١٠٧).

ثم عاد الحزب وأكد في بيان آخر له أصدره يوم ٣١ تموز ١٩٥٨ بعد فوز شهاب بانتخابات الرئاسة بأغلبية ٤٨ صوتاً ضد تانية وتغيب عشرة عن التصويت^(١٠٨) - ضرورة ذهاب شمعون وجلاء الأمريكان عن البلاد إذ أنها أمران متلازمان إذ لا استقرار ولا حياة حرة سريفة للشعب إلا بعد جلاء الجيوش الأجنبية. ودعا الجيش والشعب لخوض معركة انقاذ الاستقلال واجلاء الاجنبي المستعمرين جديداً^(١٠٩).

وهنا يفرض سؤال مشروع نفسه: كيف تم انتخاب شهاب رئيساً للجمهورية في ظل الاحتلال على الرغم من شجب بيان القوى المعارضة التي عبر عنها حزب البعث العربي الاشتراكي.

(١٠٧) نضال البعث، ج ٨، ص ١٢٩.

(١٠٨) في التصويت الأول كانت الاصوات بالشكل التالي: شهاب (٤٣) صوتاً، ريمون اده (١٠) أصوات، (٣) أوراق بيضاء، المجموع = ٥٦ بسبب تغيب عشرة نواب عن جلسة التصويت من بينهم سامي الصلح رئيس الوزراء الذي لم يحضر بحجة ان ترشح شهاب لا يتماشى مع الدستور. لذا نجده يهرب من لبنان قبل بدء عهد شهاب بأيام دون ان يعلم به أحد. أما نواب المعارضة الذين حضروا فمنهم رشيد كرامي، صبري حمادة، انور الخطيب، معروف سعد، رنيه معوض. وبما ان شهاب لم يحصل على أغلبية الثلثين المطلوبة وهي (٤٤) صوتاً من مجموع أصوات المجلس النيابي البالغه (٦٦) صوتاً فقد أعيد التصويت فكانت النتيجة كما يلي: شهاب (٤٨) صوتاً، ريمون اده (٧) أصوات، (١) بيضاء، المجموع (٥٦) صوتاً. وهكذا حاز شهاب على أغلبية الثلثين بل وأكثر رغم غياب عشرة أعضاء عن جلسة التصويت كما اشرت. انظر الحزبه، ١ آب ١٩٥٨، ٢١ أيلول ١٩٥٨.

(١٠٩) نضال البعث ج ٨، ص ١٢٩ - ١٣٠.

وللأجابة على هذا التساؤل نقول:

قبل كل شيء يجب علينا الا ننسى ان الحكومة اللبنانية برئاسة سامي الصلح والدولة برئاسة شمعون كانت لا تزال قائمة، إذ أن موعد انتهاء عهدها كان ينتهي في ٢٣ أيلول ١٩٥٨، خاصة بعد ان أصر شمعون على عدم الاستقالة إلا بعد اكمال مدته القانونية، يدعمه في موقفه هذا الجيش الامريكي النازل على شواطئ بيروت. وهنا لا نستطيع بالطبع ان نفعل الضغوط التي تستطيع ادارة شمعون والصلح ممارستها فعلا لتظهر نفسها بظهر اللامبالي بل والمتحدي لبيان زعماء المعارضة الآنف الذكر، متظاهرة بالقوة والجبروت حتى وهي في أواخر أيامها برفض شروط الثوار، فضلاً عن رغبتها في كسر شوكة الثوار وطعن الانتفاضة الشعبية معنوياً ونفسياً بالاصرار على انتهاج اسلوب اعلنت الانتفاضة مسبباً انها ترفضه وتشجبه بحزم . وكان سلاح شمعون في ذلك :

١ - الجيش الامريكي المحتل المعزز بالعدة والعدد والذي احتل معظم شواطئ بيروت، وقد اتخذ شمعون بالفعل ستاراً بل وصمام أمان لكل تحركاته هذه بما فيها سد الطريق على وصول شخص من قادة الانتفاضة أو رجالها أو مسانديها الى سدة الرئاسة - وهنا وعند هذه النقطة ان الاتفاق بين شمعون والقوات الامريكية المحتلة لا شبهة حوله ولا لبس فيه ولا خلاف .

٢ - ان غالبية أعضاء مجلس النواب، الذي يقوم عادة بانتخاب الرئيس الجديد للبنان بموجب الدستور، هم نفس أعضاء المجلس الذين وصلوا الى كرسى العضوية عام ١٩٥٧ بفضل جهود شمعون والمخابرات الغربية التي قررت ايصالهم لتفسيح امام شمعون تجديد عهده لست سنوات اخرى. وقد سبق أن رأينا ان معظم أعضاء المجلس من اعوان شمعون وازلامه بفضل التزيف الذي ساد الانتخابات لذا فهؤلاء كانوا مستعدين ولا شك بعد تلقي الضوء الأخضر، لانتخاب من لا يمانع البيت الأبيض في وصوله الى منصب رئاسة الجمهورية. ولما كان مجي أحد العملاء من طينة شمعون - كما سبق أن أشرنا - أمراً مرفوضاً من الثوار ولأنه سيزيد الوضع المتفجر تأزماً، لذا فان مجي «معتدل» كفؤاد شهاب يعتبر أهون الشرين، إذ ان ذلك أفضل بكثير ولا شك بالنسبة للامريكان في مجي رجل ساند الانتفاضة .. فاذن لا مانع من انتخابه ما دام مورفي قد جاهر بذلك قبل أن يرحل عن بيروت .

٣ - ان عدد الأعضاء الوطنيين والتقدميين من أحزاب المعارضة لشمعون قليلين جداً في المجلس النيابي «المنتخب» عام ١٩٥٧ لما سادها من تزييف كما سبقت الإشارة، لذا فان تأنييرهم ولا شك داخل المجلس ليس كبيراً بل ولا يقاس بدورهم في الشارع وبين صفوف الجماهير كما لمسنا ذلك في طيات البحث .

بل ولا ننس ان نشير الى ان عدداً من النواب المحسوبين على المعارضة بل ومن قادتها، ومن يفضلون الحلول الوسطية بفعل اعتدالهم ووسطيتهم وانحداراتهم الطبقية ساهموا مساهمة فعالة في انتخاب شهاب لأنه لم يكن بنية هؤلاء الذين ساهموا في أجهزة الانتفاضة والوقوف بها عند منتصف الطريق أي تصور جذري للأزمة اللبنانية .

وبعد انتخاب شهاب رئيساً للجمهورية بثلاثة أيام اصدر حزب البعث العربي الاشتراكي في ٣ آب ١٩٥٨ بياناً أكد فيه ان الانتخابات تمت تحت الضغط الأجنبي ولم تحقق اهداف الشعب ... اذ ليس من ضمانات ظاهرة في العهد الجديد لمطالب الشعب الأساسية من الانتفاضة ، وان الشعب ما يزال يتساءل عن مصير مطالبه المباشرة بتطهير أجهزة الدولة والجيش من الفساد والقضاء على عصابات الخيانة والتآمر واقامة حكم ديمقراطي يعمل لمصلحة الشعب بكل فئاته، واعتبار أعمال النوار شرعية وضمان مستقبل الاحرار من الموظفين و افراد القوات المسلحة الذين انضموا للشعب المناضل ... وختم الحزب بيانه بالقول: «أيها الشعب العظيم .. ان انتخابات الرئاسة التي تمت بالشكل الذي عرفته وحذرت منه لم تحقق حتى الان اهداف الثورة، ولقد حال دون استبشارك بقرب انتهاء الأزمة خيبة أملك من القبول بالرضوخ لحل تم تحت ضغط قوات الاحتلال الأجنبية»^(١١٠). ثم دعا في بيان آخر له العهد الجديد الى محاكمة المسؤولين عن فساد العهد السابق وخياناته ومؤامراته خصوصاً بعد تسببهم في عودة الاحتلال الاجنبي للبلاد.^(١١١)

وقد اكد اللواء فؤاد شهاب في أول بيان له بعد انتخابه رئيساً للجمهورية وجهه الى الشعب اللبناني ليلة ٤ آب ١٩٥٨ حرصه على تحقيق جلاء القوات الأمريكية عن لبنان وأعلن تمسكه بالميثاق الذي أجمعت عليه الهيئات والاحزاب في لبنان منذ عام ١٩٤٣^(١١٢)

(١١٠) المصدر نفسه، ص ص ١٣١ - ١٣٢ .

(١١١) المصدر نفسه، ص ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(١١٢) الحزب، ٥ آب ١٩٥٨ .

وبالفعل بدأت أول كتيبة أمريكية مؤلفة من ١٨٠٠ جندي بالانسحاب من لبنان يوم ١٣ آب ١٩٥٨، وهو نفس اليوم الذي بدأت فيه اجتماعات الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة حول قضية جيوش الاحتلال في لبنان والأردن، بقصد جر البساط من تحت المعارضين لوجود هذه القوات وتخفيف حدة الهجوم الاعلامي في الجمعية العامة ضد واشنطن واطهار المحتلين وكانهم رهن إشارة الرئيس اللبناني المنتخب للانسحاب من لبنان، وكأن هدفهم اقرار الأمن لا اجهاض الانتفاضة الشعبية ودعم اليمين اللبناني. واقتت الكتيبة انسحابها بعد ثلاثة أيام، وبذلك بقي من القوات الأمريكية النازلة في لبنان ما يقل قليلاً عن (١٣) ألف جندي أمريكي. وقد أكد جيمس هالاوي القائد العام للقوات الأمريكية في لبنان ان قرار السحب هذا اتخذ بعد مشاورات مع كل من شمعون وشهاب^(١١٣)، إلا ان هذا الانسحاب الجزئي لم يبلغ السخط العالمي الموجه ضد جيش الاحتلال الأمريكي .

وازاء اختلاط الحابل بالنابل وتردي الأوضاع الأمنية في لبنان والاحتجاج العالمي الواسع على تدخل لقوات الأمريكية في لبنان تقرر في الامم المتحدة عقد دورة استثنائية للجمعية العامة يوم ١٣ آب ١٩٥٨. وقد ارسل مؤتمر الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية في لبنان برقية الى داغ همرشولد سكرتير الامم المتحدة اعلن فيها:

- ١ - سخطه على الاحتلال الأمريكي .
- ٢ - المطالبة بوضع حد لهذا العدوان على الأراضي اللبنانية .
- ٣ - يعتبر المؤتمر ان كل وفد ترسله الحكومة التي لم تعد تملك من الشرعية ومن الثقة العامة ومن اسباب الحكم شيئاً لتمثيلها في جلسات الجمعية العامة وخصوصاً برئاسة أو عضوية شارل مالك^(١١٤) لا يمثل الشعب في لبنان ولا يعبر عن ارادته .
- ٤ - يؤكد المؤتمر إرادة الشعب اللبناني في الاستقلال والسيادة وفقاً لمبادئ الامم المتحدة

(١١٣) الحرية، ١٣، ١٤، آب ١٩٥٨ .

(١١٤) انتخب شارل مالك بترشيح من حكومة سامي الصلح بعد مناقشات مجلس أمن بشأن لبنان بأسابيع قليلة وعلى وجه التحديد يوم ١٦ أيلول ١٩٥٨. وهو موعد ابتداء الدورة العادية الثالثة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة رئيساً للجمعية. اذ حصل على (٤٥) صوتاً مقابل (٣١) صوتاً حصل عليها منافسه محمد احمد محبوب وزير خارجية السودان. وكان لواشنطن الدور الأكبر في وصوله الى رئاسة الجمعية العامة. انظر الحرية، ١٧ أيلول ١٩٥٨ .

ويرفض كل حل يأتي من الخارج ولا يحترم وجوده كدولة ذات سيادة حرة مطلقة أولاً
يأتلف مع الكرامة الوطنية أو يتعارض مع الروابط الطبيعية مع العالم العربي الذي هو
جزء منه.

واختتم المؤتمر برقيته قائلاً ان الامم المتحدة ليست دولة عالمية تعلو سيادة الدول المنظمة
اليها ولا تملك حق التصرف بمقدرات الشعوب ارضاءً لارادات خارجية^(١١٥).

افتتحت الدورة الاستثنائية للجمعية العامة حول لبنان في الساعة ٥ر٤٥ من بعد ظهر
١٣ آب ١٩٥٨ بتوقيت بغداد. وقدمت عدة مشاريع منها المشروع الامريكي والمشروع
السوفيتي. احتوى المشروع الأمريكي الذي تلاه ايزنهاور بنفسه على ست نقاط اهمها
الدعوة لانشاء قوة بوليس دولية تابعة للامم المتحدة تحل محل القوات الأمريكية التي تسحب
من لبنان. اما المشروع السوفيتي الذي قدمه النذرية جروميكو وزير الخارجية رئيس الوفد
السوفيتي فقد اتهم امريكا بارتكاب العدوان المباشر على لبنان، وان ما تدعيه امريكا من
تطبيق للمادة (٥١) من ميثاق الامم المتحدة لا صحة له لأن هذه المادة لا تنطبق إلا في حالة
تعرض الدولة الى عدوان خارجي مسلح وهذا ما لم يحدث في لبنان أو الأردن. ثم دعا جروميكو
الى انسحاب القوات المحتلة من لبنان والأردن، وتدعيم هيئة المراقبين في لبنان. وقد امتدح
محمود فوزي رئيس وفد ج. ع. م المشروع السوفيتي واثنى عليه^(١١٦) وقد انتهت مناقشات
الدورة الاستثنائية يوم ٢١ آب ١٩٥٨ بالموافقة على مشروع القرار العربي الذي يدعو إلى
انسحاب القوات الأجنبية من لبنان والأردن في وقت مبكر، ونص القرار ايضاً على احترام
جامعة الدول العربية لنظم الحكم في دول الجامعة والامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية
للأنظمة الحاكمة^(١١٧).

ولا شك ان قرار الأمم المتحدة هذا لم يكن واضحاً وصريحاً في اقرار قاعدة عدم التدخل
إلا بما يخص علاقات الدول العربية بعضها ببعض، أما الدول الاجنبية فلم يؤكد وجوب

(١١٥) الحرية، ١٤ آب ١٩٥٨.

(١١٦) الحرية، ١٤ آب ١٩٥٨.

(١١٧) الحرية، ٢٢ آب ١٩٥٨.

اقتناعها هي الأخرى عن التدخل في شؤون الغير^(١١٨). وقبل ان يصدر هذا القرار كانت واشنطن قد سحبت في ١٩ آب كتيبة ثانية مؤلفة من (١٨٠٠) جندي فبقي في لبنان زهاء (١١) ألف جندي بينما بلغ عددها الاقصى قبل اسبوعين من ذلك (١٥) ألف جندي^(١١٩) هذا في الوقت الذي بدأ فيه عهد شمعون عده التنازلي، وعهد شهاب اقترابه يوماً بعد آخر، ولكن التحالف الكتائبي - الشمعوني الانعزالي أبى إلا أن يعمل على تأزيم الوضع الأمني في لبنان بزيادة حدة التوتر بين قواه السياسية .



(١١٨) فؤاد عمون، مصدر سابق، ص ٧٠ .

(١١٩) الحرية، ٢٠ آب ١٩٥٨ .

الفصل الثاني

«العهد الشهابي والحلول الوسطية»

الثورة المضادة للكتائب :

قبل أن يطل يوم ٢٣ أيلول ١٩٥٨ وهو اليوم الذي كان من المقرر ان ينتهي فيه عهد شمعون ليبدأ عهد فؤاد شهاب بتسلمه سلطاته الدستورية كرئيس للجمهورية، وبينما كان الجو السياسي - العسكري يستعيد هدوءه وتأخذ الغيوم المتلبددة في سماء لبنان بالانقشاع، والقتال خف بصورة تدريجية الى ان توقف كلياً، افتعل حزب الكتائب حادثاً خلاصته «اختطاف» الصحفي الكتائبي فؤاد حداد المحرر في جريدة «العمل» لسان حال حزب «الكتائب اللبنانية» في نهار ١٩ أيلول ١٩٥٨ لتتفجر الأزمة من جديد، خاصة بعد أن دعت الكتائب على لسان رئيسها بيار الجميل الى الاضراب العام بهدف توير الوضع من جديد حتى يتسنى اطالة أمد بقاء القوات الأمريكية بحجة عدم توفر الأمن واستتبابه فضلاً عن الحيلولة دون تولي الرئيس المنتخب فؤاد شهاب لسلطاته الدستورية بهدف تكريس الفوضى والفساد والفتن الطائفية بعد ان تعذر تجديد عهد شمعون مرة أخرى. وليس من السهل الفصل بين مؤامرة الكتائب هذه وبين مسألتين هما:

١ - احباط ضباط استخبارات الجيش اللبناني خطة كانت ترمي الى تجديد عهد شمعون ست سنوات أخرى بالقوة ومنع شهاب من تولي سلطاته الدستورية^(١٢٠).

٢ - اجتماع فؤاد شهاب اثر اكتشاف المؤامرة برشيد كرامي أحد قادة المعارضة لشمعون مرتين الأولى يوم ١٦ أيلول والثانية يوم ١٧ أيلول ففهم من هذا ان كرامي هو المرشح لتشكيل الوزارة الجديدة التي ستتسلم مسؤولياتها بعد تولي شهاب السلطة يوم ٢٣ أيلول. وبما زاد وضع شمعون والكتائب حرجاً تأكيد الرئيس شهاب يوم ١٧ أيلول، وأثر مفاصلته

(١٢٠) الحرب، ١٩ أيلول ١٩٥٨ .

لكرامي، بأن الوزارة الجديدة لن تضم أي شمعوني وإن مهمتها الأولى هي العمل من أجل تحقيق انسحاب القوات الأمريكية^(١٢١).

إلا أن التصرف الكتائبي المفتعل المحسوب بدقة لم يمنع شهاب من أداء اليمين الدستورية في جلسة عقدها مجلس النواب يوم ٢٣ أيلول ١٩٥٨ متسلماً السلطة من شمعون الذي غادر بيروت إلى قرية «عين القبو» في كسروان - لبنان، في حين كان الاضراب الجديد الذي دعت إليه الكتائب ساري المفعول في بعض المناطق اللبنانية الخاضعة إلى نفوذ العصابات الكتائبية والمتعاطفين معها.

ولكن رغم الجو الارهابي الذي خلقتة الكتائب، فقد عمت مظاهر الابتهاج مدينة بيروت بمناسبة انتهاء عهد شمعون وتسلم شهاب لسلطاته الدستورية. وتجلت مظاهر الفرحة بالأعياد النارية التي أطلقها الناس احتفالاً بهذه المناسبة. وشارك رجال الجيش اللبناني الشعب فرحته فاطلقوا الرصاص من بنادقهم ورشاشاتهم وحلقت الطائرات في سماء بيروت مشاركة منها بالمناسبة. وحملت طائرة حربية لافتة كبيرة من القماش كتب عليها (لبنان لجميع اللبنانيين) وتجمع أفراد الشعب حول اجهزة الراديو لسماع خطاب شهاب وبعد انتهائه القسم الدستوري الذي أداه في المجلس النيابي يوم ٢٣ أيلول القى الرئيس شهاب خطاباً استهله بسكر النواب الذين منحوه ثقتهم بانتخابه رئيساً. وقد أكد الرئيس الجديد في خطابه على ضرورة إزالة التوتر في العلاقات بين لبنان وبعض سقيقاته العربيات، وتحقيق انسحاب القوات الأجنبية من أرض الوطن بأسرع وقت، وطرح سلاح اللبنانيين كافة وإعادة الحياة والنشاط إلى الاقتصاد اللبناني وإعادة بناء ما خرب من مرافق البلد ومعاله^(١٢٢).

وفي ٢٤ أيلول تجددت الاشتباكات في بيروت بين «المقاومة الشعبية» التي كانت قد دعت إلى فك اضراب القوى الانعزالية الأخرى الداعية إلى الاضراب الجديد واستمراره، فتدخل الجيش وسقط عدد كبير من الضحايا.

وآثر هذه الاشتباكات التي شملت مناطق فرن الشباك وطريق الشام ومحلة الجميزه والصيفي وساحة الشهداء وقرب سينا ريفولي، اصدرت قيادة الجيش التي دخلت قواتها

(١٢١) الحرية، ١٧، ١٨ أيلول ١٩٥٨.

(١٢٢) الحرية، ٢٤ أيلول ١٩٥٨.

للفصل بين المستبكين من الطرفين بلاغاً جاءت فيه القرارات التالية رغبة في المحافظة على الأمن :

١ - يمنع منعاً باتاً نقل الاسلحة في شوارع بيروت وضواحيها حتى ولو كان مرخصاً به من وزارة الداخلية أو قياده الجيش .

٢ - لقد اعطيت التعليمات المشددة لكافة قوى الأمن لاطلاق النار فوراً ودون سابق انذار على كل شخص يظهر في الشارع ينقل سلاحاً .

٣ - ان البيوت والمنازل التي تطلق منها النار لأي سبب كان سوف ترد عليها قوى الأمن بالمثل من اسلحتها الاوتوماتيكية وتقصف هذه المنازل بالمدافع (١٢٣)

كلف الرئيس فؤاد شهاب، في اليوم الأول لتوليته الرئاسة، أحد قادة المعارضة لنظام شمعون وهو رشيد كرامي بتأليف الوزارة الجديدة بعد أن لمس ان كفة القوى الوطنية والمناهضة لحكم شمعون المندثر هي الأرجح في الشارع اللبناني رغم ضعف هذه الكفة نفسها في المجلس النيابي اللبناني بسبب التزييف الذي ساد انتخابات (١٩٥٧) كما رأينا، مضافاً لذلك تأمر القوى الأنعرالية ضد شهاب للحيلولة دون توليه الرئاسة لد عهد شمعون كما سبقت الإشارة. وقد نجح كرامي في تشكيل وزارته - التي يبدو انه كان متفقاً عليها بين شهاب وكرامي منذ اجتماعيهما يومي ١٦ و ١٧ أيلول الأنفي الذكر - الثانية (تألفت من ثمانية وزراء) خلال يوم واحد، فقد اعلنت هذه التشكيلة في ساعة متأخرة من ليلة ٢٤ أيلول ١٩٥٨ على النحو التالي:

١ - رشيد كرامي لرئاسة الوزراء والداخلية والدفاع الوطني.

٢ - فيليب تولا للخارجية والمغتربين .

٣ - شارل حلو للاقتصاد الوطني والأنباء .

٤ - محمد صفى الدين للتربية الوطنية والصحة العامة .

٥ - يوسف السود للعدلية والعمل والشؤون الاجتماعية .

٦ - رفيق نجم للمالية .

٧ - فريد طراد للاشغال العامة والمواصلات والتصميم .

٨ - فؤاد النجار للزراعة والبريد والبرق والهاتف^(١٢٤)

وقد أكد كرامي في مؤتمر صحفي عقده صباح ٢٥ أيلول ان انسحاب القوات الاجنبية من لبنان مسألة في غاية الاهمية وسيجرى بحث هذه المسألة في أول اجتماع تعهده الوزارة اللبنانية، وقال كرامي ان «الرئيس ايزنهاور ومستردالاس كانا قد ذكرا ان القوات الامريكية ستسحب من لبنان عندما تطلب ذلك الحكومة اللبنانية أو عندما تسمح بذلك الأوضاع في لبنان وبذلك فأني واثق ان هذه القوات ستسحب قريباً». وقال انه سيتقدم يوم السبت ٢٧ أيلول بطلب رسمي لسحب القوات الامريكية من الأراضي اللبنانية خاصة وان الرئيس سهاب اكد ذلك في أول خطاب له بعد توليه الرئاسة واعتبر الانسحاب في مقدمه المطالب^(١٢٥).

لم تنه التشكيلة الوزارية الثورة المضادة للكتائب بل زادت من حدتها خاصة وان رأيها لم يؤخذ بالتشكيلة الوزارية المعلنة، إلا أنه رغم ذلك نجحت قوات الجيش في ١ تشرين الأول ١٩٥٨ في ان توفر الهدوء لبيروت على نحو افضل مما كان عليه في الأيام السابقة لهذا التاريخ، ففتحت المحال التجارية أبوابها وراوت عملها كالعتاد، اذ تمكنت هذه القوات من السيطرة - ولو مؤقتاً كما سنرى - على الموقف في العاصمة اللبنانية منذ صباح اليوم المذكور فأخذت وحداتها تنتشر في المراكز والشوارع الرئيسية وفي المداخل الشرقية للمدينة حيث مركز ومقفل القوى الانعزالية ولا يزال، وفق اسطح العمارات والمنازل المشرفة على مقر عصابات الكتائب والأحياء الشرقية كلها. وقامت قوات الجيش بفتح الطرقات المؤدية الى المصايف في الجبال مبتدئة بطريق برما، وبدأت بتطهير المناطق الجبلية كلها من خلايا عصابات الكتائب وحلفائهم^(١٢٦).

وخلال اليوم نفسه اعلن روبرت ماكلنتوك السفير الامريكي في بيروت في مؤتمر صحفي له ان قوات الاحتلال الامريكية ستسحب خلال الأيام القليلة القادمة من لبنان، وقال انه

(١٢٤) الحرية، ٢٥ أيلول ١٩٥٨ .

(١٢٥) الحرية، ٢٦ أيلول ١٩٥٨ .

(١٢٦) الحرية، ٢ تشرين الاول ١٩٥٨ .

سيجتمع بالرئيس شهاب للبحث في هذا الموضوع^(١٢٧).

ويبدو أن اصرار حكومة كرامي على تهدة الوضع وإيقاف الكتائب وعصاباتهما ومن يساندها عند حدها دفع هذه القوى التي تهيمن بشكل ملحوظ على المجلس النيابي اللبناني إلى التهديد بالتصويت ضد حكومة كرامي عند طلبها الثقة، إذ اعتبر هؤلاء هذه الوزارة ضدهم على الرغم من أن تشكيلها لم يلبّ مطالب الانتفاضة الشعبية وتطلعاتها، بحجة أنهم لم يستشاروا في تأليفها. وإزاء ذلك صرح رشيد كرامي في ١ تشرين الأول ١٩٥٨ أن حكومته تعتزم حل مجلس النواب إذا استمر النواب في مناوراتهم ضد حكومته وأكد أن موضوع حل المجلس النيابي هو قيد البحث الجدي بينه وبين الرئيس شهاب. وكان عادل عسيران رئيس المجلس قد طالب بضرورة تعديل الوزارة وادخال العناصر النيابية فيها لأنه لاحظ أن النواب الشمعونيين يحاولون إسقاط الوزارة. وقد رفض كرامي رفضاً باتاً هذه النصيحة وأعلن أنه لن يعدل أو يزيد عدد الوزراء وأنه مستعد لحل المجلس. وقد أثرت هذه التصريحات على بعض النواب الذين أخذوا يتراجعون عن مواقفهم معلّنين على استعدادهم لمنح حكومة كرامي الثقة. وقد بت أن سمعون هو الذي أثار هؤلاء النواب وحرص على حجب الثقة عن حكومة كرامي الجديدة^(١٢٨).

مما لا شك فيه أن جزءاً من اضطراب جبل الامن كان سببه تواطؤ بعض المسؤولين في الحكومة مع الكتائب وحلفائها وعدم اتخاذهم أي اجراءات جدية لمطاردتهم وقطع دابر سوء تصرفهم، خاصة وأن التطهير في اجهزة الدولة لم يكن قد بدأ لاستئصال العناصر الشمعونية من المناصب الحساسة، ولا سيما المناصب الثلاثة مدير الامن العام الذي كان يتولاه فؤاد سمعون شقيق كميل سمعون ومدير الشرطة العام صلاح البايدي وقائد الدرك الزعيم سيمون

(١٢٧) الحربة، ٢ تشرين الاول. بدأت عمليات جلاء القوات البريطانية عن الأردن يوم ٢٥ تشرين الاول ١٩٥٨، أي في نفس اليوم الذي انتهت فيه عمليات جلاء الجيش الأمريكي عن لبنان. واستمرت عمليات الجلاء البريطانية خمسة أيام انتهت في الساعة ٢٣٠ من بعد ظهر يوم الأربعاء المصادف ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٨. وقد نزل أفراد القوات البريطانية ال فرسخ ولسدن. وكان عدد رجال المظلات ألفي جندي. وكان آخر المنسحبين قائد القوات البريطانية حربة وفائد القوات الجوية. وكان المنسحبون أحد المراقبين الدوليين أحد المرفعين على عمقه لاسحاب. انظر الحربة، ١٧، ٢٦، ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٨.

(١٢٨) الحربة، ٢ تشرين الأول ١٩٥٨.

زوين. وهكذا اتخذت حكومة كرامي قراراً صباح ٢ تشرين الأول ١٩٥٨ بإعادة تنظيم قيادات قوى الأمن في لبنان، فقد اصدر رشيد كرامي بوصفه وزيراً للداخلية ثلاثة مراسيم تقضى بتعيين الزعيم يوسف سمعان قائداً عاماً للدرك والمقدم عزيز الأحمد مديراً عاماً للشرطة والنقيب توفيق جليبي مديراً للأمن العام. وقد اجتمع الضباط الثلاثة حال صدور مراسيم تعيينهم بالرئيس كرامي ثم تسلموا مناصبهم على الفور كما صدرت في الوقت نفسه ثلاثة مراسيم اخرى بوضع المسؤولين الثلاثة السابقين تحت تصرف وزارة الداخلية. وقد صرح مصدر مسؤول بأن هذه التغييرات انما هي خطوة نحو إعادة تنظيم قيادة الامن العام وتطهيرها من العناصر الموالية للعهد السابق^(١٢٩).

ولا شك ان عزل هؤلاء الثلاثة لم يكن كافياً ليستتب الأمن ويعود الى سابق عهده، ولكن الاجراء اتخذ لكي تماشى كوادرسمعون «البائد» مسؤولي العهد «الجديد» لأن اعداداً كبيرة من اعوان سمعون وازلامه كانوا لا يزالون يسرحون ويمرحون ويتسيدون الكبير من المناصب والمسؤوليات ذات الأهمية التي لا يمكن اغفالها، لذا حذر حزب البعث العربي الاشتراكي في بيان له من ان عناصر وعوامل التخريب المسبوبة ما تزال نشيطة وستحاول باستمرار داخل اجهزة الحكم وخارجها ان يبقى لبنان ضمن منطقة النفوذ الاستعماري، ولكي يبقى لبنان في انقسام داخلي يحول بينه وبين الانطلاق بسياسة استقلالية وطنية تؤمن مصالحه وتنسجم مع ارتباط شعبه التاريخي ببقية العرب^(١٣٠).

وقد صح ما توقعه الحزب بعدما استمرت عصابات الجميل باطلاق الرصاص في السوارع لأرهاب الناس وتطبيق الاضراب اليميني بالقوة، ف وقعت مذبحه البرج التي افتعلتها هذه العصابات وراح ضحيتها (٤٠) قتيلاً و (٦٠) جريحاً، وأخذت القنابل تنفجر هنا وهناك وظلت معظم المحال مغلقة بفعل الأرهاب لعدة أيام بعد فترة الاقفال الطويل اثناء الحرب الأهلية التي سبقت تولي شهاب لسلطاته.

ولكن بالرغم من ذلك فان عملية التطهير الآنفه الذكر كانت ضربة قاصمة لسمعون، فبدأ نوع من التنسيق الجديد بين الأخير والسفير الأمريكي ماكلنتوك، فقد اعلنت السفارة

(١٢٩) الحرية، ٣ تشرين الاول ١٩٥٨، وانظر OuBain, op. cit, p. 162

(١٣٠) نضال البعث، ج ٨، ص ص ١٣٥ - ١٣٦.

الأمريكية في بيروت بشكل استفزازي ان ماكلنتوك غادر بيروت صباح ٢ تشرين الأول بطائرة هيليكوبتر للاجتماع بكميل شمعون، وقد تم الاجتماع فعلاً في مكان لم تشأ السفارة ان تعلن عنه (١٣١).

وكان هذا التدخل الفاضح من السفير في شؤون لبنان الداخلية بحجة الوساطة مثار سخط واحتجاج القوى الوطنية اللبنانية. وقد استنكر الرئيس شهاب ايضاً هذا التدخل ودعا السفير الى ترك موضوع «الوساطة» وان يترك للحكومة معالجة الموقف. وصرحت مصادر رسمية بأن الحكومة اللبنانية رفضت هذه الوساطة رفضاً باتاً. وكان ماكلنتوك قد عقد فضلاً عن زيارته لشمعون عدة اجتماعات مع بعض المسؤولين اللبنانيين، فقد عقد اجتماعاً في داره حضرة عادل عسيران رئيس المجلس النيابي وفيليب تقلا وزير الخارجية وبعض الساسة المعارضين والمحادين من بينهم غسان تويني، تقي الدين الصلح، بيير الجميل، مورييس الجميل، ووليم حاوي. وعلم ان السفير الأمريكي تحدث في الاجتماع عن الأزمة اللبنانية وعرض في ختام حديثه الحلول التالية للخروج من هذه الأزمة:

- ١ - تعديل وزارة رشيد كرامي بحيث تضم اليها بعض العناصر التي تمثل العهد السابق .
- ٢ - زيادة عدد اعضاء المجلس النيابي الى ٨٨ نائباً .
- ٣ - منح الثقة للحكومة رشيد كرامي .

وقالت المصادر المطلعة ان بيير الجميل عرض وجهة نظر حزب الكتائب وقال انها تقوم على مبدأ «لا غالب ولا مغلوب»، واقترح بعض الحضور تسوية جديدة لازمة على أساس تعديل الوزارة والبحث بصورة جدية عن الصحفي الكتائبي «المختطف» فؤاد حداد. ووعد تقلا وزير الخارجية بدراسة هذه الاقتراحات بعد التشاور مع زملائه الوزراء (١٣٢).

ولما لم تلق مقترحات الجميل اذنا صاغية لدى كرامي توتر الجو في بيروت من جديد مساء ٤ تشرين الأول ١٩٥٨ عندما احرقت عصابات الكتائب سيارة لنقل البترول قرب بيروت. وقد زادت حدة الثورة المضادة عندما قامت هذه العصابات بختطف بعض افراد القوات

(١٣١) الحرية، ٣ تشرين الأول ١٩٥٨ .

(١٣٢) المصدر نفسه .

الشعبية التي ردت بالمثل فاختطفت بعض افراد الكتائب. وقد اعتدت عصابات الكتائب على سيارة للمراقبين الدوليين كانت تسير على طريق طرابلس - بيروت. فضلاً عن اعتقال هذه العصابات لبعض عاملات شركة الريجي في ضواحي بيروت واعتدوا عليهن بالضرب وشوهوا وجوههن واحرقوا سيارتهن في ضاحية الحديث. وقد دعا كرامي الى ضبط النفس والأعصاب. إلا أن تمادي الكتائب دفعه الى التصريح بأن سياسة حكومته في معالجة الموقف الراهن في لبنان تقوم على استعمال الشدة للقضاء على عناصر الشغب مع الحكمة لعله يمكن الوصول الى نتيجة تسير بعدها الأمور في نصابها الطبيعي. وان النية متجهة الى تطبيق تدابير مشددة لفرض هيئة الدولة واحلال الأمن (١٣٣).

واعلنت الجبهة الوطنية في لبنان من جهة أخرى رفضها لاجراء أي تعديل وزاري أو زيادة عدد الوزراء في الوقت الحاضر. وقد جاء ذلك في بيان لأقطاب الجبهة: صائب سلام، رشيد كرامي، عبدالله اليافي، حسين العويني، كمال جنبلاط لدى اجتماعهم يوم ٥ تشرين الأول في بيت سلام. ولكن وكالة اليوناييتد بريس الأمريكية اشارت رغم ذلك الى «احتمال التوصل الى تسوية للموقف المتأزم خلال اليومين القادمين». وأكدت ان عدة اتصالات قد جرت بين ممثل الحكومة وحزب الكتائب وانه تقرر عقد اجتماع في منزل الرئيس شهاب يحضره كرامي رئيس الوزراء وصائب سلام وبيير الجميل زعيم الكتائب (١٣٤).

ومن جهة أخرى كشف الصحفي الهندي المعروف كرانجيا في مقال له بصحيفة (بلنتر) بعض الحقائق عن التدخل الاستعماري في شؤون لبنان الداخلية حين قال ان واشنطن ولندن تقدمان كل مساعدة ممكنة لمختلف الهيئات الرجعية المتطرفة في لبنان ومنها الكتائب لادارة حرب أهلية. وأضاف ان الحكومة اللبنانية قد صادرت كميات كبيرة من الاسلحة (البنادق والقنابل اليدوية والذخيرة وغيرها من المعدات الحربية) التي وصلت على احدى طائرات الخطوط الجوية السويسرية باسم الرئيس السابق شمعون، كما وصلت شحنات من الاسلحة للملحق العسكري البريطاني وبعض الهيئات الامريكية في بيروت. ونشرت صحيفة (بلنتر) وثيقة تثبت وصول (٣٣٩) صندوقاً للذخيرة للملحق العسكري البريطاني يوم ١١ تموز

(١٣٣) الحرية، ٥ تشرين الاول ١٩٥٨ .

(١٣٤) الحرية، ٦ تشرين الاول ١٩٥٨ .

١٩٥٨. وهذه الوثيقة تؤكد التدخل الاجنبي المباشر في شؤون لبنان. كما اشار كرانجيا الى ان القوات الأمريكية الموجودة في لبنان تعزم تسليم معظم اسلحتها لعصابات الكتائب^(١٣٥).

وقد صرح يوسف السود وزير العدل اللبناني تعليقاً على الأحداث التي افتعلتها عصابات الكتائب قائلاً: «لا شك ان الحالة في لبنان مفتعلة وان هناك أيد غربية تلعب به»^(١٣٦).

ورغبة في انهاء الأزمه ومعالجتها على وجه السرعة عقد اجتماع في منزل الرئيس شهاب يوم ٦ تشرين اول ١٩٥٨ حضره رشيد كرامي وعبدالله اليافي وصائب سلام واحمد الاسعد وصبري حمادة وكمال جنبلاط ورينيه معوض. وافر الحاضرون الدعوة الى اجتماع يعقد خلال يومين لتهدئة المخاطر على ان يسبقه اجتماع آخر يخاص يعقده الرئيس شهاب مع جميع النواب اللبنانيين. وعلم أن اجتماع تهدئة المخاطر سيضم زعماء لبنان من المسيحيين والمسلمين. وقد صرح عبدالله اليافي ان الاجتماعات التي ستعقد في منزل الرئيس شهاب لا تهدف مطلقاً الى أي بحث في تعديل الوزارة أو زيادة اعضائها وإنما هي تمهيد للمصالحة الوطنية^(١٣٧).

وصرحت مصادر جبهة الاتحاد الوطني بأن الرئيس شهاب قال لاقطاب الجبهة عند اجتماعه بهم يوم ٦ تشرين اول انه يؤمن بأن هناك ابد بعيدة عن لبنان تحاول خلق الأزمة وزيادة التوتر، وعلى المواطنين ان يحذروا هذه المحاولات^(١٣٨).

واشارت اخبار اليوم التالي ٧ تشرين اول ان عصابات الكتائب وشمعون ما تزال مستمرة في خلق جو من التوتر والارهاب في العاصمة اللبنانية، ولكن الشعب اللبناني منصرف تماماً الى اعماله لا يبالي بحوادث الشغب هذه تحرسه قوات الجيش. وقد عمد أنصار شمعون في هذا اليوم الى اطلاق الرصاص وتفجير الديناميت، كما وقع اصطدام مسلح بين قوات الجيش وبعض افراد من الكتائب كانوا يحاولون منع السيارات من المرور في شارع بشارة الخوري واسفر الصدام عن عشرة جرحى من بين الكتائب وافراد آخرين. وفي اليوم نفسه زرعت

(١٣٥) المصدر نفسه .

(١٣٦) الحرية، ٧ تشرين الاول ١٩٥٨ .

(١٣٧) المصدر نفسه

(١٣٨) الحرية، ٨ تشرين الاول ١٩٥٨ .

عصابات الكتائب طريق الجبال المؤدية إلى بيروت بالمسامير فتعطلت اغلب السيارات عن السير. وعمدت تلك العصابات إلى اسعال النار في اطارات السيارات ووضعها في وسط الطرقات لعرقله السير. وقد جنحت إلى هاتين الوسيلتين بعد ان عجزت عن اغلاق الطرق المؤدية إلى بيروت^(١٣٩).

وفي مقابلة صحفيه مع بيير الجميل بقصد افتعال الاحداث الطائفية بعد بدء عهد شهاب وكرامي، قال زعيم الكتائب من بين ما قال: «اننا ضد سياسة جمال عبدالناصر، ونحن نؤمن بالتعاون مع الدول الغربية... لا يمكن الوصول إلى حياد حقيقي، الحياد الآن معناه الشيوعية. وقد أراد عبدالناصر ان يضم لبنان إلى الجمهورية العربية «المتحدة» كما فعل مع سوريا ولكن هذا لن يكون. ولذلك فاننا أيدنا كميل شمعون»... وتأكد من خلال حديث الجميل انه ضد الوحدة العربية، ضد تأميم قناة السويس. والنشأ الوحيد الذي لم يكن ضده هو مبدأ انزهاور... ثبت ان من بين أهداف الفتنة التي افتعلها وعصاباتة الانتقام لسقوط شمعون... لسقوط من فشل في محاربة القومية العربية^(١٤٠).

وهكذا وقف حزب الكتائب إلى جانب شمعون، وأسكت عن التدخل الأمريكي في لبنان، وساهم إلى حد بعيد في كافة العمليات المسلحة التي جرت ضد الحركة الوطنية اللبنانية، ودون ان يعترض على مواقف الانتقاص من سيادة لبنان وحريته واستقلاله. ومنذ ذلك الوقت بدأ حزب الكتائب يتحول شيئاً فشيئاً إلى حركة سياسية تستثمر كل شيء دون تورع لتمد على الصعيد اللبناني. فاستمر الوقوف بوجه محاولات التغيير مع تعاظم النزعة الفاشستية في أهدافه السياسية. وكانت هذه النزعة تطفو إلى السطح وتؤكد باستمرار مع ازدياد الوعي السياسي الوطني ومع امتداد القوى الوطنية وانتشارها بين قطاعات واسعة من الجماهير اللبنانية. وقد دفع هذا الوضع الناشئ الكتائب إلى ان تكشف أكثر فأكثر عن نزعتها الأرهابية^(١٤١) الأمر الذي دفع البطريك الماروني المعوشي وغيره من زعماء لبنان من المسيحيين ان يستكروا الفتنة الطائفية التي أججتها الكتائب وغيرها من القوى الطائفية الانعزالية

(١٣٩) المصدر نفسه .

(١٤٠) موسى صبري، محبر صحفي، ص ص ٢٣٩ - ٢٥٩ .

(١٤١) الطيب عزير، عن السويو والنعمير وحرب الكتائب ص ٢٨ .

مؤكد من أنها من فعل المستعمرين وأن مصيرها الفشل. وأكد المعوشي أن البعض ممن يتصور أن الدول الغربية يمكن أن تساعدكم مضلل في فهمه، وأن الاستعمار الغربي يعمل لأنارة الفتنة الطائفية^(١٤٢) وهكذا لم يبق أمام الكتائب إلا أن تلعب الورقة الأخيرة بهدف تأزيم الموقف وإبقاء القوات الأمريكية أطول فترة ممكنة بحجة عدم استتباب الأمن بزعم أن هدف هذه القوات المحتلة هو المحافظة على الأمن الذي كانت تقصد به، طبعاً أمن النظام اللبناني ذو التركيبة الرأسمالية الطفيلية، وأمن السياسيين التقليديين والاقطاع السياسي المستفيدين من ذلك.

وببدو أن جرائم العصابات السمعونية الكتائبية لم تشف غليل شمعون - الجميل، فحاولت مجموعة من عصابات الكتائب يوم ٧ تشرين أول ١٩٥٨ حصار القرية التي يقيم فيها الرئيس شهاب في محاولة ذات عدة وجوه كما يبدو، أولها تأزيم الموقف ورفع درجته توتره لاستثماره، وبانيها عرض للعضلات والقوة الهدف منه التأكيد على أن الكتائب لا تزال قوية لدرجة كبيرة حتى أنها تجرؤ على حصار بيت رئيس الدولة. ولا يستبعد أن بالتها استهدف استخدام الحصار كورقة للضغط على الرئيس شهاب لتلبية مطالب الكتائب أو بعضها على أقل تقدير، فضلاً عن الرغبة في إثبات «حقيقة» مفادها أن لا هدوء بدون أخذ رأي الكتائب ولا أمن ولا اطمئنان دون ترضية زعيمها بيير الجميل، خاصة وأن اجتماع المصالحة أو تهدئة المخاطر على الأبواب على ذلك التأزيم للموقف يكسب الكتائب موقعاً أقوى وغنيمة وزارية أكبر إذا ما تقرر حل الوزارة وإحلال تشكيلة جديدة محلها، ولكن سلطات الأمن احبطت هذه المحاولة. وقد أقام رجال العصابات الكتائبية المتاريس من الأحجار الضخمة وأخذوا يرمون السيارات التي كانت تحاول العبور وأقاموا ستاراً من الدخان. وقد افتحمت سلطات الأمن اللبنانية بعرباتها المصفحة هذا الحصار الكتائبي وفتحت نيرانها على الكتائبين فولوا الأدبار^(١٤٣).

وإزاء هذا التطور غير المتوقع في الأحداث وجنوحها نحو التأزم الشديد، دعا مجلس الوزراء اللبناني ظهر يوم الأربعاء ٨ تشرين أول إلى اجتماع عاجل برئاسة فؤاد شهاب. وقد عقد الاجتماع في القصر الجمهوري ببيروت ودار البحث فيه حول التدابير اللازمة لحفظ الأمن

(١٤٢) موسى صري، مصدر سابق، ص ٢٨٩.

(١٤٣) الحرية، ٨ تشرين الأول ١٩٥٨.

في لبنان واستعمال الشدة لقمع الاضطرابات. وبحث مجلس الوزراء ابضاً موضوع محدد جلسة الثقة بالوزارة والمصالحة الوطنية، والحالة الراهنة في لبنان على وجه العموم. وقد دام الاجتماع ساعتين. اما موضوع الوساطات التي كانت تجري لحل الأزمة وغير ذلك فقد ترك مجلس الوزراء امر بحثها للرئيس شهاب وكرامي واتخاذ الاجراءات اللازمة لعلاج الوضع القائم في لبنان. وبعد انتهاء الاجتماع سنل كرامي عما اذا كان المجلس قد وضع حداً لحالة الفوضى التي تسود بيروت، فأجاب بأنه لا توجد حالة فوضى بل هو غليان من فئة معروفة لأسباب معروفة .

وقد أصاب تأزم الموقف بشكل عنيف من جديد فكرة عقد اجتماع للمصالحة الوطنية بشي' من الركود المؤقت لحين هدوء الأحوال واستتباب الأمور في البلاد، لذا تقرر تأجيل اجتماع تهدئة الحواطر الذي كان مقرراً عقده برئاسة شهاب الخميس أو الجمعة ٩ ، ١٠ تشرين اول ١٩٥٨ الى موعد يحدد فيما بعد ريثما يفرغ الرئيس شهاب من اتصالاته الشخصية بشأن دراسة الحالة في البلاد .

وقد صرح شارل حلو وزير الأنباء اللبناني بأن شهاب ما زال يبدي جهوداً كبيرة للوصول الى حل للأزمة. و اضاف انه جرت اتصالات مع عدد من اعضاء المجلس النيابي على نطاق واسع لتسوية الأزمة القائمة الآن في لبنان . وأكدت المصادر المتصلة بعادل عسيران رئيس المجلس النيابي انه اقترح علي رشيد كرامي حل مجلس النواب وعلان حاله الطوارئ في حالة عدم التوصل الى حل يحفظ للحكومة هيبتها بحل الأزمة (١٤٤).

وما ان شملت الكتابات رائحة توجه شهاب وكرامي نحو اشراكها في الحكم وحل الوزارة القائمة على الرغم من ان شيئاً رسمياً لم يصدر، حتى بدأت تخفف من غلوانها وارهابها واستمر الحال على ذلك الهدوء النسبي ستة أيام امتدت بين ٩ - ١٥ تشرين اول، تخللها اجتماع بين رشيد كرامي وبيير الجميل عقد يوم ١٠ تشرين اول في مكتب كرامي واستغرق ساعتين. وخلال المقابلة ابدى الجميل استعداداه للمشاركة في وزارة كرامي. وفي اليوم التالي كتب في جريدته «العمل» مؤكداً تبنيه لسياسة «لا غالب ولا مغلوب» داعياً اللبنانيين الى دعم الرئيس شهاب وفي اليوم نفسه (١١ تشرين اول) التقى الجميل بجنبلط* . وفي هذه الأثناء كان

(١٤٤) الحرية، ٩ تشرين الاول ١٩٥٨ .

QuBain, op. cit, p. 160

شهاب نوالي اتصالاته مع النواب اللبنانيين والتصريحات اخذت تتوالى يوم ١٤ تشرين أول عن ان الازمة الوزارية ستحل خلال ٤٨ ساعة. وفي اليوم نفسه استقبل رشيد كرامي عدة نواب لبحث المشكلة الوزارية وترددت الانباء بأن هناك بوادر للاتفاق على تعديل الوزارة. وقد اقترح المجتمعون على كرامي، كحل للازمة، اشراك موريس الجميل من الكتاب وجورج الراوي احد نواب كتلة البقاع ومنير ابو فاضل. وقابل بيير الجميل الرئيس شهاب بمنزله في جونية في اليوم نفسه، وطالب بتعديل الوزارة وزيادة عدد أعضائها الى أربعة عشر وزيراً. وعادت المصادر السياسية المطلعة في بيروت الى التأكيد على ان الازمة ستحل خلال التهامي والأربعين ساعة التالية على أساس زيادة عدد الوزراء الى عشرة أو اثني عشر وزيراً على ان لا يشترك فيها أنصار كميل شمعون^(١٤٥).

ولكن تكهنات المصادر السياسية في بيروت لم تكن دقيقة كل الدقة فهي على الرغم من انها كانت صادقة في قولها ان الازمة ستحل خلال ٤٨ ساعة اعتباراً من ١٤ تشرين اول إلا ان عدد وزراء الوزارة الجديدة لم يكن صحيحاً على الإطلاق، فقد كان مجرد حدس أو بالأحرى تكهن.

ومما يجدر ذكره ان جبهة الاتحاد الوطني عقدت عدة اجتماعات يومي ١٣ و ١٤ تشرين اول للاتفاق على اسماء المرشحين للاشتراك في الوزارة الجديدة. وقد طلب بعض النواب ليلة ١٤ تشرين اول ١٩٥٨ من الرئيس شهاب حل مجلس النواب اذا ظل النواب المعارضون للحكومة القائمة (حكومة كرامي الثانية) عقبة في طريق تشكيل حكومة جديدة. وعلمت وكالة انباء الشرق الأوسط ان الرئيس شهاب رفض حل المجلس النيابي لأنه لن يتمكن من اجراء انتخابات نيابية في خلال شهرين، ورفض الرئيس شهاب ايضاً فكرة تعديل الدستور^(١٤٦).

(١٤٥) الحرية، ١٥ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٤٦) جريدة «الزمان» البغدادية، ١٥ تشرين الاول ١٩٥٨.

QuBain, op. cit, P. 161

وعقد رسيد كرامي اول اجتماع لوزارته الجديدة في الساعة العاشرة من صباح ١٥ تشرين الأول. واعلن في اعقاب الاجتماع بأن سياسة حكومته الجديدة تقوم على الحياد والصدافه. وان حكومته تأمل ان نعيد الهدوء سريعا الى البلاد. وقد فوبل تأليف الوزارة الجديدة - على حد قول وكالة الأنباء - بالارتياح في جميع الأوساط. وعلق السيد صائب سلام قطب جبهه الاتحاد الوطني على تشكيل الوزارة الجديدة بقوله: «اعتقد ان كل اتفاق اليوم على وزارة تنهي حالة التوتر القائمة في البلاد يجب ان نباركه وانني ادعو الجميع الى الخروج من موقف الحذر والتسكك الى ميدان التعاون الايجابي راجيا لهذه الوزارة التوفيق في مهمتها واعادة البلاد الى الحالة الطبيعية التي ينسدها كل لبناني».

اما بيير الجميل فقد صرح - بعد ان اصدر أوامره الى اذاعة الكتائب التي كانت تذيع أنباء الحرب الأهلية باسم «صوت لبنان» السرية بالتوقف بعد ساعات من اعلان التشكيكه الوزاريه الجديدة «وزارة الانقاذ»^(١٤٨) - قائلاً: «إن الاضراب الذي كان حزب الكتائب قد دعا اليه يعتبر لاغيا بعد صدور المراسيم بتشكيل الوزارة الجديدة». وبدأت الأوضاع تعود الى حالتها الطبيعية بعد اضطرابات استمرت ثلاثة اسابيع اشعلت فتيلها الكتائب^(١٤٩).

وفد اعتبر حزب البعث العربي الاشتراكي في بيان له انتهاء الأزمة بهذا الشكل دليلاً على عدم نقدبر الانتفاضة النورية ضد العهد الشمعوني، وعدم تجاوز عقلية الحكم التي أدت الى الثورة ... وختم الحزب بيانه بالقول: ان شعار «لا غالب ولا مغلوب» شعار طائفي استغل أسوأ استغلال^(١٥٠). أما جنبلاط فقد أدان هذا «الحل المشؤم» الذي كرس الطائفية وسمى هذه الوزارة الرباعية أو «النصف بنصف» بـ «قائمقامية النصارى وقائمقامية الإسلام» تذكيراً بأحداث ١٨٤٠ الطائفة في لبنان وتقسيمه طائفياً^(١٥١).

وهكذا يبدو واضحاً ان الثورة المضادة عززت مواقع القوى الانعزالية في لبنان. وفوت، بفضل دعم الجيش الأمريكي ماديا ومعنوياً، على التوار تحقيق أمانهم ووضع بعض تطلعاتهم

(١٤٨) الزمان، ١٧ تشرين الأول ١٩٥٨.

(١٤٩) جريدة «الجمهورية» لبيداده، ١٦ تشرين الأول ١٩٥٨، جريدة «الليظة» لبيداده، ١٦ تشرين الأول ١٩٥٨.

(١٥٠) نضال البعث، ج ٨، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(١٥١) كمال جنبلاط في مجرى السياسة اللبنانية، ص ١٢ - ١٣.

موضع التنفيذ. بل لا يمكن ان ننس بأن دخول الجيش الأمريكي زائداً الثورة المضادة أبعد بشكل جدي ومخطط له الانتفاضة الشعبية عن تحقيق طموحاتها ورسخت من مواقع القوى الانعزالية في لبنان. وفوتت، بفضل دعم الجيش الامريكي مادياً ومعنوياً، على النوار بحفي أمانهم ووضع بعض تطلعاتهم موضع التنفيذ. بل لا يمكن ان ننس بأن دخول الجيش الأمريكي زائداً الثورة المضادة أبعد بشكل جدي ومخطط له الانتفاضة الشعبية عن تحقيق طموحاتها ورسخت من مواقع القوى الانعزالية اليمينية في لبنان ودورها في «افرار الهدوء» لما فيه بعد موجة ارهاب قادتها ضد القوى الوطنية استمرت ثلاثة أسابيع .

وقد ترتب على الانتفاضة الشعبية والثورة المضادة لها سقوط عدة آلاف من القتلى والجرحى، وسئل حركة التجارة والصناعة، وتوقف لحركة الاصطياف والسياحة وما تشكله من مورد رئيسي للاقتصاد اللبناني، وبذلك منيت البلاد بخسائر فادحة تقدر بمئات الملايين من الليرات اللبنانية^(١٥٢).

اجتمع الرئيس فؤاد شهاب بالوزارة اللبنانية الجديدة للمرة الأولى يوم ١٦ تشرين اول ١٩٥٨ لوضع الصيغة الأولى للبيان الذي تقرر ان تتقدم به الحكومة الى مجلس النواب اللبناني لنيل الثقة. وقد اشارت انباء بيروت الى عدم وقوع أي حادثة عنف منذ تسكيل الوزارة الائتلافية بعد ان اخذت الامور تعود الى مجاريها في الاحياء التجارية. وقد استقبل صائب سلام قطب المعارضة وفداً يمل الكنائس الذين كانوا يعارضون حكومة كرامي المستفيلة^(١٥٣).

وقد تقرر التصويت بالثقة على «وزارة الانقاذ» يوم الجمعة ١٧ تشرين اول ١٩٥٨. وقد دعا عادل عسيران رئيس مجلس النواب اعضاء المجلس الى الاجتماع هذا اليوم. وقد حازت حكومة رشيد كرامي على ثقة مجلس النواب بالاجماع. وحضر الجلسة (٥٠) نائباً وتغيب (١٦)^(١٥٤). واستقبل النواب بيان الحكومة الذي القاه كرامي موضحاً فيه سياسة وزارته

(١٥٢) انظر الحسني، الوزارات، ج ١٠، ص ٢٩٠.

(١٥٣) الحريه، ١٧ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٥٤) من الغياب بسبب وجودهم خارج لبنان (سامي الصلح، حميد فريجيه، شاول مالك، فوزي الحمصي، كامل الاسعد، اميل البستاني، ايليا ابو جودة، قليب تولا). اما الغائب بسبب المرض وموجود في لبنان فهو النائب شفيق مرتضى. اما النواب الموجودين داخل لبنان ولم يحضروا الجلسة ولم يقدموا تذاراً فهم: «جوزيف سكاف، مجيد أرسلان، موريس زوين، محمود عمار، سفيق نصيف، اسد الاشقر، فحطان حمادة». انظر الزمان، ٨ تشرين الأول ١٩٥٨.

الرابعة في الميدانين الداخلي والخارجي بالتصفيق والحماس^(١٥٥).

وإثر تشكيل الوزارة بدأت بيروت تستعيد هدوءها الطبيعي فخيم الاستقرار ونشطت الحركة التجارية، واخذ الاهالي يتبادلون التهاني والزيارات بعد ستة اشهر من التوتر واعمال العنف بعدما أزيل ما كان متبقياً في العاصمة اللبنانية من متاريس. وقد تلقى الرئيس سهاب ورئيس وزرائه رشيد كرامي سيلاً من «برقيات التهاني» لنجاحهما في حل الأزمة. ولم تتعرض المدن اللبنانية أو احياء بيروت لأي حادث يستحق الذكر، خاصة بعد ان نشطت قوى الأمن لتؤكد من هدوء الحالة والقضاء على أية محاولة للعبث بالأمن^(١٥٦) وأفادت التقارير الواردة الى وزارة الداخلية اللبنانية من جميع المراكز الادارية ان الأمن قد استتب تماماً في البلاد ولم يقع أي حوادث مخلة بالأمن في غضون الأيام الأخيرة اعتباراً من ١٥ تشرين اول ١٩٥٨^(١٥٧).

واكد كرامي في خطاب له بعد أربعة أيام من تشكيل وزارته الجديدة ان لبنان يطير بجناحيه المسلم والمسيحي معيداً للأذهان كلمات رياض الصلح عن الميثاق الوطني اللبناني لعام ١٩٤٣. وأكد كرامي مرة أخرى ان أزمة لبنان كانت مفتعلة وان الشعب اللبناني غريب عنها وكأنه أراد بذلك ان يبري الكتائب من فعلتها وبراهاها. ودعا كرامي الى تطهير لبنان من عناصر الفتنة والفسلح ليسلم الشعب^(١٥٨) وكان كرامي بتبرئته للكتائب أراد ان يرد الفضل لبير الجميل الذي صرح قبل ذلك الى مراسل مجلة نيوزويك الامريكية قائلاً: «ان كرامي بخدم وطنه، ويبدل اقضى ما في وسعه لخير الجميع...»^(١٥٩).

بوزارة رشيد كرامي الرابعة عن أملة في ان تتمكن جامعة الدول العربية من تحقيق التعاون الصادق المستمر بين العرب. كما اعرب عن تقديره لشخص البطريرك الماروني المعوني الذي وصفه بأنه «سيظل مرجعاً ودعامة لاستقلال لبنان والحكم والعدل بين اللبنانيين عامة والموارنة خاصة»^(١٦٠)، على الرغم من أن الجميل ضرب عند بدء بورته المضادة بنصائح المعوشي، بعدم اسعال نار الفتنة الطائفية، عرض الحائط.

(١٥٥) الزمان، ١٧، ١٨ تشرين الاول ١٩٥٨؛ البقعة، ١٧، ١٨ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٥٦) الحرية، ١٧ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٥٧) الحرية، ٢٠ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٥٨) المصدر نفسه.

(١٥٩) المصدر نفسه.

(١٦٠) الحرية، ٢٢ تشرين الاول ١٩٥٨.

ويبدو ان هدوء الحالة لم يرق للبعض خاصة لشمعون ومن ورائه المخابرات خاصة الأمريكية. فقد اكتشفت السلطات اللبنانية يوم ١٩ تشرين أول ١٩٥٨ حركة تخريبية تغذيها بعض السفارات والأبدي الأجنبية بافتعال الحوادث بفصد القضاء على الوحدة الوطنية، التي سادت مختلف الهيئات بعد تأليف الحكومة الجديدة. وتبين ان الخطة تهدف إلى القيام بعدة حوادث اغتيال في الجبل لكي تندلع الفتنة الطائفية من جديد. وقد اتخذت الحكومة اللبنانية التدابير اللازمة لمكافحة هذه الحركات والضرب بشدة على أيدي كل من حاول ان يقوم بدور في مثل هذه الأعمال الاجرامية. (١٦١)

ثم لم تلبث الحكومة اللبنانية ومعها «جبهة الاتحاد الوطني» ان تعرضتا إلى انتكاسة في المجلس النيابي حين هزم مرشحها لرئاسة المجلس صبري حمادة رغم تنازل كاظم الخليل عن ترشيح نفسه لصالح حمادة فقد فاز عادل عسيران يوم ٢١ تشرين أول ١٩٥٨ بانتخابات الرئاسة للمجلس النيابي في دورته الجديدة بأغلبية ٣١ صوتاً مقابل ٢٦ صوتاً أحرزها مرشح الجبهة (١٦٢).

ورغم هدوء الوضع في بيروت بشكل ملموس فقد أمر ريمون اده وزير الداخلية اللبناني استمرار نظام حظر التجول رغم تقليص ساعاته إلى أن يسود الأمن في انحاء بيروت تماماً ويختفي ظهور الافراد المسلحين في المدينة على الرغم من انه كان من المقرر الغاء حظر التجول

(١٦١) الحرية، ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٨، البقعة، ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٨.

(١٦٢) الحرية، ٢٠، ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٨.



نهائياً يوم ٢٥ تشرين أول ١٩٥٨ وهو اليوم الذي انسحب فيه آخر جندي أمريكي من لبنان نهائياً (١٦٣).

وبعد ان انسحبت القوات الأمريكية من لبنان، قرر مؤتمر الأحزاب والشخصيات والهيئات الوطنية في اليوم نفسه مطالبة الحكومة بإلغاء المراسيم التعسفية التي كانت قد اتخذت لحل الأحزاب، وإعادة النظر في أجهزة الدولة وقانون الانتخابات، كما طالب المؤتمر بإطلاق الحريات الدستورية التي قيدتها الأساليب الجائرة في عهد شمعون، والعمل على إعادة الاستقرار والهدوء بعد المؤامرات والدسائس الأجنبية وعدم السماح للأجانب بالاستغلال بالسياسة واتخاذهم لبنان وكرّاً للعمل ضد سلامة الاقطار العربية الشقيقة. وطالب المؤتمر كذلك

(١٦٣) استمر رحيل القوات الأمريكية ابتداءً من يوم ١٣ آب ١٩٥٨ جواً وبحراً، ففي أواخر أيلول وأوائل تشرين الأول ١٩٥٨ غادر (٦٠٧) جندي أمريكي بطريق الجو، وفي ٥ تشرين الأول غادر لبنان الحمرال سكوت قائد فرقة المشاة بالأسطول السادس/الاحتياط الثاني واركاب حربية عائداً إلى الولايات المتحدة، وتوأكب رحيل الدخلاء بومياً عائدين إلى قواعدهم في ألمانيا الغربية وفرنسا. وكان عددهم في ٧ تشرين أول (٥٩٠٠) رجل بعد ان كان متزوج بين (١٤ - ١٥) ألف جندي وهو أعلى رقم وصلته هذه القوات في لبنان. وقد بقي حتى ٧ تشرين أول أيضاً (٧٥) دبابة فضلاً عن بعض طائرات المليكوبتر. وكاست. وزارة الخارجية الأمريكية قد أعلنت ليلة ٨ تشرين أول انه سيتم سحب جميع القوات الأمريكية من لبنان في موعد لا يتجاوز ٣١ تشرين أول ١٩٥٨، ان لم تحدث «مطورات غير متوقعة تحول دون ذلك». وأكد ناطق الخارجية ان دافع هذا القرار تحسن الأوضاع واستقرارها في الشرق الأوسط وكان وجود المظلات الامريكان ينسحبون اعتباراً من منتصف تشرين أول ١٩٥٨ ولعدة أيام بعد (٤٠٠) جندي بومياً. وغادرت سفينة النقل الأمريكية بلاكسفورد ميناء بيروت يوم ١٩ تشرين أول ١٩٥٨ وهي تحمل على ظهرها ثلاثة آلاف جندي من مساء البحرية الأمريكية. ثم رست في ٢٢ تشرين أول اربع سفن تابعة للأسطول السادس وجرى سحبها بمعدات القوات الأمريكية التي رحلت قبل معادها. وأعلن ان ذلك (٣٦) ساعة التالية مستشهد رحيل آخر جندي. وتقرر ان يكون رحيل آخر ألف جندي عن طريق الجو. وفي ٢٥ تشرين أول ١٩٥٨ انتهت عملية جلاء جميع القوات الأمريكية عن لبنان، فقد سافرت صباح ٢٥ تشرين أول آخر دفعة من قوات المظلات على عدة طائرات حربية إلى ألمانيا الغربية. وكانت آخر دفعة من القوات البحرية (مساء الحرية) وعددها (١٥٠٠) جندي قد غادرت ميناء بيروت ليلة ٢٤ تشرين أول على ظهر سفينة حربية تابعة للأسطول السادس. وقد غادر بيروت أيضاً ظهر يوم السبت ٢٥ تشرين أول إلى ألمانيا الغربية الحمرال آدمز قائد القوات الجوية الأمريكية في لبنان يرافقه مساعدوه العشرة. وقد تم رحيل آدمز فور انمام عمليات الجلاء. ولم يبق في بيروت بعد هذا التاريخ سوى عشرة ضباط لانتهاء الاجراءات والمعاملات المالية التي تحتاج انهاءها شهر. وبذلك كان يوم ٢٥ تشرين أول هو اليوم الذي غادر فيه آخر جندي أمريكي لسان رسمياً وليس ٢٧ تشرين أول كما يذكر كوبيين. انظر الحرية، ١، ٥، ٨، ٩، ٢٠، ٢٣، ٢٦ تشرين الأول

١٩٥٨، وانظر QuBain, op. cit, P. 115

سحب نسكوي لبنان ضد ج.ع.م واعادة العلاقات الأخوية معها صوتاً للمصالح العربية المشتركة^(١٦٤). وقد طلبت وزارة الخارجية اللبنانية فعلاً يوم ١٦ تشرين ثاني ١٩٥٨ برقية من وفدها في نيويورك تقديم طلب رسمي الى مجلس الأمن الدولي لشطب الدعوى ضد ج.ع.م فوراً. وقد تم ذلك فعلاً^(١٦٥).

وكان فيليب تقلا وزير الخارجية في الوزارة اللبنانية المستقيلة قد اجتمع في ٥ تشرين الأول ١٩٥٨ مع عبدالعزيز طاهر القانم بأعمال سفارة ج.ع.م في بيروت. وقد اعرب الوزير عن ضرورة اعادة العلاقات التقليدية بين البلدين الى سابق عهدها من الود والصفاء^(١٦٦).

ومن الجدير بالاشارة ان ريمون اده وزير الداخلية رغبة في شاعة الهدوء ومنع اسباب التوتر قرر دخول قوات الدرك يوم ٣١ تشرين اول ١٩٥٨ الى منطقة الشوف للمحافظة على الأمن هناك، بعد استمرار استفزازات عصابات شمعون هناك ضد جنبلاط وانصاره. وقد اتخذت هذه الخطوة بالاتفاق مع كمال جنبلاط زعيم منطقة الشوف^(١٦٧). وبعد ذلك بأربعة أيام، اعلن ريمون اده وزير الداخلية ان قوات الدرك، التي دخلت الشوف بعد تأخر لعهده أيام، استولت على كميات من الأسلحة في إحدى قرى الشوف وهي من القرى التي كانت مسرحاً للاشتباكات المسلحة بين انصار جنبلاط وانصار شمعون يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٥٨ بعد تأخر دخول قوات الدرك الحكومية وقد راح ضحية الاشتباك أربعة قتلى وعدد كبير من الجرحى من الطرفين^(١٦٨) ومن الجدير بالذكر ان السلطات العسكرية اللبنانية كانت قد صادرت يوم ١٤ تشرين اول ١٩٥٨ ثمانية صناديق مملوءة بالأسلحة وصلت الى مطار بيروت قادمة على إحدى الطائرات من بروكسل لحساب شمعون وباسمه^(١٦٩). وعلى اثر عوده الهدوء الى الشوف اجتمع الرئيس شهاب يوفد من «جبهة الاتحاد الوطني» ضم رسيّد كرامي، صائب سلام، كمال جنبلاط صبري حمادة، احمد الاسعد، رينيه معوض، نسيم مجدلاني. وقد استمر الاجتماع

(١٦٤) الحرية، ٢٦ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٦٥) الحرية، ١٧ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٦٦) انظر الحرية، ٦ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٦٧) الحرية، ٣١ تشرين الاول ١٩٥٨.

(١٦٨) الحرية، ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٦٩) الزمان، ١٥ تشرين الاول ١٩٥٨.



ساعتين ابلغهم شهاب خلاله ان سحب المراقبين الدوليين^(١٧٠) سيتم في نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٥٨. وبلغ الوفد أيضاً ان قرار العفو العام الذي سيصدر سيشمل ايضاً اعمال العنف التي سادت دبر العتائر والشوف وحوادث ٣٠ أيار ١٩٥٨ التي مر ذكرها^(١٧١). وبعد ان تدعم الهدوء والأمن معظم انحاء لبنان بعد تعزيز القوات الحكومية في منطقة الشوف، قررت وزارة الداخلية الغاء حظر التجول نهائياً في بيروت والمناطق الأخرى التي لم يُلغ فيها^(١٧٢).

ونظراً لاستتباب الأمن وانتهاء الظروف غير الطبيعية التي مر بها لبنان والحسائر التي تكبدها اقتصاده خلال الاشهر الستة الممتدة بين أيسار وتشرين اول ١٩٥٨، كان من الضروري اعطاء صلاحيات استثنائية لمجلس الوزراء اللبناني ليتلافى بعض الحسائر ويحول دون انهيار ما بقي من اعمدة الاقتصاد اللبناني دون الرجوع الى السلطة التشريعية، أي اعطاء الحكومة صلاحية اصدار القوانين والمراسيم. وقد اقر بالفعل مجلس الوزراء اللبناني في اجتماعه يوم ٤ تشرين ثاني ١٩٥٨ المشروع الخاص بمنح الحكومة سلطات استثنائية في حقول التنظيم الاداري والأمن والمال، واحيل المشروع الى مجلس النواب لاقراءه^(١٧٣). واعلنت جبهة الاتحاد الوطني تأييدها لمشروع الحكومة هذا واستعدادها للتصويت بجانبه عند عرضه على مجلس النواب^(١٧٤). وقد وافق مجلس النواب اللبناني يوم ١٣ تشرين ثاني ١٩٥٨ على منح الحكومة الصلاحيات الاستثنائية بأغلبية ٣٤ صوتاً مقابل صوت واحد وامتناع واحد عن التصويت وتغيب الباقيين^(١٧٥). وكان من بين اهداف الحكومة من مشروعيها هو اطلاق يدها لتطهير أجهزة الدولة من اعوان شمعون وانصاره لما يلعبونه من دور في التأثير على مسيرة

(١٧٠) الحرية، ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٧١) كان مصدر الساسي مسؤول قد صرح يوم (١) تشرين ثاني ١٩٥٨ بأن الدوائر المختصة وضعت مشروع مذكوره تتضمن سحب المراقبين الدوليين من لبنان، وان المشروع سيعرض على مجلس الوزراء للموافقه. وقال المصدر أيضاً ان وزارة الخارجية اللبنانية ستكلف بعد ذلك بالاتصال بهمسولد السكرتير العام للأمم المتحدة لاقرار طلب الحكومة اللبنانية، ولكن رئيس المراقبين اعلن في ٨ تشرين الثاني ١٩٥٨ انه سينسحب مع مراقبيه من لبنان دون طلب رسمي من الحكومة اللبنانية، وان الاسحب سيتم في نهاية تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٧٢) الحرية، ٢٦ تشرين اول ١٩٥٨، الحرية، ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٧٣) الحرية، ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٧٤) الحرية، ٧ تشرين الثاني ١٩٥٨.

(١٧٥) الحرية، ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٨.

الاستقرار والأمن دون العودة إلى مجلس النواب لما فيه من زخم لشمعون وانصاره. وبالفعل بدأت حركة التطهير بقيام هيئة تفتيش الدولة بالتفتيش على جميع الوزارات لدراسة ملفات الموظفين تمهيداً لاجراء الحركة التطهيرية^(١٧٦). ولا ننسى ان الحكومة اللبنانية في ظل الصلاحيات المذكورة اعلنت على لسان حسين العويني وزير خارجيتها يوم ١٦ كانون اول الانسحاب من مبدأ ايزنهاور مؤكداً بأن «مشروع ايزنهاور» يعتبر غير قائم «بالنسبة للبنان»^(١٧٧) وبذلك تخلص الشعب العربي في لبنان من حمل ثقيل على صدره وعلى عرويته .



(١٧٦) الحرية، ٣ تشرين الثاني ١٩٥٨ .

(١٧٧) الزمان، ١٧ كانون الاول ١٩٥٨ .



الانتفاضة الشعبية في الميزان

قبل كل شيء لا بد من القول ان الانتفاضة اللبنانية لم تحقق أهدافها. بل حيل بينها وبين تلك الاهداف الرامية الى تخفيف حدة الصراع الطبقي واستئصال الطائفية باعتبارها عاملاً من عوامل شد لبنان الى الخلف، والرغبة في اظهار وجه لبنان العربي ليساهم بكل طاقته في الجهد العربي المشترك لما فيه خير الأمة العربية وتقدمها، والتخلص من العملاء الذين مرغوا استقلال لبنان في الوحل وشوهوا روحه وصورته العربية، فضلاً عن الطموح في التخلص من الفساد الاداري والمحسوبية والرشاوي التي شوهت وجه لبنان وسيادته .

ولا ريب في ان الانتفاضة الشعبية لم تكن أبداً انتفاضة شعبية في الأرض العربية حيل بينها وبين أهدافها ولن تكون بالطبع آخر انتفاضة ... فكم من الانتفاضات ومنها انتفاضة شعبنا في لبنان - لم تنجح في تحقيق أهدافها، سواء بسبب قصور في نظرتها وافقها، أو عدم وضوح في خطها الفكري أو خططها الآنية والبعيدة المدى، أو بسبب عقدة عدم القدرة على التوفيق بين الاهداف وبين الواقع الذي تعيشه بما فيه من ظروف ضاغطة تدفعها الى الفشل دفعاً، أو بتعبير آخر عدم القدرة على استنهاض الممكن لتحقيق الطموح فضلاً عن دور اعداء الثورة في احباط الثورة. ولا ننس ان انسجام القيادة فضلاً عن انحدارها الطبقي وإيمانها بحتمية الثورة وجذريتها تهيمن عليها تطلعاتها القومية الاشتراكية عامل مهم من عوامل نجاح الثورة. وهذا ما لم يتوافر بصراحة لانتفاضة الشعب اللبناني لأن معظم قياداتها ذات منحدر برجوازي مهمتها تحريك الموقف لا حسمه... الوصول إلى المنتصف لا إلى نهاية الطريق .

ولكن هل هذا يعني ان الانتفاضة الشعبية اللبنانية فشلت عسكرياً وسياسياً ؟

ان أول ما يجب ايضاحه هو ان الانتفاضة قد انتصرت عسكرياً في لبنان، فقد سيطر الثوار على ثمانين بالمائة من أرض لبنان وركزوا انفسهم فيها... إنما كان ينقصهم القيادة الموحدة والخطط العسكرية المنسقة^(١٧٨). ورغم ذلك أبلى الثوار بلاءً حسناً. ولكن دخول

(١٧٨) كمال جنلاط في بحري السياسة اللبنانية، ص ٩ .



الجيش الأمريكي غير الموقف لصالح سمعون وفش بشكل لا يقبل الجدل عضد النوار ودعم فادتها فرسان الحلول الوسطية .

اما سياسياً فان الانتفاضة قد نجحت في منع سمعون من تجديد رئاسته، ولكنها كما رأينا لم تنجح في طرد سمعون قبل موعد التجديد أي قبل نهاية مدته القانونية وذلك بسبب عدم تعاون قطاعات الثوار ضمن قيادة واحدة وتخطيط واحد، وبسبب الاحتلال الأمريكي. وتفرض الحقيقة علينا ان نقول ان وجود الاحتلال الأمريكي جعل اكثر من لبناني وطني يتهيب الموقف، ويجعل القبول بحل التسوية شيئاً يمكن القبول به بعد أن انزلق اليه بعض قادة الثوار أو معظمهم بتعبير أصح. ولا شك ان الانتفاضة رغم ذلك نجحت الى حد كبير في تصحيح الاعتراف بحكومة الجزائر وقتذاك والاعتراف بالصين الشعبية. ولكن كل هذه النجاحات في السياسة الخارجية فضلاً عن اعادة العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة وعودة سفيرها الى بيروت وشطب الدعوى ضدها من جدول الأمم المتحدة وانسحاب جيش الاحتلال الأمريكي. كل هذه القرارات تعتبر نجاحات للانتفاضة الشعبية اللبنانية رغم بطء السير نحوها. ولا شك أيضاً في ان الفكرة العربية في لبنان قد تقوت بحيث اصبحت الشخصية اللبنانية لا يمكن فصلها عن القومية العربية. ولكن هذا كله دون طموح الثورة وتطلعها القومي التقدمي^(١٧٩).

ولا بأس أخيراً وليس آخراً من التعرف على وجهة نظر الحزب الذي شكله سمعون سنة ١٩٥٨ بعد انتهاء رئاسته مباشرة وهو «حزب الوطنيين الأحرار» من أحداث ١٩٥٨ . يقول جوزيف مغيب أحد قادة هذا الحزب واحد كبار أعوان سمعون عام ١٩٥٨ «برأينا ان أسباب حوادث ١٩٥٨، ان فئة لبنانية لم تعد تؤمن بالميثاق (يقصد الميثاق الوطني اللبناني لعام ١٩٤٣ الآنف الذكر) خرجت عن الميثاق وظنت ان الحلم الكبير الذي يراود الكبارين أصبح قريب التحقيق، فوقع الاصطدام. ونعتبر ان الصمود الذي أثبتته الرئيس سمعون كان السبب الرئيسي لانقاذ لبنان»^(١٨٠) وهو يقصد ولا شك ان موجة التحرر العربية القومية التي سادت

(١٧٩) المصدر نفسه ، ص ص ١٦ - ١٩ .

(١٨٠) القوى السياسية في لبنان، ص ١١٦ (من مناقشة محاضرة ممثل حزب الوطنيين الأحرار جوزيف مغيب التي ألقاها في النادي الثقافي العربي في بيروت يوم ١٤ شباط ١٩٦٩) .



الأرض العربية بعد تأمين القناة وقيام الوحدة وبرز شخصية الرئيس جمال عبدالناصر. كانت وراء الثورة. اما الحلم فيقصد الرغبة في الانضواء لدى جماهير لبنان العربية تحت راية الوحدة العربية وضرب عملاء الاستعمار في المنطقة. ونسي ان موقف شمعون وارهابه هو الذي أدى الى سقوط المزيد من الضحايا الابرياء الذين لا ذنب لهم سوى حرصهم على عروبتهم وعلى كرامة وطنهم وسيادته ورفضهم الانتقاص من هذه السيادة وتلك الكرامة. ولكن يا ترى ما المقصود بالصمود الذي اثبته شمعون ؟ هل هو باستدعاء قوات الاسطول السادس الأمريكي، أم هو التسول عل أبواب حلف بغداد لدعم نظامه، أم هو اطلاق الرصاص على النساء والأطفال العزل، أم هو الاختباء في قصره لينجو بنفسه من غضبة الجماهير البائرة .

أما ما يزعمه من خروج على الميثاق الوطني فنترك الرد للسيد فؤاد عمون السياسي اللبناني المعروف الذي يقول «ومن الواجب الاقرار للحكومات اللبنانية المتعاقبة منذ ١٩٤٣ ليومنا هذا، انها لم تنش عن تأييد استقلال لبنان وفاء بالميثاق الوطني، عدا حكومة واحدة، حكومة شمعون ، التي تنكرت للميثاق وضلت السبيل . وعلى الرغم مما بذلت حكومة كميل شمعون من مساع وما حاكت من دسائس لتوهّم الناس ان الثورة الوطنية ليست ثورة على فساد الحكم وانحراف سياسته، بل ترمي الى النيل من استقلال لبنان، وعلى الرغم من دعايات حكومية انبثت قدرتها الفائقة عل الاختلاق والدس والتضليل، فان قادة الثورة قد اكدوا غير مرة واثبتوا بالفعل ان ليس بينهم من يتنكر للسياسة التي كرسها الميثاق الوطني، بل ان الدماء قد سالت بسخاء لصيانة هذا الميثاق»^(١٨١).

نظرة ختامية

أشّر حزب البعث العربي الاشتراكي في تقريره السياسي الصادر عن المؤتمر القطري العادي الثالث (كانون الأول ١٩٥٨) عاملين أساسيين تضافرا في التمهيد لحدوث المضاعفات التي رافقت المعركة وحرما الشعب من جني الثمرات العاجلة للانتفاضة التي أشعلها وهما :

العامل الأول: وكان كامناً مستترا، هو ضعف الوحدة الوطنية لدرجة الانعدام بين صفوف الفئات التي يتكون منها شعب لبنان .

العامل الثاني: هو ضعف قادة المعارضة السياسيين الذين قدر لهم ان يكونوا على رأس المقاومة الشعبية، فهؤلاء لم يكونوا في مستوى الأحداث الثورية، وقد فقد الكثيرون منهم رصيدهم الشعبي أيام كانوا مسؤولين ومشاركين في تحمل مسؤوليات الفساد الداخلي ومسايرة الجهات الأجنبية الاستعمارية .

هذان العاملان هما اللذان ساعدا شمعون على البقاء وبعد ذلك على ارتكاب الخيانة العظمى عندما استتجد بالجيش الأجنبية. وهما اللذان مكناه مع بنية العناصر الضالعة معه من القيام بتلك الفتنة الهوجاء التي كادت تعصف نهائياً بلبنان دولة وشعباً .

وهكذا ولد العهد الجديد وهو مدين للجهات المعادية للنوار سواء منها الداخلية أم الخارجية أكثر مما هو وليد الاتجاه الثوري للمقاومة الشعبية، مما أدى الى حرمان الشعب من تحقيق انتصار جذري أساسي يضمن مجيء عناصر سياسية تتمتع - على الأقل - بعقلية جديدة في الحكم وصفات شخصية شعبية خصبة لبناء الدولة من جديد واستئصال جميع آثار عهد شمعون وطفمته (١٨٢) .



وبذلك أبت «قيادة الثورة» ومعظمها ان لم يكن كلها من منحدر برجوازي، إلا أن تقف بالثورة وآمالها في منتصف الطريق كعادة البرجوازيين أنصاف الثوريين دائماً. وهذه هي عادة القوى البرجوازية التي تتسلق القمة الهرمية للانتفاضات الشعبية وتركب موجتها الفاضية، إذ غالباً ما تغلب عليها انحذاراتها الطبقية ومصالحها الخاصة على مصالح شعوبها المناضلة فتكف عن الثورة أو بتر المد الثوري حين تشعر انه أخذ يتحول إلى خطر قد يؤدي إلى تآكلها واستئصالها هي أيضاً، لذا نراها معظم الأحياسان تصل إلى الوسط ... إلى المنتصف مع الكادحين ثم تقف حين تنجح في تحقيق أمانيتها التي «ناضلت» من أجلها مستغلة براءة الجماهير وعفويتها أحياناً بل وطبيعتها أحياناً أخرى. ولذلك قلما تجد قيادة برجوازية لانتفاضة شعبية ذات تطلعات جذرية مشروعة تصل إلى نهاية الخط مع الشوار الذين يحركهم حس قومي معجون بحسهم الطبقي من خلال الالتحام الجدلي بين الصراعين القومي والطبقي، بين النضالين القومي والاجتماعي. وما أشبه قيادة انتفاضة السبع اللبناني عام ١٩٥٨ بقيادة ثورة العشرين المجيدة في قطرنا العراقي رغم الفارق الزمني بينها حينما نفّض «قادة الثورة» أيديهم عن الثورة لما وجدوا في استمرارها خطراً على مصالحهم، وحين وجدوا الاستعمار البريطاني يفتح لهم اذرع الاخطبوطية ليحتويهم منفذاً لهم بعض تطلعاتهم الشخصية وطموحاتهم اللامشروعة أو معظمها مقابل ذبح الثورة وجزرها مع الهاء الجماهير الثائرة ببعض الحلول الوسطية لأمتصاص مشاعر السخط والانقضاء. وهذا نفس ما حدث تقريباً للانتفاضة الشعبية اللبنانية حينما حلت الحلول الوسطية النصفية ذات النفس البرجوازي والنكهة الرأسمالية محل الحلول الثورية ذات الطابع الجذري الأصل، كما كانت تطمح جماهير الشعب اللبناني التي قدمت الكثير من الشهداء على مذبح الحرية والاستقلال واقامة نظام خال من الاستغلال والمحسوبية والطائفية .

ظهور المؤسسات الشهابية :

منذ تولي فؤاد شهاب مسؤولياته كرئيس للجمهورية برزت على ساحة السياسة اللبنانية ما عرف بـ «المؤسسة الشهابية» على حساب الاقطاع السياسي التقليدي الذي انهكه الصراع فيما بينه وأضعفه تفككه وعدم قدرته على تحقيق التوازن الداخلي، مما أفسح المجال للمؤسسة الشهابية أن تقبض على زمام السلطة ... لقد كان طموح الشهابية يتجه نحو تجديد

توازن التركيب السياسي الايديولوجي للنظام الرأسمالي، مما يجعله قادراً على الاستمرار والصمود وسط منطقة عربية تشهد تغييرات سياسية واجتماعية واضحة. ومن هنا مثلت الشهابية في بدايتها - أي بعد أحداث ١٩٥٨ - وطيلة العهد الشهابي الممتد حتى أيلول ١٩٦٤ سياسة خارجية متوازنة تدخل في حسابها قوة المعسكر العربي التحرري مملاً بالجمهورية العربية المتحدة، ومثل تلك السياسة الخارجية المتوازنة كانت تؤمن فضلاً عن تجديد صيغة التوازن السياسي الطائفي في الداخل الحفاظ على دور النظام اللبناني الوسيط كنظام لا يستطيع الاستمرار الا عبر تعزيز روابطه الاقتصادية في المنطقة العربية، ولم تكن تلك السياسة لتمس دوره الوسيط ولا علاقته بالأمبريالية العالمية .

أما على صعيد السياسة الداخلية فقد مثلت الشهابية محاولة لتحديث النظام بحيث يستجيب من جهة لحاجات البرجوازية الجديدة وبحيث يؤمن مزيداً من السيطرة والهيمنة للسلطة التنفيذية على زعامات الاقطاع السياسي. ومن هنا كانت الشهابية مسوقة إلى افراز ظاهرة جديدة هي ظاهرة «تدخل الدولة» في الحياة الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية^(١٨٣) .

ورغم ذلك لا بد من القول ان الحكم الشهابي كان من الممكن ان يحقق تحولات اجتماعية ملموسة لو لا ضياع هذه الفرصة بسبب توسع السلطة العسكرية وابعاد الحركة الشعبية ومن ثم تفتيتها^(١٨٤) وهكذا تحول قسم كبير من السلطة الى العسكريين من زملاء شهاب السابقين ممن أحاط نفسه بهم، وقد أصبح تدخل هؤلاء في شؤون السياسة والحكم عنصراً فعالاً مستتراً حيناً وسافراً أحياناً أخرى^(١٨٥) .

(١٨٣) القوى السياسية في لبنان، ص ص ١٧٦ - ١٧٧ (من محاضرة محمد كنلي ممثل منظمة الاشتراكيين اللبنانيين

التي ألقاها في النادي الثقافي العربي ببيروت) .

(١٨٤) بشارة مرهج، مصدر سابق، ص ٨٩ .

(١٨٥) انبيا حريق، من بحكم لبنان، ص ٧٩ .



تقويم ختامي لانتفاضتي ١٩٥٢ و ١٩٥٨ :

لو تساءلنا هل نجحت انتفاضتا ١٩٥٢ و ١٩٥٨ في تصحيح المسار ووضع النظام اللبناني على الطريق السليم وعلى عتبة التغيير لما فيه خدمة الشعب والجاهير الكادحة، لكان الجواب بكل ثقة كلا، لأن الانتفاضتين الشعبيتين فسلتا في تحقيق الطموحات المرجوة من ورائها .

يؤكد جورج سكاف «ان الاصلاح فشل مرتين اوبعني بها محاولة ١٩٥٢ ومحاولة ١٩٥٨»، أي عندما تعرض الحكم لأزميتين عنيفة فأعنف، وقام على اعقاب الحكم في كل مرة حكم جديد يهدف الى الاصلاح. وفي كلتا المراتين فشل الاصلاح، وان لم تكن المسببات ذاتها أو النتيجة ذاتها . لقد فشل الاصلاح في أن يأتي من فوق .

ففي المرة الأولى كان الاصلاح يهدف إلى تنظيم الادارة بعدما أصبحت بؤرة فساد وبعد «الانقلاب» الذي حصل في الحكم كان الجو مهيناً لاجراء التطهير المطلوب والسير بالبلاد على أسس جديدة - ولكن الحكم الجديد جاء يعالج الوضع الفاسد بأشخاص ليسوا غريبين عنه وإذا بكل شيء يعود الى فسادته وأزيد، حتى وصلنا الى الأزمة الثانية .

ومن الأزمة الثانية خرجنا باعتبار آخر، وهذا الاعتبار يقول ان رأساً جديداً من غير الطراز الذي تعودته البلاد يمكنه ان يقضي على كل الرؤوس التي فيها علل . وكاد الاصلاح ان ينجح طالما ان الاطارات القديمة بقيت بعيدة. ولكن الرأس الجديد وجد نفسه مضطراً للعودة الى التعاون مع الاطارات القديمة التي عادت الى المسرح بنهم أشد للقضاء على كل أمل بالأصلاح. ومن هنا نشأ الشعور بأن الاصلاح لا يمكن ان يأتي من رأس الهرم وينزل عافية وسلاماً على الزوايا الأساسية المصدعة» (١٨٦) .

اما تقي الدين الصلح السياسي اللبناني المعروف رئيس وزراء لبنان الأسبق الذي يسمي «ثورة» ١٩٥٢ بـ «الثورة البيضاء» وثورة ١٩٥٨ بـ «الثورة - الفتنة» (١٨٧) فيقول ان الشعب اللبناني «خاض معركته الأولى لاصلاح الحكم الوطني (١٩٥٢) بثورة وطنية وشاملة

(١٨٦) جورج سكاف، نحو لبنان أفضل، ص ص ٧٥ - ٧٦ .

(١٨٧) تقي الدين الصلح، في السياسة والحكم، ص ٨٢ .

أيضاً فانتصر. أما معركته الثانية لتقويم الحكم (١٩٥٨) فقد اخفقت، لأن النورة لم تستطع الاحتفاظ بالطابع الوطني، ولم تتوصل إلى السمول، بل انتهت - والبعض يقول ابتدأت - فتنة طائفية ما زالت تجر ذيلها حتى الآن في ظروف متعددة (١٨٨).

وهكذا أنهيت انتفاضة الشعب العربي في لبنان لعام ١٩٥٨ دون أن تحقق أهدافها المرجوة لجملة أسباب اشرنا إليها في طيات البحث ولكن رغم ذلك ظلت شهور الانتفاضة السعبية الممتدة بين أيار وتشرين الأول ١٩٥٨ صفحات مشرقة في تاريخ النضال العربي ضد الاستعمار وحلافه المشبوهة في لبنان وعلى رأسهم كميل شمعون وبيير الجميل .





مصادر البحث

- (١) بارنت، ريتشارد، حروب التدخل الأمريكية في العالم، ترجمة منعم النعمان، بيروت، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٧٤ .
- (٢) البعلبكي، منير، أوراق ثورية، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ .
- (٣) Birdwood, Lord M. V. O, Nuri As-Said-Study in Arab Leadership, London, Cassell, 1959.
- (٤) جريدة «الجمهورية» البغدادية .
- (٥) جريدة «الحرية» البغدادية .
- (٦) جريدة «الزمان» البغدادية .
- (٧) جريدة «لواء الاستقلال» البغدادية .
- (٨) جريدة «النبا» البغدادية .
- (٩) جريدة «اليقظة» البغدادية .
- (١٠) جنبلاط، كمال، حقيقة الثورة اللبنانية، بيروت، دار النشر العربية، ١٩٥٩ .
- (١١) جنبلاط، كمال، في مجرى السياسة اللبنانية، أوضاع وتخطيط، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، (لا ت) .
- (١٢) حريق، ايليا، من يحكم لبنان، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٢ .
- (١٣) حزب البعث العربي الاشتراكي، نضال البعث، الجزء الثامن، «القطر اللبناني ١٩٥١ - ١٩٦١»، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣ .
- (١٤) الحسن، حسن، القانون الدستوري والدستور في لبنان، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣ .
- (١٥) الحسني، عبدالرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء العاشر، بيروت، مطبعة دار الكتب، الطبعة الرابعة المزيّدة، ١٩٧٤ .
- (١٦) حلقة دراسات لبنان الاشتراكي، العمل الاشتراكي وتناقضات الوضع اللبناني، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ .

(١٧) ابو خاطر، جوزيف، لبنان في عالم الدبلوماسية ذكريات وعبر، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٤

(١٨) الخوري، بشارة خليل، حقائق لبنانية، الجزء الثاني، بيروت، منشورات «اوراق لبنانية»، ١٩٦٠.

(١٩) ابو دياب، د. فوزي، لبنان والامم المتحدة، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧١.

(٢٠) ديب، د. جورج، النظام السياسي والمواطن في لبنان، محاضرة من مجموعة محاضرات الـ «ندوة الدراسات الانمائية - بيروت» بعنوان «النظام السياسي الافضل للانماء في العالم الثالث - لبنان والدول العربية»، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٧١.

(٢١) الرمادي، د. جمال الدين، صفحات من تاريخ لبنان السياسي ووضعها الاقتصادي، مقالة في «المجلة المصرية للعلوم السياسية»، العدد (٥٧)، يناير وفبراير (كانون الثاني وشباط) ١٩٦٦، مجلة علمية شهرية.

(٢٢) الرياشي، اسكندر، رؤساء لبنان كما عرفتهم، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦١.

(٢٣) Salem, Elie Adib, Modernization without revolution Lebanon's Experience, Indiana University press, Bloomington, 1973.

(٢٤) سكاف، جورج، نحو لبنان أفضل، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١.

(٢٥) شمعون، كميل، مراحل الاستقلال - لبنان ودول الغرب في المؤتمرات الدولية، بيروت، مكتبة صادر، مطابع الف ليلة وليلة، ١٩٤٩.

(٢٦) صبري، موسى، مخبر صحفي وراء أحداث عشر ثورات، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠.

(٢٧) صدقة، نجيب صدقة وآخرون، دراسات عن حكومة لبنان - مجموعة محاضرات، بيروت، مطبعة دار الفنون، ١٩٥٦.

(٢٨) الصلح، تقي الدين، في السياسة والحكم، بيروت، دار العودة، ١٩٧٢.

(٢٩) الصلح، رغيد، لبنان على طريق المستقبل، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٣.

(٣٠) الصليبي، كمال سليمان، تاريخ لبنان الحديث، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٦٧.

- (٣١) عزيز، الطيب، عن التسوية والتغيير وحرب الكنائس، بيروت، منشورات «التائر العربي»، ١٩٧٥ .
- (٣٢) العقاد، صلاح، المشرق العربي ١٩٤٥ - ١٩٥٨، العراق - سوريا - لبنان، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٦٧. صادر عن معهد البحوث والدراسات العربية - الجامعة العربية .
- (٣٣) علم الدين، وجيه، مراحل استقلال دولتي لبنان وسوريا ١٩٢٢ - ١٩٤٣، بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٧ .
- (٣٤) عمون، فؤاد، سياسة لبنان الخارجية، بيروت، دار النشر العربية ١٩٥٩ .
- (٣٥) غلمن، ولدمار، عراق نوري السعيد، بيروت، مطابع مؤسسة الانتاج الطباعي، الطبعة الأولى، ١٩٦٥ .
- (٣٦) فواز، عدنان، دور لبنان السياسي في العالم العربي، بحث من مجموعة بحوث نشرتها مؤسسة سلوى نصار للدراسات اللبنانية في كتاب بعنوان «دور لبنان في العالم العربي»، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤ .
- (٣٧) QuBain, Fahim Issa, Crisis in Lebanon, Washington, D. C, The Middle East Institute, 1961 .
- (٣٨) مجذوب، د. محمد، محنة الديمقراطية والعروبة في لبنان، بيروت، دار منيمنة للطباعة والنشر، ١٩٥٧ .
- (٣٩) مجله «الجديدة» اللبنانية، اسبوعية سياسية مستقلة، العدد ٨٦ الصادر في ٨ آذار ١٩٦٨، موضوع بعنوان «البركان اللبناني من ١٩٢٠ الى ١٩٦٨، ص ص ٣٩ - ٤٤ .
- (٤٠) محي الدين، جهاد مجيد، حلف بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث قدمت الى كلية الآداب / جامعة عين شمس عام ١٩٧٠ .
- (٤١) مرهج، بشارة، معركة العروبة والديمقراطية في لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤ .
- (٤٢) مغيزل، جوزيف، لبنان والقضية العربية، بيروت، منشورات عويدان، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ .



أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب

٣١٣ - ١٢٨٤ / ٩٢٥ - ٩٩٤ هـ

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

جامعة بغداد - كلية الشريعة

طبع في بغداد





المقدمة:

تعتبر هذه الدراسة ضمن سلسلة سابقة ولاحقة ان شا الله لعدد من الاعلام العراقيين كمؤرخين.

كذلك تعتبر هذه الدراسات اسهاماً متواضعاً لدعوة العراق للمؤرخين والباحثين العرب في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي في ضوء معطيات العصر، وتواصل حياً لماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها (إعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي تحتاج الى الجهد العلمي الملتزم بحضارة هذه الامة وتراثها العظيم).

وأبو اسحق ابراهيم الصابي، يعتبر من المؤلفين ذوي الثقافة المتنوعة اذ لم يهتم بالأدب والتاريخ فحسب، بل هتم كذلك بنشاطات علمية مختلفة. فكان كاتباً مترسلاً بليغاً، وشاعراً مقتدراً رقيقاً، وكان ابضاً علماً بالهندسة. والذي يهنا هنا هو اهتمامه بالتاريخ الذي سلك فيه المنهج الموضوعي اذ لم يسر على المنهج الجولي الذي اتبعه سابقوه او معاصروه.

وعصر ابو اسحق الصابي، يعتبر من العصور المهمة في التاريخ العربي الاسلامي عامة، وتاريخ العراق خاصة، وهو القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الذي ازدهر فيه العلم والمعرفة ازدهاراً كبيراً، في ظل عاصمة الدولة العربية والاسلامية، بغداد عاصمة الخلافة العباسية

فكان لبغداد الريادة في العلم والمعرفة والثقافة.

والصابي المؤرخ عاش في كنف بغداد وعلومها هذه.

وستتناول في بحثنا هذا حياته، ثقافته، مصادر ترجمة حياته. آثاره. ومنهجه في الكتابة التاريخية.

أحيائه:

هو أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحراني الصابي المؤرخ، والكاظم الأدب المشهور.

وقد ولد - كما يقول - ياقوت: «في سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة، كذلك ذكره حفيده أبو الحسين هلال بن المحسن إبراهيم في تاريخه...»^(١).

أما القفطي فقد كان أكثر دقة في تحديد مولده، بالليلة واليوم، والشهر، والسنة، فيقول: «وكان مولده في ليلة يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة...»^(٢).

على حين ذكر ابن النديم - أنه ولد سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة^(٣) ويأتي العالبي ليسلك سبيلاً آخر، فهو لا يكلف نفسه في أن يذكر يوم أو سنة مولده، بل يمد في عمره طويلاً، فيقول: «انه قد بلغ من العمر تسعين عاماً خنفها في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء»^(٤).

وكلام مثل هذا لاشك في بعده عن الصواب، وبجفافه الحقيقة، إذ ليس من المعقول أن يسلك المرء مثل هذه المدة في الخدمة الفعلية.

والذي أوردناه من ياقوت، والقفطي، هو الأصوب، لأن ذلك في قول أوثق المصادر، ونعني بها حفيده هلالاً.

وفي الأغلب ولد في بغداد.^(٥) وعاش في عهد بني بويه، وهم من الأمراء المتغلبين على خلافة بغداد.

(١) معجم الأدياء - ياقوت الحموي ٢٠/٢ - ٢١

(٢) تاريخ الحكماء - ابن القفطي ص ٧٥-٧٦

(٣) لفهرست - ابن النديم ص ١٩٣.

(٤) نعيم الدهر - للعالبي ٢٤١/٢

(٥) تاريخ الأدب العربي - عمر فروخ ٥٥٨/٢



وأبو اسحق نشأ في بغداد على دين الصابئة الحراتيين^(٦). عفيفاً في مذهبه.

من ذلك «بحكى أن الخلفاء، والملوك، والوزراء، أرادوه كثيراً على الاسلام، وأداروه بكل حيلة، وبغنية جليلة، حتى ان عز الدولة بخيار عرض عليه الوزارة ان أسلم، فلم يهده الله تعالى للاسلام، كما هداه لمحاسن الكلام»^(٧).

أما أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي، فيقول عنه:

«ان أبا اسحق الصابي، كان من نساك أهل دينه، والمتسدين في ديانتهم، وفي محاماتهم على مذهبه، وتصونه عما يدعو اليه الهوى»^(٨).

وكذلك أبو نصر سهل بن المرزبان، قال عنه:

«بلغني أن الصابي حضر يوماً مأثمة المهلب، فامتنع عن الأكل، لباقلاء كانت عليها، لأنه محرم على الصابئة كيفما كان مع السمك، ولحم الخنزير، ولحم الجمل، و فراخ الحمام، والجراد. فقال له المهلب: لا تبرد كل معنا من هذه الباقلاء، فقال: أيها الوزير لا أريد ان اعصى الله في مأكول، فاستحسن ذلك منه»^(٩).

ومع ذلك فهو حسن العشرة للمسلمين، بصوم رمضان، ويحفظ القرآن، ويصرف آياته في رسائله، قال العالبي:

«كان يعاشر المسلمين، احسن عشرة، ويخدم الأكابر ارفع خدمة، ويساعدهم على صيام شهر رمضان، ويحفظ القرآن حفظاً بدور على اطرف لسانه، وسن فله، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الأقتباس من فصوله التي احسن فيها كل الاحسان، وحلاها بأي من القرآن...»^(١٠).

(٦) مبدأ الصابئة ونسبتهم - نجد ذلك مفصلاً في بحث للمؤلف بعد للطبع ان شاء الله.

(٧) نعيم الدهر ٢/٢٤١، معجم الأدباء ٢/٢١٧.

(٨) نعيم الدهر ٢/٢٤٢.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه. ومعجم الادباء ٢/٢١٧.

في سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م تقلد أبو اسحق الصابي ديوان الرسائل، فكانت تصدر منه مكاتبات إلى عضد الدولة تؤله^(١١) فلما توفي عز الدولة أمير الأمراء سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٨، واستولى عضد الدولة على بغداد، وكانت في صدره حزازة كبيرة لأبي أسحق من انشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نعمها منه، واحتقدها عليه.. قال النعالي:

«حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي، أبو طاهر محمد بن عبد الصمد الكاتب، قال: كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي أسحق بعد ميله إليه وضنه به فصل له كتاب انشاء عن الخليفة في شأن بختيار وهو:

فجدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق، والمعالى السوامق التي يلزم كل دان، وقاص، وعام، وخاص. ان يعرف له حق ماكرم به منها، ويتزحزح له عن ربه^(١٢) المقاتله فيها^(١٣). فانه انكر عليه هذه اللفظه أشد انكار، فحبسه، فسئل فيه، وعرف بفضله، وفيل له:

مل مولانا لا ينعم على مثله ماكان منه، فانه كان في خدمه قوم لا يمكنه الا المبالغة في نصحهم، ولو امره مولانا بعمل ذلك اذا استخدمه في أبيه، ماأمكنه المخالفة».

فقال عضد الدولة: قد سوغت نفسي^(١٤) فان عمل كتابا في مآثرنا وتاريخنا أطلقته^(١٥).

وكان ذلك الحل الوحيد للرافة به والابقاء على حياته، فعكف على تأليفه وسماه «الساخي في أخبار بني بويه» نسبة إلى لقب عضد الدولة «تاج الملة» ويذكر باقوت: انه اشتغل بذلك في محبسه^(١٦)، فبينما يذكر النعالي انه اشتغله في منزله^(١٧) وأنفق من روجه على تفرظه وأنفق

(١١) المصدر نفسه ٢٤٣/٢ ومعجم الادباء ٢٢/٢.

(١٢) سرير (رسائل أبي اسحق الصابي ٢١٦/١ - ٢٢٣).

مقام (رسوم دار الخلافة - للال الصابي ص ١١٩).

(١٣) البيهقي ٢٤٣/٢، رسوم دار الخلافة ص ١١٩.

تفضيل الانراك على سائر الأجناد - ابن حنبل ص ١٣ - ٢٠.

(١٤) سوغ له كذا عطاء اياه واجازة له.

(١٥) معجم الادباء ٢١/٢ - ٢٢.

(١٦) المصدر نفسه ٢٢/٢.

(١٧) البيهقي ٢٤٣/٢.



كثيراً في تصنيفه، ولكن واشتيا أفسد عليه الأمر، فقد سأله عما يعمل، بعد أن رأى اندماكه، فأجاب أبو اسحق:

«أباطيل أغتقها، وأكاذيب الفقهاء»^(١٨)

ولاريب في براءته من هذا القول، فليس لمسه تلك الجرأة، وهو يعاني شدائد الاعتقال أن تنفوه بذلك ولا اقل من ذلك وقد عرف بدمائه الخلق، ولين الطباع، ومداهنه الناس جميعاً ومهما يكن من أمر هذه الوسائيه فقد امر عضد الدولة بأن يلقي تحت أرجل الفيلة،

فاكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، ونصر بن هارون على الأرض يقبلانها، وبشفعان اليه في أمره، حتى أمر باستحيائه^(١٩) وأخذ أمواله واستصفائه^(٢٠)، وتخليد السجن بدمائه، فبقى في السجن بضع سنين^(٢١).

وتوفي عضد الدولة (٣٧٢هـ/٩٨٣م) وخلفه ابنه صمصام الدولة، فأطلق سراحه.. وقد رزح حاله، وتهتك ستره، وكان صاحب ~~بن عباد~~ (٣٢٦-٣٨٥هـ/٩٣٧م) يحبه اشد حب، وتغصب له ويتعهد على بعد الدار ~~بالمنج~~^(٢٢) ومات أبو اسحق إبراهيم يوم الخميس الموافق ١٢ من شوال عام ٣٨٤هـ/٢٠-١١-٩٩٤م.^(٢٣)

بينما ابن النديم ذكر مماته قبل الثمانين وتلاثمئة.^(٢٤)

وفد اختلف في يوم وفاته فبعضهم يقول الخميس^(٢٥)، والبعض الآخر يقول الاثنين.^(٢٦)

(١٨) معجم الأدباء ٢٢/٢، البيهيم ٢٤٣/٢

(١٩) سحيائه - تركه حياً.

(٢٠) استصفى المال - أخذه كله.

(٢١) معجم الأدباء ٢٢/٢، البيهيم ٢٤٣/٢، قال هلال:

(نقم عضد الدولة على ابراهيم بن هلال جدي وحبيه لأخيه أربع سنين وشهوراً...) - رسوم دار الخلافة حتى ١٢١

(٢٢) البيهيم ٢٤٣/٢.

(٢٣) معجم الأدباء ٢٠/٢، البيهيم ٣٠٦/٢.

(٢٤) الفهرست ص ١٩٣.

(٢٥) معجم الأدباء ٢٠/٢، البيهيم ٣٠٦/٢.

(٢٦) ومات الاعيان ٥٣/١، شذرات الذهب ١٠٦/٣.

أما دائره المعارف فسلكت مسلكا آخر فقالت توفي يوم الثلاثاء^(٢٧) والمهم انه مات
ببغداد، ودفن في الموضع المعروف بالجنيه المجاور الشوفريه^(٢٨).

ورثاه الشريف الرضي بقصيدته الداليه المشهوره التي مطلعها:
أرأيت من حملوا الاعواد أرأيت كيف غبا ضياء
النادى^(٢٩)

وعاتبه الناس لكونه شريفا برنئ صابئيا. فقال:

أما رثيت فضله^(٣٠).

تقريبه:

تجسدت في أبي اسحق الصابي التطورات الثقافية التي حدثت في بغداد، في القرن
الرابع الهجري، العاشر الميلادي، من علوم وفنون، وأدب.

فما كان منه الا أن ينهل من هذا البحر الواسع الناسع، الكبير وبرز ذلك واضحا في
سمو ما أخذه من علم، وأدب وشعر فكان أدبيا بارعا، وكاتبا مترسلا، بليغا، وشاعرا مقتدرا
دقيقا، وكان ايضا - عالما بالهندسة^(٣١) مجيدا في التاريخ.

حتى أصبح كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة، وعن عز الدولة بختيار البويهبي^(٣٢)، وتقلد
ديوان الرسائل سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م^(٣٣).

(٢٧) (المجلد ١٤ ص ٨٤ (مادة الصابي.)

(٢٨) (وفيات الاعيان ٥٣/١، شذرات الذهب ١٠٦/٣، دائرة المعارف الاسلاميه ٨٤/١٤، تاريخ الحكماء ص ٧٦

(٢٩) (ديوان الشريف الرضي - ٣٨١/١.

(٣٠) (وفيات الاعيان ٥٣/١، شذرات الذهب ١٠٦/٣

(٣١) (الفهرست ص ١٩٣

(٣٢) (معجم الادباء ٢٠/٢، النتيجه ٢٤٣/٢

(٣٣) (تاريخ الادب العربي - عمر فروح ٥٥٨/٢



قال الثعالبي فيه:

كن «أوحد العراق في البلاغة، ومن به تننى الخناصر في الكتابه، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغايه من البراعه والصناعة».^(٣٤)

كذلك «كان المهلبى لا يرى الا به الدنيا ويحف الى براعته وتقدم قدمه، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في أوقات انسه».^(٣٥)

ولمكانه ابي اسحق العلميه والادبيه والخليقيه «مدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء».^(٣٦)

وبالجملة فانه كان أعجوبة من الاعاجيب،^(٣٧) وعلميا من الاعلام الذين يشار لهم بالبنان.

مصادر ترجمته

نجد ترجمه حياته في المصادر والمراجع التي استفدنا بكثير منها وهي: الفهرست لابن النديم ١٩٣ - ١٩٤، وفيات الاعيان - لابن خلكان ٥٣/١ - ٥٤، الكامل - لابن الاثير ١٠٦، ١٥/٩، شذرات الذهب - لابن العماد ١٠٦/٣ - ١٠٩، معجم الادباء - لياقوت الحموي ٢٠/٢ - ٩٤ (وهي ترجمة كبيرة)، بتيمة الدهر - للثعالبي ٢٤١/٢ - ٣٠٦، تاريخ الحكماء ٧٥-٦، المنتزع من كتاب التاجي - لابي اسحق الصابي - تحقيق د. محمد حسين الزبيدي - المقدمة، دائرة المعارف الاسلاميه ٨٣/١٤ (ماده الصابي)، تاريخ أبو الفدا (طبعة الاستانة ١٣٦/٢)، الوزراء - للال الصابي، المقدمة (ص ٣)، المختصر - لابن العبري (ط صالحاني) ص ٣٠٧، نهاية الأرب - للنويري ٤٠/١، معاهد التنصيص لعبدالرحيم العباسي ٥٣/١، ١٥٤-١٦١، ١٧٤، ٢٢٧، ٢٥٧، ١١٤/٢ - ١١٥، النجوم الزاهرة - لابن تغري بردى ١٦٧/٤، ديوان الشريف الرضى ٣٨١/١/١، الاعلام - للزركلى ٧٣/١، د. س. مرجليوت - دراسات عن المؤرخين العرب ص ٢٥ - ٦، رسائل الصابي والشريف الرضى - مقدمة

(٣٤) البتيمة ٢٤١/٢

(٣٥) المصدر نفسه ٢٤٣/٢

(٣٦) المصدر نفسه ٢٤٠/٢

(٣٧) شذرات الذهب ١٠٦/٣



المحقق، النشر الفني في ق ٤هـ - لزكي مبارك ٢/٢٩٠-٣٠١، تطور الاساليب النثرية في الادب العربي - لأنيس المقدسي ٢٦٣-٢٨٧، أدب اللغة العربية - لمحمد حسن نائل المرصفي ١٣٤/٢، تاريخ ادب اللغة العربية - لرجي زيدان ٢/٢٧٥-٢٧٦، تاريخ الادب العربي - لعمر فروخ ٢/٥٥٨-٥٦١، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق لفاضل عبداللطيف الخالدي - المقدمة، ظهر الإسلام لاحمد أمين ١/٢٣٦-٢٣٧، التاريخ والجغرافيه - لعمر رضا كحالة ٦٥، ٩١.

الرسائل الجامعية : المختار من رسائل أبي اسحق الصابي - لمحمد يونس عبدالعال - رسالة دكتوراه جامعة القاهرة - كلية الآداب (المكتبة) ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م المقدمة ٧-٥٨، المجلات: أبو اسحق الصابي سيرة وفنا- لعبدالقادر حسن أمين مجله كلية الآداب جامعة بغداد ١٣٩٥هـ/١٩٧٥ عدد ١٨ من ٧-٢٧

آثاره

ندرج أدناه آثار أبي اسحق ، والتي تشمل في تصانيفه التاريخية والادبية:

أ (من تصانيفه التاريخية هي:

- ١ - كتاب اخبار اهله وولد ابنه - عمله الى بعض ولده. (٢٨) وهو مفقود الآن.
- ٢ - كتاب دولة بني بويه واخبار الديلم وابتداء أمرهم، ويعرف بالتاجي (٢٩) «سنعرفه في الفقرة التالية».

ب (ومن تصانيفه الأدبية:

- ٣ - ديوان شعره. (٤٠) وهو مفقود في الوقت الحاضر.

(٢٨) الفهرست ص ١٩٣، معجم الادباء ٩٤/٢

(٢٩) الفهرست ص ١٩٣، معجم الادباء ٩٤/٣

(٤٠) المصدران السابقان نفسها.



- ٤ - كتاب رسائله - وهو مشهور، نحو ألف ورقة^(٤١)، (عشرين ألف سطر)^(٤٢)، وهي نفسه إلى أبواب في المراسلات، والسفاعات والمعاينات، وما نفذ إلى العمال، والمتصرفين، ولنواحي. وهو مطبوع^(٤٣).
- ٥ - كتاب مراسلات الشريف الرضي^(٤٤) مطبوع^(٤٥).
- ٦ - كتاب اختيار شعر المهلب^(٤٦)، مفقود في الوقت الحاضر.
- ٧ - منسآت الصابي^(٤٧) موجود.

وصف الكتاب

يعتبر كتاب «التاجي»^(٤٨) من التواريخ المعاصرة^(٤٩) للاحداث. وكذلك اعتبر من لتواريخ الرسمية^(٥٠).

وكما هو معروف لدينا ان هذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر باستثناء قطعه صغيره منه: المنتزع من كتاب التاجي - لابي اسحق الصابي «وهي» مخطوطة مصوره في مكتبه معهد

(٤١) المصدران نفسها

(٤٢) ذكر ذلك عمر فروخ في كتابه - تاريخ الادب العربي ٥٥٩/٢

(٤٣) طبع بعضها في بيروت بتحقيق سكيب ارسلان سنة ١٣٩٦هـ/١٨٩٨م. وقام بتحقيق مختار منها محمد بوس

عبدعال «رساله دكتوراه» جامعه القاهرة - كلية الآداب ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

(٤٤) المهرست ص ١٩٣.

(٤٥) بحث عنوان (رسائل الصابي والشريف الرضي) قد حققها محمد يوسف نجم - الكويت سنة

١٣٨١هـ/١٩٦١.

(٤٦) ذكر ذلك صاحب معجم الادباء ٩٤/٢، أما صاحب المهرست فلم يذكره.

(٤٧) ذكر حرجي زيدان حيث قال «في المكتبة الحدونة نسخه خطيه بهذا الاسم بدخل في ٤٥٤ صفحة. تاريخ آداب

لغة العربية ٢٧٥/٢

(٤٨) سمي بـ (التاجي) نسبة إلى (تاج الملة) وهو أحد القاب عضد الدولة البويهبي.

(٤٩) المعصرة: هي ان يعيش انسان كاللوز ملأ في العصر الذي توارح له أو يفرح لسير رجاله، من وجهه نظر

فرسه عاتية لذلك العصر، لأن الفرسين من الاحداث زماناً ومكاناً هم أقدار الناس على وصفها وتصويرها فإن

كانت في بعض الأحيان حجاباً يستر المؤرخ عن قول الحقيقة لاعتبارات عديدة منها الزلفى، والخوف، والموءدة،

والعداوة، وغير ذلك مما يقع للمؤرخ والمؤرخ لهم.

(٥٠) المؤرخون الرسميون - هم الذين تفتضي واجباهم كرسامين تسجيل ما يريد الدولة أو الفئه السياسيه أو الدينيه

تسجيله وتوثيقه.



المخطوطات بالجامعة العربية^(٥١) وعند فحصنا لهذه المخطوطه وجدنا مؤلفها قد اتبع الاسلوب أو المنهج الموضوعي في الكتابه التاريخيه فيها.

وقد ادرج أبو اسحق الصابي، حديثه تحت فصول معينه مثل: «فصل في اسلام الديلم والجيل^(٥٢)».

وفي هذا الفصل تحدث عن فضل اهل الديلم على من سواهم من أهل البلاد، وحسن سبوتهم، ودخولهم في الاسلام طوعاً وانقيادهم لمن دعاهم. وهو الحسن بن الاطروش.

وكذلك مثل:

«فصل في مساكن الديلم والجيل ومفاخرهم»^(٥٣)

وتحدث فيه عن نسب البويهيين، وعن الديلم والجيل وعن عاداتهم، وظروف معيشتهم، وعن طبيعه بلادهم، وعن الصفات التي كانوا يتميزون بها.

ان هذه القطعه الصغيره قد تم تحقيقها ونشرها حديثا في بغداد^(٥٤) - يقول مرجليوث عن كتاب أبي اسحق هذا مانصه:

«ويقال ان جزءا كبيرا من هذا الكتاب مقتطف في تاريخ مسكوبه»^(٥٥).

وفي مكان آخر قال:

«ويؤكد أبو شجاع انه «يقصد مسكوبه» نقل تاريخ البويهيين الذي ألفه أبو اسحق ابراهيم الكاتب، وسماه «التاجي» نقلا حرفيا على وجه التقريب»^(٥٦)

(٥١) عدد صفحاتها ٢٢ ورقه، قياسها ٢٨ × ١٩ سم ورمها ١٢٦٢ / تاريخ

(٥٢) المنتزع من كتاب التاجي - لأبي اسحق الصابي، مخطوط ورقه ٨ (مكتبة معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ١٢٦٢ / تاريخ).

(٥٣) المصدر نفسه ورقه ٢.

(٥٤) المنتزع من كتاب التاجي لأبي اسحق الصابي - تحقيق وشرح د. محمد حسين الريبدي، كتب التراث ٤٤ / مسورات وراة الاعلام العراقيه - بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

(٥٥) د. س. مرجليوث - دراسات عن المؤرخين العرب ص ٢٥ - ٢٦.

(٥٦) المرجع نفسه ص ١٤٨



في النص الأول الذي أوردناه لم يذكر مرجليوت مصدر قوله، أما في الثاني فنسبه إلى أبي سجاع. وعند رجوعنا إلى النص الذي ذكره أبو سجاع بقصد مسكويه وأبي إسحق، لم نجد مذهب إليه مرجليوت. قال أبو سجاع في معرض حديثه عن كتاب «التاجي» لأبي إسحق مانصه:

«ووجدنا آخره موافقا لآخر كتاب تجارب الأمم، حتى أن بعض الالفاظ متسابه في خاتمها، وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى امد واحد».^(٥٧)

والذي تتصفح كتاب مسكويه «تجارب الأمم» يجده يشير دائما إلى رواه - وإذا كان فعلا قد اعتمد على «التاجي» فما الذي حدا به إلى عدم ذكر مؤلفه ضمن رواه العديدين، والمتأثرين في صفحات كتابه؟

كذلك ذكر مرجليوت أن بعض قطع منه (يقصد التاجي) في البيهقي للتعاليبي.^(٥٨) وتاريخ اليميني للعتبي^(٥٩) «(٦٠)».

أن ماتضمنه كتاب البيهقي من نصوص لأبي إسحق لا يخرج عن نطاق رسائله، وشعره، ولا يتمثل فيها المعاني الأخبارية أو التاريخية وعلى سبيل المثال، ندرج النص التالي لأبي إسحق كما هو مدون في البيهقي، لمعطينا صورته أكثر دقة لما ذهبنا إليه:

(«فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة وما جرى بينهما»)

والله العالم أني مع ما عودني الله من الاظهار، وأوجدني من الاستظهار، ومنحني من

(٥٧) دبل تجارب الأمم - الروذراوري ٢٣/٣.

(٥٨) مطبعة الصاوي - القاهرة ٢١٨/٢-٢٨٦.

(٥٩) سمي بـ (اليميني) نسبة إلى (يمين الدولة) وهو أحد القاب محمود الغزنوي.

وطبع تاريخ اليميني - لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي - في القاهرة بجزيين سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م.

كذلك طبع في القاهرة بهمس الكامل - لأبن الأثير في الأجزاء ١١٠، ١١٢ ط. بولاق سنة ١٢٦٠هـ/١٨٧٣م.

(٦٠) مرجليوت - دراسات عن المؤرخين العرب ص ٢٦.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية من أن بعض المؤرخين المتأخرين قد استشهد بالتاجي، مثل : «ميرخواند» في

النص الفارسي. (دائرة المعارف الإسلامية مادة أبي إسحق الصائفي).

شرف المكان، وظل السلطان وكثرة الاعوان، لا جزع في مناضله عضد الدولة من ان اصيب الغرض منه كما جزع من ان يصيب الغرض مني، واكره ان اظفر به، كما كره ان يظفر بي، واشفق من ان أطرف عيني بيدي، وأعض لحمي بنابي^(٦١)».

ونجد اغلب النصوص التي اوردها التعالبي لابي اسحق على هذه النساكة.

فإذا كانت هذه النصوص كما ادعى مرجليوت هي قطع من تاريخ «التاجي» فانها لا تتأهل والنصوص التي اطلعنا عليها وتحدثنا عنها سلفا في مخطوطه «المنتزع من كتاب التاجي».

فالاولى (الموجودة في اليتيمه) يغلب عليها السجع والصناعة اللفظية، بعكس ماهو، موجود في الثانية (المنتزع من كتاب التاجي) التي فيها السجع أقل من الأولى. وكذلك أقل مما عند العتبي الذي ألف كتابه اليميني، وحذا فيه حذو أبي اسحق. وندون ادناه نص من كتاب اليميني للعتبي للتدليل على تزويقه اللفظي، وصناعته الأدبية، في كتابته التاريخيه.

(«ذكر أيام الأمير الماضي أبي منصور سبكتكين رحمه الله تعالى وأحواله».

بالاولى (الموجودة في اليتيمه) يغلب عليها السجع والصناعة اللفظية، بعكس ماهو موجود في الثانية (المنتزع من كتاب التاجي) التي فيها السجع أقل من الأولى. وكذلك أقل مما عند العتبي الذي ألف كتابه اليميني، وحذا فيه حذو أبي اسحق.

وندون ادناه نص من كتاب اليميني للعتبي للتدليل على تزويقه اللفظي، وصناعته الأدبية، في كتابته التاريخيه.

(«ذكر أيام الأمير الماضي أبي منصور من سبكتكين رحمه الله تعالى وأحواله».

قد كان ذلك الأمير قدس الله روحه في جبلته أبي النفس، الأنف، جرى القلب، فوى



البطرس. كربه الخيم رضى التدبير كبير المهمة، كثير الحكمه، يتبين ذلك كله في خصاله، وخلال له ونصرفات عزائم، واحواله^(٦٢)».

وفي ختام بحثنا عن أبى اسحق الصابي نقف عند رأى السيد عبدالقادر حسن امين. حول انكاره وجود كتاب «التاجي» حيث يقول في معرض انار الصابي:

«أما كتاب التاجي فارجح عدم وجوده. اذ لم يقدم الصابي على كتابته، واعتقد انه خبر مهلهل النسخ، أراد به المترجمون والمؤرخون اضافة جوانب جديده مثيرة لصورة البلوى التي احاطت بـصاحبنا^(٦٣)».

وفي المال نفسه يضيف قائلاً:

«وكأنى بعضد الدولة اراد ان يستغل محنه الصابي فأمره ان يؤلف كتابا في أيجاد آل بويه ومآبرهم، وقد كان ذلك الحل الوحيد للرافه به، والابقاء على حياته، فعكف على تأليفه سماه «التاجي».....^(٦٤)».

في النص الأول - بنكر السيد امين «كتاب التاجي» ويرجح عدم وجوده وفي النص الثاني - يؤكد وجود الكتاب.

وعليه نقول إن كتاب التاجي اتيه اغلب المترجمين والمؤرخين^(٦٥) لابي اسحق الصابي، ولتوكيد قولنا هذا، فقد عبر أخيراً على قطعة من هذا الكتاب^(٦٦)، وهي مطبوعه تحت ايدنا.^(٦٧)

(٦٢) تاريخ ليميني - تعنبي - مطبوع الهامش تاريخ الكامل - لأبن لابن ٢٥/١٠ طبعه بولاق.

(٦٣) أبو اسحق الصابي - سيره وفتاً - مقال: الاساذ عبد القادر حسن أمين (مجلة لكلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٧٤/١٨/ص ١٦).

(٦٤) المرجع نفسه ص ١٤.

(٦٥) س البداء - الفهرست - ص ١٩٣-٤. هامش الحموي - معجم الادباء ٩٤/٢، العاليي - البيتمه ٢٢٩/٢.

(٦٦) مخطوط مصور في مكتبة معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ١٢٦٢/ تاريخ - وعدد صفحاتها ٢٢ ورقة.

(٦٧) طبع في بغداد بعنوان (المنزع من كتاب التاجي - لأبي اسحق الطوسي - تحقيق وشرح د. محمد حسن البزيمى، كتب التراث ٤٤ منشورات وزارة الاعلام العراقية - بغداد ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

١ - كتاب التاجي: لابي اسحق الصابي

كما هو معروف لدينا ان هذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر باستثناء قطعة صغيرة منه،
تم تحقيقها مؤخرا تحت عنوان
(المنتزع من كتاب التاجي - لابي اسحق الصابي) (٦٨)

- الفصل الأول - ذكر جملة أخبار الديلم والجيل ص ٢٥
- الفصل الثاني - فصل في مساكن الديلم والجيل ومفاخرهم ص ٢٩.
- الفصل الثالث - فصل في ذكر اسلام الديلم والجيل ص ٣٨
- الفصل الرابع - فصل في خبر أبي جعفر متي بن نعمان الديلمي الساهي ص ٧٣.

وأما مادتها، فهي تدور حول نسب الديلم والجيل (٦٩)، الذين منهم البويهيون.
فبين الصابي ان القدماء عدتهم من بني ضبه (٧٠) فاقدماء عدت من بني ضبه وهم
الذين اقتضوا عذرة السكنى في هذه البلاد، وكانوا من اسد العرب بأسا، فلم يكن لمن سواهم
طاقة بهم . وكثرت الطوابع عندهم، واصطلحت العرب عليهم ورنت المحاجر والمنادى بهم،

(٦٨) المرجع نفسه.

(٦٩) جيلان (كيلان) : اقليم كبير يتكون من دلتا نهر سعيد رود عند مصبه في بحر الحر (بحر قزوين). وقد طبق
الجغرافيون العرب اسم الجيل أو جيلان على المنطقة وفي جنوب هذا الاقليم وغربه مما يحاذي جبال دحبي
الطالقان وتارم من اقليم الجبال كانت بلاد الديلم وعن هذا فان بن جيلان وبلاد لدلم حدود مشتركة
(لسترج - بلدان الخلافة السرفيه ص ٢٠٦ - ٧)

(٧٠) بو ضبه: بطن من العدنانية ينتسبون الى ضبه بن اد بن الياس بن مصر بن نزار بن معد بن عدنان وهم حمير
العرب اللات وكانت منازلهم في جوار سي نهم. ثم انتقلوا في الاسلام لجهه النعمانية وذكر ان الديلم من اساء
ناسل بن صه (الانساب - المسماني ص ٣٦٠، جمهره اسباب العرب - لأن حزم ص ٢٠٣، معجم فياض
العرب - لعمر رضا كحاله ٢/٦٦١-٢).

فرحلوا الى اذربيجان^(٧١)، فربما فريقا متلاحقين، ثم تفرقوا في البلاد التي هي الآن وطن لهم^(٧٢). «واضاف قاتلا»:

«وافترقوا فرقتين عن بطنين لآخوين وهم: ديلم، وجيل فذريه كل واحد من هذين الآخوين، منسوبة اليه، واقتسموا البلاد^(٧٣)».

ويحدثنا الصابي عن قبائل هؤلاء ونسبهم بقوله:

«فلجيليون يفخرون بأربع قبائل:

أولها وأشرفها قبيله (شيرزىلاوند) من ناحية لناهج وهم منسوبون الى شيرزىل ... وهم اسلاف مولانا الملك شاهنشاه عضد الدوله وتاج المله ... ومرجعهم في النسب^(٧٤) الى بهرام جودين بزجرد الملك الساساني. وانقطع من أصل الكتاب سىء من ذكر قبائلهم^(٧٥)».

وأردف قاتلا:

«وأما الجيل فاصولهم كاصول الديلم، وناقلتهم كناقلتهم وقد تقدم من القول في ذلك،

(٧١) اذربيجان: ولفظ اسم هذا الأقليم اذربيجان بالفارسيه الحديثه. وكان إقليم اذربيجان الجبلي في أيام الخلافه اقل شأنًا مما صار له في أواخر العصور الوسطى ولاسيما بعد الغزو المغولي.

(المسرح من كتاب التاجي - لأبي اسحق الصابي - تحقيق د. محمد حسين الزبيدي ص ٢٩).

(٧٢) المتزع - ص ٢٩ - ٣٠.

(٧٣) المصدر نفسه - ص ٣٠.

(٧٤) سب بني بويه: «بوسجاع بويه فناحسرو بن ترام بن كوهى بن سيروزىل الاصغر بن شيره كذه بن شيروزىل بن ستادر بن بهرام جور الملك بن مرد جرد ساه بن سيسن فرو بن سيروزىل بن ستازر بن بهرام جور الملك بن مرد جرد الملك بن هرمز الملك كرماتساه بن سامور الملك سيوردي الاكتاف بن هرمز الملك بن ترسيى الملك بن بهرام الملك بن بهرام بن هرمز الملك سيور بن اردشهر الجامع بن بانك بن ساساره الاصغر بن بابك بن ساساره الأكبر».

(الاكبال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف من الاسماء والكسب والانساب - ابن ماكولا ٣٧٢/١، البداية

والنهايه - ابن كثير ١٨١/١١.

(٧٥) المتزع - ص ٣٣.

مايكتفى به^(٧٦)، وقبائلهم العالية الخطر^(٧٧) التي يفخرون بها، أربع وكلها تسكن السهل، اد
ليس للجيل مسكن في الجبال:

فأولها وأشرفها: قبيلة الملوك التي يقال لها (شاهانشاه باوند). وهم أجداد (هروندان
بزيرداد) ملك الجيل.

ومسكنهم في الناحية المعروفة بداخل ... وفي عظمائهم شاجمیل، وشهراكون، ابناهر
سندان بن بيرداد بن مرذوابج وشمكير اما ديار بن وداماه، وسيرخ بن ليلي، واسباهي بن
اجريار وبامنصور، واسفهد وست من أبناء السكروان، وغيرهم.^(٧٨)

والقبيلة الثانية: قاراوند منسوبه الى قارأحدهم. وهم يرجعون في انسابهم وقدمهم الى
عصبة هروندان ... وسكنهم ايضا بناحية (داخل).^(٧٩)

والثالثة: قبيلة كيلان اداوند. وكان كيلان اداوند الذي ينسبون اليه رجلا مبرزاً في
الشجاعة وأبوه طاوى في خراسان الى بلد الجيل.^(٨٠)

والرابعة: قبيلة هسبتاوند وهم منسوبون الى بيحاسب بن حسويه، وكان له خطر كبير
واجتمع مع دافع بن هرمه.^(٨١)

كذلك تحدث لنا عن مركز الجيل القديم. وأول ملوكهم. بقوله: «واما الجيل، فمركز ملوكهم
القديم الناحية المعروفة بداخيل وأول من ذكر لنا من ملوكهم، بيرداد والدهر وسندان، ولما
مضى لسبيله انتصب في موضعه ليلي بن شهدوست، والدسترج وهو ابن عمه من عصبته، وولى
الملك بعده، هروندان بن بيرداد.^(٨٢)

(٧٦) يقصد في الاقسام الأولى من كتابة هذا - وهو مفقود.

(٧٧) الخطر - القيمة، المكانة، الجاه

(٧٨) المنزاع ص ٣٣ - ٤٠

(٧٩) المصدر نفسه ص ٤٤.

(٨٠) المصدر نفسه ص ٤٤

(٨١) المصدر نفسه ص ٤٤

(٨٢) المصدر نفسه ص ٣٥



والصائب في كتابه هذا، قدم لنا صوره - لا بأس بها وان تكن ناقصه لفقدان اجزاء كبيرة من مؤلفه هذا - غن انساب الديلم، والجبل وبالتالي عن البويهيين. اضافة الى التراجم العديدة التي زخر بها كتابه، اضافه الى حديث عن اسلام هؤلاء القوم^(٨٣)، كذلك عن المعارك التي حدثت بينهم وبين اعدائهم^(٨٤).

أما مصادره - فهي قليلة قلة ما تحت ايدينا من هذا الكتاب ومن رواته:

١ - احمد بن علي العماري الطبري المعروف بالعلوي^(٨٥).

٢ - محمد بن أمير الطبري، الزبدي^(٨٦).

أما مصادره المكتوبة فقد اعتمد عليها دون ذكرها كقوله :

(وقد تضمنت التواريخ في خبر مقتله ما نحن بتذكر حملته ...)»^(٨٧)،
وكقوله:

«وبين يديك بعض ما وقع الينا من الاخبار في ذلك العصر...»^(٨٨)

أما الرواة الذين أخذ عنهم الشعر منهم :

١ - الحسن بن علي^(٨٩).

٢ - أبو الحسن علي الناصر^(٩٠).

٣ - محمد بن احمد الوراق المجراني^(٩١).

(٨٣) المصدر نفسه ص ٣٨

(٨٤) المصدر نفسه ص ٤٠، ٧٣

(٨٥) المصدر نفسه ص ٢٦، ٣٥

(٨٦) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٨٧) المصدر نفسه ص ٤٨

(٨٨) المصدر نفسه حتى ٤٥

(٨٩) المصدر نفسه ص ٥١ - ٢

(٩٠) المصدر نفسه ص ٥٥ - ٦، ٥٧، ٥٨.

(٩١) المصدر نفسه ص ٧٦ - ٨٢

ومنهج الصابيء في مؤلفه هذا، هو اتباعه المنهج الموضوعي حيث نجده يتحدث عن موضوعات عديدة لها صلة بعضها ببعض.

فعند حديثه عن موضوع مساكن الديلم والجيل^(٩٢)، يسهب في الحديث تحت هذا الموضوع عن نسبهم، وعاداتهم، وظروف معيشتهم وطبيعة بلادهم، وكذلك عن الصفات التي كانوا يتميزون بها.^(٩٣)

بعد هذا الموضوع ينتقل الحديث عن الموضوع الذي يليه بنفس الاسلوب الذي أتبعه في الفصل الذي سبقه.

والصابيء لم يسر على المنهج الحولي الذي اتبعه سابقوه أو معاصروه، ولهذا لم يذكر السنين لتحديد زمن الحوادث الا في حالات قليلة.^(٩٤)

ومن طرق الاسناد التي اتبعها عند أخذه من رواته مباشرة استعمال (حدثني)، أو اجازه استعمال (أخبرني) بشكل مرن دون التقيد بطريقه المحدثين. كقوله:

حدثني محمد بن أمير الطبري الزبدي قال...^(٩٥)

أو - أخبرني أحمد بن علي العماري الطبري قال...^(٩٦)

وهناك طرق أخرى أتبعها في الإسناد، ولكن بصورة قليلة كقوله :

- يقال...^(٩٧)

و اتفقت الروايات على ان...^(٩٨)

و قالت طائفة...^(٩٩)

(٩٢) المصدر نفسه ص ٢٩.

(٩٣) المصدر نفسه ص ٣١ - ٢.

(٩٤) المصدر نفسه ص ٤٠ سنة ٤٠ هـ، ص ٤٩ سنة ٢٨٦ هـ، ص ٥٨ ٣٠٤ هـ، ص ٦٧ سنة ٣٥٠ هـ، ص ٧٦ سنة ٣٠٩ هـ.

(٩٥) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٩٦) المصدر نفسه ص ٣٥.

(٩٧) المصدر نفسه ص ٥٧.

(٩٨) المصدر نفسه ص ٧٣.

(٩٩) المصدر نفسه ص ٦٠.



وهكذا قدم «كتاب التاجي» صوراً حية عن تاريخ الديلم والحيل ولا يملك قارؤه سوى ابداء الاسف على ضياعه، وعسى ان تكشفه الايام وعند ذلك تتكشف لنا جوانب كبيرة عن هؤلاء القوم، بما فيهم من تناقض ومن حيويه.

نعود هنا لاستكمال حديثنا عن تاريخ الانساب (التراجم) فنقول:

ان سياده النظرة النسبية في العلاقات الانسانية باعتبارها قوة محركه في التاريخ. قد توغل الاهتمام بالنسب الى كتب التراجم.

والتراجم^(١٠٠) - هي الكتابه عن كل من اشتهر بالعلم، والمعرفة حتى ولو اشتهر بحديث واحد فقط، رجلاً كان أو امرأة، يدونون تاريخ مولده، وأصله، ونسبه، والبلاد التي تجول فيها، والعلماء الذين اخذ عنهم، وما حدث له في حياته. وتاريخ وفاته بالشهر بل باليوم يدورون على الناس في بيوتهم، وعلى العلماء في بلادهم، يأخذون ذلك عن الرجال، والنساء، بل وحتى عن الاماء، ويسندونه اليهم، ويتشددون في الرواية والسماع، وقد عنى المحدثون بوجه خاص في هذه التراجم لمعرفة احاديث الرسول الصحيحة بأسانيدها، وروايتها خلال العصور.

وقد نشأ عن ذلك علم (الجرح والتعديل) في نقد كل ما كانوا يسمعون فألقت الكتب في نقد المحدثين، وبيان الصادقين منهم والكاذبين^(١٠١)

وأخذت التراجم بمرور الازمنة تتباين محتوياتها، تبعاً لموضوع البحث والناحية التي يعالجها المؤلف منه، والعنصر المشترك الوحيد المنتظر وجوده في التراجم كافه، ما عدا أقدمها، هو تواريخ وفيات الاشخاص المترجمين، التي كانت عادة معروفة أو يمكن استنتاجها.

وتاريخ الوفاة هو التاريخ الثابت في حياة الشخص، أما تاريخ الولادة فقلما كان يعرف

(١٠٠) التراجم - جمع ترجم، والترجمان، المترجم - المُفسِّر للسان . وقيل هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة الى لغة أخرى.

«لسان العرب - ابن منظور ٣٣٢/١٤ - ترجم، فصل التاء، حرف الميم) وتطور مدلول هذه الكلمة الى الكتابة عن كل من اشتهر بالعلم والمعرفة.

(١٠١) موجز تاريخ الحضارة العربية - د. ناجي معروف، د. عبدالعزيز الدوري ص ٢٧١ - ٢.

الا في حالات بعض الشخصيات، بل ان كثيرا من هؤلاء لم يكن يعرف تاريخ ولادتهم، وهذا التاريخ لا يعرف عادة الا اذا أخبر به المترجم له نفسه.

وتبدأ كتب التراجم عادة بذكر ولادة المترجم وتنتهيها بذكر وفاته وهذا هو النظام المألوف في التراجم الاسلامية. ^(١٠٢) وفي كثير من الاحيان يذكر تاريخ الميلاد والوفاة في بداية الترجمة والراجع ان المؤرخين اعتادوا ذكر ترجمه أى شخص تبعا للسنة التي توفي فيها ^(١٠٣).

أما ذو المحتد والنسب الاصيل، فكثيرا ما تبدأ تراجمهم ببعض الملاحظات عن النسب، وقد تكون هذه الملاحظات مطولة، كما هي الحالة في كتابة سيره الرسول (صلى الله عليه وسلم) او بعض الخلفاء، والامراء والوزراء مثال ذلك كتاب نشوار المحاضرة واخبار المناكره للتوخي

ملاحظة:

لثبت بعض المصادر والمراجع الرجوع الى فقرة «مصادر ترجمة المؤلف فقد اوضحنا هذه المصادر والمراجع بشكل كامل ودقيق والتي استفدنا بكثير منها في هذا

البحث ..

والله الموفق

(١٠٢) نجد ذلك سائداً في التراجم التي اوردها الخطيب البغدادي

(ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) في كتابه (تاريخ بغداد).

(١٠٣) روزنتال - علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٤٤

قَبِيلَةُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وَحُرُوبُهَا فِي الْإِسْلَامِ

د. رَمِيزَةُ مُحَمَّدُ الْأُطْرُجِي
مركز أحياء التراث
جامعة بغداد





مقدمة:

تعد قبيلة بكر بن وائل من أعظم القبائل المحاربة، وفيها الشهرة والقوة وهي من القبائل التي تفرعت منها جملة قبائل ولذا عرفت بـ (أم القبائل). كان لها شأن معروف عند ظهور الاسلام، وقد تركت ديارها القديمة تهامة على أثر حروب كثيرة إلى اليمامة يرد ذكرها لأول مرة في القرن الرابع الميلادي، اذ كانوا في ذلك العهد يخرجون من البحرين واليمامة ويغيرونهم واحلافهم من بني تميم وبني عبد القيس على بلاد فارس المجاورة لهم، فقد غزت هذه القبيلة تخوم بلاد فارس في عهد شابور حوالي ٣٣٠م.

عاش بنو بكر في كنف أهل اليمن في القرن الخامس الميلادي، وفي منتصف هذا القرن نجح حجر أكل المرار وهو أمير من كندة في جمع شمل القبائل العربية التي تسكن وسط جزيرة العرب ومنها بكر وتغلب، ثم انفصم عرى هذا الحلف وأصبح كليب وائل سيد بكر وتغلب الذي قتل من قبل جساس بن مرة فنشبت لذلك حرب البسوس بين بكر وتغلب حوالي سنة ٤٩٠م واستمرت هذه الحرب أربعين سنة ثم أصلح بينهما المنذر الثالث ملك الحيرة - وبذلك انتهت حرب البسوس حوالي عام ٥٢٥م.

ونزحت تغلب عندئذ إلى أرض الجزيرة بينا بقيت بكر في حمى اللخمينيين بالحيرة وساعدوهم في حروبهم ضد الفساسنة بالشام وانتصروا كذلك للنعمان بن المنذر آخر امراء اللخميني فاحتفى هو وأسرته ببني شيبان عندما استدعاه كسرى ابرويز للمدائن .

لقد عاشت قبائل بكر في منطقة من اخصب المناطق وأهمها فهي في تخوم العراق وعلى نهر الفرات تأخذ المدد من الصحراء وتتقى هجمات الغزاة من القبائل وغزوات الفرس لذا فقد جمعت الروح الوبابة وقوة العزم والشجاعة إلى جانب الصدق والوفاء، وانهم جربوا الحروب مرارا مع جيوش كسرى وكانوا السيف القاطع الذي قطع كل يد كسرويه امتدت إلى عرب العراق وعرب الجزيرة.

نسبها:

وهي قبيلة عربية عظيمه من القبائل المستعربة^(١)، من نسل اسماعيل عليه السلام وهي بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد من العدنانية^(٢)، ومن ابناء عمومتهم تغلب وعنز، ومن بطونهم^(٣) يشكر بن بكر بن وائل^(٤)، وبدن والحارث، وجشم، وعلى، وغنم ومن بطون بكر المهمة ايضا ذهل وعجل وحنيفة وقيس وشيبان^(٥)، وقيس بن ثعلبة كانت منازلهم بين البحرين واليامة^(٦)، ومن قيس خرج كثير من الشعراء منهم اعشى قيس والمرفش الاكبر والاصغر، وطرفة بن العبد^(٧)، وبنو شيبان^(٨) بن ثعلبة وكانت منازلهم في العراق.

مواطنها:

عاشت قبيلة بكر في تهامة واليمن واليامة والبحرين ومنها إلى اطراف سواد العراق وناحية الأبله إلى هيت وما والاها^(٩)، وقد تقدموا شيئا فشيئا في العراق، فمطنت دجلة في المنطقة المدعوة الآن باسمهم ديار بكر^(١٠)، واخذت تغير على الدولة الساسانية.

(١) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر ج١/١٠٤

(٢) ابن حزم: جهرة ص ٤٥٢، واللفسندى: نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ١٧٨، واس خلدون: مقدمه ج ٢/٦٢٥، وكحالة: معجم الفائل ج ١ ماده بكر، وابن قتيبة: المعارف، والطبعة الأولى، ص ٤٣ وابن دريد: الاشتقاق ص ٣٣٥.

(٣) ابن عبدربه: العقد الفريد ج ٣/ ٣٦٠ - ٣٦٣

(٤) دائرة المعارف الاسلامية: ماده بكر.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الحموى: معجم البلدان ج ٢/ ٨١١

(٧) دائرة المعارف: ماده بكر، وابن دريد: الاشتقاق ص ١٤٠ - ٣٤١

(٨) البغددي خزائن الادب ج ٤/ ٤١٩، وابن دريد: ص ١٤٠-١٨٤-٣٤١

(٩) البكري: معجم ما استعجم ج ١/ ٨٦، الطبعة الأولى (القاهرة) ١٩٤٥.

(١٠) الحمداني: صفه جزيرة العرب، ص ١٦٩، وكحالة: معجم ج ١ ماده بكر. وتقع الجزيرة بين دجلة والفرات، وتسل على بلاد ديار بكر، ومضر، وربيعة (الفزوي) : اثار البلاد واخبار العباد ص ٣٥١، وقد سمي العرب ما بين النهرين بالجزيرة بعد فتحهم العراق سنة ١٦هـ وسموها الى اربعة اسماء، كان القسم لامتد على سواطي الفرات هو ديار بكر وفدعته امد (ل. أ. سيدو) تاريخ العرب لعام ص ١٢٥



وكانت ديار بكر جزءاً من ديار ربيعة التي كانت تشمل أيضاً أرض تغلب وقد استقرت تغلب في الجزيرة منذ حرب البسوس^(١١)، فجاورتها بكر التي كانت المشاكل قائمة ومستمرة بينها^(١٢).

وجاء في معجم القبائل، أنه كان للنعمان بن المنذر كتيبة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك وأكثرهم من بكر بن وائل^(١٣) في الحيرة.

وهناك قول آخر هو أن بكر بن وائل سكنت أرض العراق مع غيرها من القبائل العربية من ربيعة ومضر في أزمان متطاولة تمتد إلى ما بعد سبيل العرم^(١٤)، وتقدمت قبائل عربية غرب الخليج العربي باتجاه الأبله ثم استقرت في الأحواز يذكر الطبري بطونا من بكر بن وائل، من عجل وسدوس وشيبان وبنو حنظلة^(١٥).

والاماكن التي سكنتها بكر في الجزيرة هي آمد وكانت تعرف بأمدة وهي الحاضرة التي تعرف الآن بديار بكر كما أن اسمها الرسمي قره آمد أي آمد السوداء لأن أسوارها من البازلت الاسود، ومدينة اسعد، ودينسيرة وحصص كيفة وحيزلان ورأس عين، وماردين وميفارقين^(١٦).

(١١) الاستفاق: ص ٣٣٨، وحرب البسوس هي الأيام التي بقيت تتوالى بين بكر وتغلب، وهما اعظم قبائل ربيعة شأننا ودامت هذه الحروب ربعين سنة - نسبت في العرسين الأخيرة من القرن الخامس الميلادي على اثر مقتل كليب وائل وهو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جسم بن غم بن تغلب، وكليب لقب له ويضرب المثل بانفته (ابن الاثير: الكامل، ج ١/٥٢٣، الفيلسندى نهاية الارب ص ٩٥ وبكاربوس: نهاية الارب في اخبار العرب ص ٩٥، مرسيليا ١٨٥٢، وابن حبيب: مختلف القبائل ومؤنفها ص ٢١ والشريرزي: شرح ديوان الحماسة ج ٢/١٩٧ والالوسي: بلوغ الارب ج ٢/١٥١).

قتل كليب لفطرسه وقتله جساس بن مره من بني سيبان وهو سيد بكر وكان كليب قد تزوج اخت جساس، فاستعد المهلهل اخو كليب لحرب بكر، انظر التفاصيل في العقد الفريد لابن عبد ربه: ج ٥/٢١٣، وجواد على المفصل في تاريخ العرب ج ٤/٤٩٦.

(١٢) الاصفهاني: الأغاس ج ١١/٤٢

(١٣) كحالة: معجم ج ١/٩٥

(١٤) ربيع العظم: اشهر مشاهير الاسلام ج ٢/٣٤٤

(١٥) الطبري: تاريخ ج ٣/٥٩٣.

(١٦) دائرة المعارف الاسلامية

شارل بلات: الجاحظ في البصرة وبعداد وسامراء ص ٦٥ دمشق (١٩٦١)



تولى زياد بن أبيه البصرة سنة ٤٥ هـ جعل منطقة البصرة من حيث التنظيم القبلي اخماسا وهم العالية، وبنو تميم، وبكر بن وائل، وعبد القيس، والازد، وكندة. وكان رؤوساء الاخماس هم رؤوساء هذه القبائل^(٢٤).

وكان بالبحرين خلق كثير من العرب من عبد القيس وبكر بن وائل، وقيم^(٢٥)، مقيميين في باديتها وكان عليهم على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن ساوى وسكنت بكر بن وائل ايضا بلاد فارس وبخاصة اقليم خراسان^(٢٦). وان سابور ذى الاكتاف اسكن قبائل من بنى تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل اسكنهم كرمان وتوج والاحواز، وقيل بلاد السوس^(٢٧).

اما وديان بكر ومعها تغلب فهي وادي شبث والأحصى ويقول في ذلك المهلهل حين استعد لقتال بكر^(٢٨):

وادي الاحصى لقد سقاك العسدي قبحي الدموع باهلة الدعس
ويقول جساس حين طلب منه كليب شربة من ماء قبل ان يموت: هيهات تجاوزت شيئا والاحصى^(٢٩).

أما مياه بكر في العراق فهي ذو قار بالقرب من الكوفة والحنو وسليان والسيطان^(٣٠) وكلاً وبان في البصرة ومن وديانها، الاشأقي في بلاد شيبان والشرار الذي أصبح لتغلب، ومن جبالها، اسود العشاريات والطور البرى وهولشيبان، وهناك مواضع أخرى مشتركة بينها وبين تغلب^(٣١).

(٢٤) الخوازمي: مفاتيح العلوم ص ٧٤

(٢٥) الحضري: تاريخ الامم الاسلاميه ص ٢٢

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية: مساهد بكر استوطنت بكر بن وائل البحرين قبل الاسلام وبخاصة بعد يوم «نقسه» وهو

آخر ايام حرب السوس (البكري: معجم ص ٨٥-٨٦)

(٢٧) المسعودي: مروج ص ٢٨٤ والازدي: تاريخ الموصل ص ٣٨١

(٢٨) ابن الاثير: جد ٥٢٣/١ (والدعسي) في منازل بكر

(٢٩) السويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص ١٠٦ وشبث والاحصى غديران في منازل ربيعة بنجد

(العقد العربي ج ٢١٣/٥ وما بعدها).

(٣٠) السيطان واديان لبكر بن وائل، البكري، جد ١٠٢/٢، وجاد للولي، انام العرب ص ٢١٧.

(٣١) المصدر السابق.

١٠٠ البكر

كانت بكر تعبد الأصنام في الجاهلية ومن أصنامها أوال وهذا الأسم كانت تعرف به البحرين في الزمن القديم^(٣٢)، ويذكر ابن الكلبي أن أوال صنم لبكر وتغلب^(٣٣)، والكعبات، هو بيت كان لربيعة يطوفون به، وقيل انه كان لبكر وتغلب وأناد بسنداد^(٣٤)، قال الاسد بن عفر^(٣٥)،

اهل الخورنق والسدير و—سارق والبيت ذى الكعبات من سن—د

والمحرق صنم لبكر بن وائل^(٣٦)، وكان بعبد بنو عجل بنوع خاص، وكانوا قد جعلوا لكل حي من ربيعه له ولد^(٣٧).

ومن اصنام بكر - عوض^(٣٨)، وكان فريق من بكر، هم، تيم اللات وضبيعة وبعض بنو عجل يعتنقون النصرانية^(٣٩).

وكتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بكر بن وائل بدعوهم للإسلام، أما بعد فاسلموا تسلموا وكان الذي اتاهم بهذا الكتاب ضبيان بن مرتد السدوسي^(٤٠)، وقدم وفد من بكر بن وائل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيه بشير بن الحصاصيه^(٤١)، وعبدالله بن مرند،

(٣٢) البكري: معجم ما استعجم، ج١/ ٦٩

(٣٣) ابن الكلبي: الاصنام ص ١٠٧

(٣٤) سنداد موضع بإحذية الكوفة، ابن هشام: سيرة النبي ج ١/ ٩٤، وجاء في معجمها سنجم ح = ٦٩/ ن دو الكمين، بينما بسنداد عبادتها قبيلة ريد فمط في الزمن القديم.

(٣٥) على ابراهيم: التاريخ الاسلامي، ص ١٥٤

(٣٦) ابن الكلبي، ص ١١١

(٣٧) البكري ج ١/ ٦٩

(٣٨) الاوسي: بلوغ الارب، ج ٢/ ٢١٠، وعلى ابراهيم: التاريخ الاسلامي ص ١٥٦

(٣٩) دائره المعارف الاسلاميه: مادة بكر

(٤٠) ابن سعد ج ١/ ٢٨١، الاستعاب ج ١/ ١٧٢، وابن كثير، السيرة النبويه ج ٤/ ١٧٨.

(٤١) والحصاصيه امه، وهو بشير بن معبد السدوسي، كان اسمه في الجاهلية زحما فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): انت بشير، الاستعاب ج ١/ ١٧٢



وحسان بن خوط فأسلموا وعادوا إلى ديارهم^(٤٢)، وقال رجل من ولد حسان يفتخر بإسلام أبيه^(٤٣):

أنا ابن حسان بن خوط وأبــــــــــــــــي رسول بكر كلها إلى النبيــــــــــــــــي

وقد وفد آخر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعه (حريث بن حسان الشيباني) فأسلم على يده وكان معه عبدالله بن الاسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن حارث بن سدوس، وكان ينزل اليمامة فباع ما كان له من مال باليمامة واستقر بالمدينة^(٤٤)، وحين قدم على الرسول كان يرفقته قبيلة بنت مخزومة، وكان لها ولد يدعى حزاما ذكرت انه قاتل مع النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الرزذة ثم ذهب ينسار من خيبر فاصابته حماتها فمات^(٤٥).

حروب بكر بن وائل في الاسلام مع القبائل الاخرى:

١ - حروبها مع قبيلة خزاعة:

بالاضافة إلى ما كان بين بكر وتغلب من حروب قبل الإسلام، كان ايضا بينها وبين قبائل اخرى حروب عرفت بانام مشهورة، ثم جاء الاسلام وحجز ما كان بين بكر وخزاعة من عداا وتساغل الناس بالإسلام، فلما كان صلح الحديبية بين الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبين قريش وكان من بنود هذا الصلح، احلال السلام بين المسلمين وقريش مدة عشر سنوات وفيما اشترطوا ايضا على الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرط لهم، أنه من أحب ان يدخل في عهد رسول الله وعقده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه، فدخلت بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله^(٤٦)، فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو

(٤٢) ابن سعد، ج ١/٣١٥، وابن كثير السيرة ج ٤/١٧٨

(٤٣) ابن سعد، الطبقات ج ١/٣١٥

(٤٤) وحين دخل المدينة كان معه حراب من ثمر مدعا له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باليركة، المصدر السابق .

(٤٥) المصدر السابق

(٤٦) ابن هشام، ج ٤/٤، ابو يوسف، الخراج، ص ٢١٠، الطبري: ج ٣/٤٣

فقال الرسول الكريم: نصرت ياعمر بن سالم (٥٠).

(٥٣) ج ٢/٢١-١٠، ويجاد المولى: ايام العرب ص ٢١٧

(٥٧) ابن خلدون ج ٢ / ٦٢٧

الضحاك قد يبيع أيام مروان بن محمد - على مذهب الصفرية، وملك الكوفة وغيرها وبأيعه بالخلافة جماعة من بني أمية ومنهم سليمان بن هشام بن عبد الملك وعبد الله بن عمر بن عبدالعزيز. (٥٨)

ومن فروع قيس بن ثعلبة ... بن بكر بن وائل [الشاعر طرفة بن العبد^(٥٩)]. والاعشى (ميمون بن قيس)، فقد عرفوا بنو قيس بن ثعلبة بالفصاحة .

وساتناول الكلام عن بعض الشخصيات المهمة والتي ابلت بلاء عظيمًا في الحروب ضد الفرس منذ أزمنة تاريخية بعيدة.

ولم تكن نساء بكر اقل شجاعة وبلاء في الحروب من رجالها فكُن في يوم قبضة (تحلاق اللمم) يحملن الماء لقبي المرحى في ساحة القتال، وكُن يهوين بالهراوة على العدو^(٦٠)، وسيأتي الكلام عن موقف المرأة العربية في حروب العرب مع الفرس .

ومن اهم شخصيات بكر بن وائل التاريخية:

١ - هانيء بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهو من أوسع بطون بكر بن وائل وأكثرها شعوباً، وهانيء هو الذي منع حلقة النعمان من ابرويز وادى هذا إلى

(٥٨) ديوان الاعشى ص ٤٩

(٥٩) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن

بكر بن وائل (ديوان طرفة بن العبد) ص ٥

وكان اسم طرفة عمرو، وهو اشعر الشعراء بعد امرئ القيس (البغدادى): خزنة الادب ج ٢/ ٤١٩، والاشتقاق

ص ٣٥٧.

(٦٠) وجاء في ديوان طرفة بن العبد، يصف شجاعة نسا بكر بن وائل في يوم -تحلاق اللمم - وسمي بهذا الاسم لان

المحارث بن عباد شيخ بكر، أمر بني بكر ان يخلقوا رؤوسهم ليكون علامة النساء فيسقين من حلق راسه،

ويضربن بالهراوة من كان خالف ذلك، وكان هذا اليوم لبكر على تغلب . وفي هذا اليوم يقول طرفة بن العبد:

سأتلوا عنا الذى يعرفنا _____ بقوانا يوم تحلاق اللمم _____

يوم تبدى البيض عن اسواقه _____ وتلف الخيل اعراج النعم _____

(ديوان طرفة ص ١٢٧)



وقوع معركة ذي قار^(٦١)، وتفصيل خبر الواقعة، جاء ذلك في العقد الفريد لابن عبدبريه^(٦٢)، فقد ذكر أن النعمان بن المنذر^(٦٣)، لما قتل بن زيد العبادي^(٦٤) وكان من تراجمة كسرى سار ابنه زيد بن عدى إلى كسرى، وكان أيضا من تراجمة كسرى فعزم على الانتقام من قاتل أبيه، ووشى على النعمان إذ دخل يوما على كسرى، وكان قد علم بطلبه من النساء له ولأهله وولده وأخذ يذكر أمامه نساء آل المنذر وجمالهن فرغب كسرى بمصاهرة النعمان، وطلب زيد من كسرى أن يرسله إلى النعمان يطلب منه أن يرسل إليه بابنته، وقيل باخته، فلما قرأ النعمان كتاب كسرى قال ليزيد: أما لكسرى في مها السواد وفارس كفاية حتى يتخطى إلى العربيات؟ وأنت تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الفظاظ والسناعة ثم كتب إلى كسرى: ان الذي طلبه الملك ليس عندي، ثم عاد زيد بن عدى إلى كسرى وأخبره امتناع النعمان عن تلبية طلبه وبالف في ذلك وطلب كسرى من النعمان الحضور إلى المدائن، فلحق النعمان ببني شيبان وأودع حلقتة وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا، وجعل ابنته هند التي تسمى (حرقة) عند هاني بن مسعود الشيباني ثم رحل إلى كسرى ليرى فيه رأيه^(٦٥)، فحبسه ابرويز بساباط المدائن ثم أمر به فطرح للفيلة^(٦٦) وكتب كسرى إلى إياس بن قبيصة الطائي^(٦٧).

(٦١) ذو قار، وادي متاخم لسواد العراق، شيخوخ: شعراء النصرانية، ص ٢٣، وهو بين الكوفة وواسط الزبيدي: تاج العروس، ص ٥١١، وكانت وقعة ذي قار، وقد بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) وخبر اصحابه بها فقال: اليوم انتصفت فيه العرب على العجم نصرُوا، العقد الفريد ج ١/٥٦٢، وابن خلدون، المجلد الثاني ص ٣٦١، وقيل سنة ٦١١م قبل الهجرة باحدى عشر سنة، شعراء النصرانية ص ٢٣، ويذكر المسعودي ان هذه الوقعة كانت لثام اربعين سنة من مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو بمكة بعد ان بعث، وقيل بعد أن هاجر، وفي رواية اخرى للمسعودي، ان الوقعة كانت بعد معركة بدر باشهر ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة المسعودي: ج ١/٣٠٧.

(٦٢) العقد الفريد: ج ٥/٩٥.

(٦٣) كان للنعمان بن المنذر كتيبة عربية يقال لها الصنائع من بكر بن وائل - كما مر سابقا، وجاء في معجم القبائل لكحالة ج ٥/٩٥.

(٦٤) وهو من العباديين، العباديون، نصارى من بطون وقبائل نزلوا الحيرة قبل الاسلام الكرمل: لغة العرب المجلد الثاني ص ٥١١.

(٦٥) ابن عبدبريه: العقد الفريد، ٢٦٢/٥، والمسعودي: ٣٠٧/١٠.

(٦٦) ابن خلدون: المقدمة المجلد الثاني ص ٣٦١.

(٦٧) المصدر السابق والمسعودي ج ٢/٧٧.



ماريه وقبل (امراته) فوقعت إلى الأرض وقطع وضمن النساء فوقعن إلى الأرض وقال: ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته، وقطع يومئذ سبعائة رجل من بني شيبان أيدي اقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف فتجالد القوم^(٧١)، وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا فأتبعهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم يقتلونهم، وكان مالك بن نعلب من بكر بن وائل أول من قتل فارسا من الاعاجم في يوم ذي قار^(٧٢)، وأسرى النعمان بن زرعه التغلبي اما اياس بن قبيصة فهرب على فرسه، وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش الا نزع كتفه، فلما أتاه ابن قبيصة سألته عن الجيش فقال: هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببنايتهم، فأعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوه، ثم استأذنه بالسفر إلى أخيه قيس بن قبيصة وكان بعين الترفأذن له، ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة، فسأل: هل دخل على الملك أحد، فقالوا اياس فظن أنه حدثه خبر الهزيمة، فدخل عليه واخبره بهزيمة القوم فأمر به فنزعت كتفه^(٧٣).

ومع ان القوات التي اشتركت في يوم ذي قار كانت قليلة العدد نسبيا، فقد عد العرب هذا النصر فاتحة عهد جديد، كما أن قبائل الصحراء قد وثقت على الوقوف موقفا عدائيا وبدأت تظهر الكراهية والاحتقار للفرس ولم تعد تخشى بطشهم حتى وطأوهم بأقدامهم في النهاية .

وتغنى الشعراء بهذا اليوم الخالد الذي كان تمهيدا لمعركة القادسية الأولى، بأنهم حاربوا الملوك وتزايد قوة القبائل وقال العديل بن الفرج العجلي^(٧٤).

وما أوقد الناس من نار لمكر مـــــــة	الا اصطلينا وكنا موقدى النــــار
وما يعدون من يوم سمعت بـــــــه	للناس أفضل من يوم بذى قــــار
جئنا بأسلاهم والخيل عابـــــــة	لما استلبنا لكسرى كل اســــوار

(٧١) الطبرى ج ٢ / ٢١٠

(٧٢) الاستقاق : ص ٣٤٣

(٧٣) العقد الفريد : ص ٢٦٦

(٧٤) المصدر السابق

(٨٠) المصدر السابق

وقالت تذر بكر بن وائل في وقعة ذي قار: (٨١)

الا ابلغ بنى بكر رسولا فقد جد النفير بعنقفيــــــــــــــــــــر
فليت الجيش كلهم فداكــــــــــــــــم ونفسي والسرير وذا السريــــــــــــــــر
كأنني حين جديهم اليكــــــــــــــــم معلقة الذوائب بالعــــــــــــــــبور
فلواني اطلقت لذاك دفــــــــــــــــعا اذا لدفعته بدمي وزبيــــــــــــــــري

ويبدو من اخبار العرب ان الحرقه بعد أن قتل كسرى أباهما طلبها (كسرى) وألح في طلبها فأبت الاقتران به واستجارت بحبي بكر وتغلب فاجتمعت القبائل وجرت وقائع وقالت لما استجارت بني شيبان: (٨٢)

شيبان قومي هل قبيل مثلــــــــــــــــهم عند الكفاح وكرة الفرــــــــــــــــسان
لا والذوائب بين فروع ربيــــــــــــــــعة ما مثلهم من نائب المحدثــــــــــــــــان
قوم يحIRON اللهيف من العــــــــــــــــدى عند الكفاح ومن صروف الزمــــــــــــــــسان
بال شيبان طفرتم في الدنــــــــــــــــى بالفخر والمعروف والاحــــــــــــــــسان

واستمرت المقاومة العربية بعد ذي قار وكان غالب الوائل وكليب بن وائل الكلبي من أبرز قادتها في الاحواز، وقطبة بن قتادة السدوسي في منطقة الابله (البصرة) والمثنى بن حارثة فيما بين الابله والحيرة (٨٣).

(٨١) كحالة اعلام ج ٢٦١/٥

(٨٢) شيخنا: ص ٢٢-٢٣. وقيل ان هند كان قد خطبها عدى بن زيد العبادي وزير النعمان وتزوجها، وكانت معه حتى قتل ابها. غير ان بعض المؤرخين يرى ان هنداً التي تزوجها عدى ليست ابنة النعمان، وانما هي امرأة بدوية وان زواج عدى من هند ابنه النعمان قد بنى بعضهم على ماورد في قول الشاعر ان صلة عدى بالبيت المالك صلة زواج وقد ذكر عدى مصاهرته للنعمان في شعره
اجل الله قد فضلكم . ودوني كان منكم واصهارى

وديان عدى ص ١٤

(٨٣) الحدود الشرفية للوطن العربي، دراسة تاليفية، جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق ص ٢٣ .

٢ - ومن الشخصيات العظيمة التي ظهرت في بني شيبان ابضاً وقاتلت الفرس، هو المنثى بن حارثة^(٨٤). وقد على النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة ٩ هـ مع وفد قومه، فرضى الله عنه وارضاه^(٨٥) وقيل لما عرض رسول الله نفسه على القبائل، أتى شيبان، فلمى مفروق بن عمرو^(٨٦)، والمنثى بن حارثة فدعاهم، وروى عن النبي أنه تلا (قل وأتل ما حرم ربكم عليكم)^(٨٧)، والآية على بني شيبان^(٨٨).

والمنثى أول من حرك في نفس أبي بكر (رضى الله عنه) أمر العراق وهو ممن لم ينباع بكراً على ردتها وبقي وقوفه على الاسلام وكان يغير على سواد العراق على رجال من قومه فبلغ أبو بكر الصديق خبره فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري^(٨٩)، هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العباد وهذا المنثى بن حارثة السيباني.

لقد أطعم المنثى أبا بكر والمسلمين في الفرس وهون أمر الفرس عندهم، والظاهر ان المنثى بجاورته لبلاد فارس وتوالى غاراته على أطراف ملكهم من جنوب العراق،^(٩٠) عرف حالهم ووقف على أمورهم وعلى اضطراب حمل^(٩١)، دولتهم فقدم على أبي بكر ورغب اليه ان يستعمله على من اسلم من قومه ليغزو بهم أطراف فارس وسهل لديه أمرهم ورغبه بغزوهم^(٩٢) فكتب له أبو بكر في ذلك عهداً وسار إلى بلاده ثم أرسل أبو بكر خالداً إلى العراق وأمر المنثى بالسمع والطاعة له، حين وصل خالد إلى العراق سنة ١١ هـ انضم اليه ثمانية آلاف من بكر

(٨٤) هو المنثى بن حارثة بن سلمة ابن ضمضم بن سعد بن مره بن ذهل بن هيبان بن ثعلبة بن عكبة بن صعب بن

على بن بكر بن وائل، وكانت منازل قومه في العراق والبحرين (ابن الاثير اسد الغابة ج ٥ / ٥٩ - ٦٠

(٨٥) المصدر السابق، ورفيق العظم: (المجلد الأول، اشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة ج ٢ / ٣٠٩ طبعه

الحامسة.

(٨٦) من بكر بن وائل اسد الغابة ج ٥ / ٢٥٠، وكان بينهم ايضا هاني بن فبيصة والنعمان بن شريك.

(٨٧) سورة الانعام: آية ١٥١.

(٨٨) اسد الغابة: ج ٥ / ٢٥٠

(٨٩) المصدر السابق ج ٥ / ٥٩ - ٦٠

(٩٠) من محافظتى المنثى وذى مار حالياً

(٩١) الدينورى: الاخبار الطوال ص ١١٧

(٩٢) العظم: ج ١ / ٣٠٩



بترزعمهم المنى، وتمكن خالد بمعونتهم من هزيمة الفرس من الموضع الذى عرف بعد ذلك بالبصرة وتعرف هذه الواقعة (ذات السلاسل) ^(٩٣)، وكانت بكر بن وائل في جملة القبائل التي كان يطمئن خالد بن الوليد إلى ولائها.

ولما سار خالد إلى الشام عادت اشارة الجند إلى المنى وكان خير كفوء لها بعد خالد بن الوليد ^(٩٤).

وكانت وفاة المنى على أثر انتفاض جراحه كانت اصابته في وقعه الجسر واستخلف على جيشه بشير بن الحصصيه.

كان المنى على جانب من الشجاعة والاقدام والنظر البعيد في شؤون الحرب، وقد أوصى سعدا قبل وفاته بوصية، وقبل ان يراه بوصية، وافقت رأى الخليفة عمر بن الخطاب ووصيته لسعد ان لا يقابل الفرس اذا اجتمع امرهم، وان يقاتلهم على حدود أرضهم مما يلي أرض العرب ^(٩٥)، وقد حاول الفرس بعد وفاته ان ينالوا من لسيان ومن معهم من بكر بزعامه المعني اخي المنى ولكنهم لم يفوزوا ببطائل ^(٩٦).

يقول بن خلدون في مقدمته ^(٩٧)، كان لبني بكر بن وائل مع بعض القبائل الاخرى مل عبدالقيس وسائر ربيعة والازد، وكنده، وقيم قدم في الفتوحات الاسلامية.

وبعد ان تولى سعد بن أبي وقاص الجيش بعد وفاة المنى بن حارثة تقدمت القبائل العربية، وقد امر عمر بن الخطاب سعدا باعداد كبيرة من القبائل، من اليمن، ونجد، وقيم،

(٩٣) وقد كان اهل العراق ايام على (رضى الله عنه) إذا بلغهم عن معاوية شيء، يقولون (نحن اصحاب ذاب السلاسل)، محمد ابو الفضل: ايام العرب ص ١٩٣، ورغم ان فريقاً من بكر كان قد تنصروا الا انهم سارعوا الان الى الدخول في دين العرب الفاتحين (انتوني): العرب انتصاراتهم واجداد الاسلام ص ٥٤

(٩٤) (البلادري: شرح ص ١١٨ والطبرى : ٤٠٨/٣

(٩٥) (العظم. ج ٢/٣٠٨

(٩٦) دائرة المعارف مادة بكر

(٩٧) ابن خلدون م ١٠٢٦/٢

وبني اسد، وسنة الاف من بكر بن وائل، وكان فهاذه الدهلي يناوس الساسانيين بقومه من بكر بن وائل (٩٨).

وعلى هذا الاساس تم بناء البصرة من قبل عتبة بن غزوان عام ١٤ هـ لتكون مركزاً ومنطلقاً للقبائل المتقدمة نحو الفتح (٩٨).

بكر بن وائل وحركة التمرد في البحرين ضد الاسلام

كان بالبحرين (١٠٠) في الجاهلية خلق كثير من العرب من عبدالقيس، وبكر بن وائل، وقيم، مقيميين في باديتها (١٠١) وكان إلى جانبهم الفرس الذين كان لهم يد في حركة التمرد ضد الاسلام وسلطانهم، وبظهر أن هؤلاء رأوا أن توطد سلطان الاسلام في هذه الانحاء يهدد مصالح دولتهم في العراق وسواحل الخليج (١٠٢).

ولم يمض وقت طويل على انبثاق الدعوة الإسلامية سوى ثمان سنوات وقيل ست حتى وجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) أحد أتباعه: العلاء (١٠٣) الحضرمي إلى منطقة البحرين.

(٩٨) (اللادري: فتوح ص ٢٤٣

(٩٩) (باقوت: البلدان ج ١/٤٣١

(١٠٠) كانت تشمل البحرين انداك جزيرة البحرين الجاهلية بالاضافة إلى الاحساء، والقطيف والهيوف والبادري.

فتوح ص ٨٨ وكانت تسمى اوال: نسبة إلى قبيلة وائل التي سكنت الجزيرة، راقوت ج ١/٣٩٥، وإلى صنم

كان يعبدونه حينذاك، خضير العبيدي: البحرين، من امارات الحسج العربي، لطبعة الأولى ص ١٠ ويبدو ان بكر بن وائل حين كانت بالبحرين كانت قبيلة بدوية لم تساهم في التجارة والصناعة، (البحرين في

صدر الاسلام رساله ماجستير، اطروحة (على الاله) لكانته لعدد لرحمن البجه

(١٠١) ابن خلدون ١٩٧/٤: والحضري: تاريخ الامم الاسلاميه ص ٢٢.

(١٠٢) دروزة: تاريخ الجنس العربي ص ٥٥ لعقاد: عبرية خالد ص ١٧٤

(١٠٣) واسمه الكامل عبدالله بن عمار وقيل بن عباد - بن اكبر بن ربيعة بن مفعم الحضرمي الصدفي وهو من

حضر موت، ولذا قيل الحضرمي (الذهبي: تاريخ الاسلام ج ٢/٤٣ وذكر ايضا ابن حجر العسقلاني، في بصر

المنته بتحرير المستنبد، ص ٥٠٦، وقيل ان جده سكن مكة المكرمة، وبقي واليا على البحرين حتى مات بها سنة

٢١ هـ وكان حليفا للحرب بن امية (السمعاني: الانساب ج ٤/١٨١، وكان العلاء من فضلاء الصحابة ولاء

الرسول (صلى الله عليه وسلم) البحرين حين افتتحها ثم ابو بكر وعمر (الذهبي: ج ٢/٤٣، اما اب بكر،

فيذكر في كتابه المعبر النبوي ج ٦٩٢-٦٩٣ ان عمر بن الخطاب ولي العلاء الحضرمي البصرة قبل وفاته

فما كان في اثناء الطريق توفي.



وكان عليهم على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن ساوى^(١٠٤) ودعاه للإسلام فأجابته واسلم معه جمع غفير من الناس.

ولما مات النبي (صلى الله عليه وسلم) انحاز فريق من بكر ومعهم قيس بن ثعلبة على قطيف بزعامة الحطيم بن ضبيعة اخو بني قيس بن ثعلبة وخرج على الردة من تجمع اليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا^(١٠٥).

فعزم أبو بكر على محاربة أهل البحرين، وكان نفر من بكر بن وائل يعادون قبائل عبدالقيس وعبدالقيس يومئذ بالبحرين متمسكون بدين الاسلام، ولم يرتدوا مع من ارتد، وقد اجتمع مع بكر بن وائل على عبدالقيس كفار الفرس في البحرين، وجعل قول الذين ارتدوا من بكر بن وائل بعضهم لبعض، تعالوا حتى نريد الملك في دار النعمان بن المنذر، وارادوا ان يملكوا المنذر بن النعمان بن المنذر فأنه احق بهذا الامر من ابن أبي قحافة^(١٠٦).

وقال في ذلك رجل من بني ضبيعة بن عجل، يدعى وهبا يعير من ارتد من بكر بن وائل.

ألم تر أن الله يسببك خليفة

فنبئت أقوام ويصفوا معشر

لحمى الله أقواما أصيبوا بخنق

أصابهم زيد الضلال ومعر^(١٠٧)

(١٠٤) احد بني عبدالله بن زيد بن عبدالله بن روم، وعبدالله بن زيد هذا هو الأسدي نسب الى قرية بهجر ويقال انه نسب الى الاسدي بن وهم قوم كانوا يعبدون الخيل (لبلادري: فتوح ص ٦٥ - ٦٦) وقيل ان هذا الولي هاجر من ساحل الاحساء الى جزيرة البحرين وقد اصطحب معه عدد من غسيل الدخيل وفرسها في جزيرة البحرين (العبيدي، البحرين من مارت الخليج ص ٢٢).

(١٠٥) الطبري ج ٣/٣٠٢ حوادث سنة ١١

(١٠٦) ابن اعم: الفتوح ج ١/٤٥-٤٦، وابن الاثير: الكامل ج ٢/٣٧٠ وكان المنذر بن النعمان يسمى الضرور فلما اسلم كان يقول: الضرور وليس بالضرور، وقيل ان العرب سمته الضرور (الفرماني: اخبار الدول واما الاول في التاريخ ص ٢٣٢).

(١٠٧) الطبري ج ٣/٣٠٢

وكتب المنني بن حارثة يعدّ لهم على مفاهم وبنهاهم عن محاربة اخوانهم عبدالقيس، وكتب اليهم ابياتا فلما وصلت إلى بكر بن وائل هذه الابيات جعل يقول بعضهم لبعض حسدنا المنني على ثلاث خصال: على ملك المنذر بن النعمان وعلى صلحنا لكسرى وعلى التوسع في البحرين ثم توسطوا البحرين واجتمعت عبد القيس الى رأس من رؤسائهم يقال له الجارود بن المعلّى العبدى^(١٠٨) في اربعة الاف من عبدالقيس واحلافهم وعبيدهم ومواليهم^(١٠٩) ودنت منهم بنو بكر بن وائل في تسعة آلاف من الفرس وثلاثة آلاف من العرب فاقتتل القوم قتالا شديدا فكانت الدائرة على عبدالقيس ودامت الحرب بينهم اباما كبيرة وانهمزت عبدالقيس إلى حصن يقال له جواتا.

واقبلت بنو بكر بن وائل والفرس حتى نزلوا على الحصن فاحدقوا به وحاصروا عبد القيس حصارا شديدا ومنعوه من الطعام^(١١٠).

ولما علم ابو بكر ما قد اجتمع عبد القيس من كفار الفرس وبين بكر بن وائل عقد للعلاء بن الحضرمي علما وكان ذلك سنة ١٢ هـ^(١١١)، وضم اليه الفتي رجل من المهاجرين والانصار وامره بالمسيرة إلى البحرين إلى نصرة عبدالقيس وقال له لا تمرن بحبي من احياء العرب الا استنهضهم إلى محاربة بكر بن وائل فسار العلاء حتى صار بارض اليمامة فاستقبله ثمامة بن أنال الحنفي في مسلمة بن حنيفة، وكتبان هو مسلما فسار ثمامة مع العلاء في نفر من بني عمه^(١١٢).

(١٠٨) اسمه بنو بن عمرو بن حنن بن المعلّى، يكنى ابا غيث او ابا عتاب وفد على الرسول (صلى الله عليه وسلم)

سنة ٩ هـ فاسلم وحسن اسلامه وعاد الى موطنه عبدالقيس وقبل كان نصرانيا (ابن عساكر - تهذيب تاريخ ابن

عساكر ص ٣٥٤ - ٣٥٥) والجارود لف كان اصاب ابنه داء فخرج بها الى موطنه من بكر بن وائل فقتل الله

في ابلهم حتى اهلكهم فعالت العرب: كما جرد الجارود بكر بن وائل الاستغاق ص ٣٢٦

(١٠٩) دائرة المعارف الاسلامية: - مادة بكر

(١١٠) ابن اعثم ص ٤٦-٤٧ وكان في ناحية البحرين جماعة كبيرة من الفرس يبيعون الى جانب العرب، وكان هم بد

في حركة التمرد ضد الاسلام ورأوا ان توطد سلطان الاسلام في هذه الانحاء يهدد مصالح دولتهم في العراق

وسواحل الخليج (دروزة: تاريخ الجنس العربي ص ٥٥)

(١١١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٧٦.

(١١٢) ابن الاعم: - الفتوح ج ١/٥٢-٥٤



وصار العلاء إلى أرض بني تميم وأخيه قيس بن عاصم^(١١٣)، المنقرى فأخذه معه في عشرين فارساً من بني تميم واجتمع المشركون كلهم إلى الحطيم إلا أهل دارين^(١١٤). واقتحم العلاء معسكرهم فوجدهم سكارى فلم تشعر الفرس ومن معهم إلا وخوافر الخيل تطأهم فاستيقظوا فزعين فأخذتهم السيوف وانهزم القوم إلى موضع يقال له الردم^(١١٥)، وقتل رئيسهم الحطيم^(١١٦) بن ضبيعة قتله قيس بن عاصم بعد أن قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله^(١١٧).

وانهزمت بكر بن وائل فلحقوا بالبراري والفلوات هائمين من سيوف المسلمين وهرب المنذر بن النعمان حتى صار إلى أهل جفنة فاستجار فاجاره وندم على ما كان منه وقيل أسلم^(١١٨)، وانهزم الفرس فصار بعضهم إلى موضع يقال له الزاره والقطيف ومضى بعضهم حتى لحق بكسرى فاخبره خبر الهزيمة واستأمن أيضاً قوم من الفرس إلى العلاء فأمنهم فصاروا بالبحرين حرائين وزراعين^(١١٩).

وكتب العلاء إلى من ثبت إسلامه من بكر بن وائل ومنهم عتبة ابن النحاس والمثنى بن حارثة وغيرها يأمرهم بالعودة للمنهزمين المرتدين بكل طريق ففعلوا وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك وكتب العلاء إلى أبي بكر يعرفه هزيمة المرتدين، وأرسل وفداً من جماعة الحطيم إلى أبي بكر في المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام الخليفة.

وهكذا توطد الإسلام وسلطانه في المنطقة بمساعدة الذين بقوا صادقين للإسلام من أهلها، وقد قتل كثير من عمال الفرس وجالياتهم وأجلى كثير منهم أيضاً وجنح بعضهم إلى إعلان

(١١٣) ابن الأثير: الكامل ج ٢ / ٣٧٠

(١١٤) دارين وهي من بلاد البحرين وينسب إليها الطيب (ابن خلدون: ج ٤ / ١٩٧)

غير المشركون إليها فعبر إليهم المسلمون وقتلهم هناك واستمر القتال شهران (ابن الأثير: الكامل ج ٢ / ٣٧٠)

(١١٥) ابن الأعم: ج ١ / ٥٤

(١١٦) الطبري ج ٣ / ٣٠٢ وابن الأثير: ج ٢ / ٣٧١

(١١٧) المصدر السابق

(١١٨) ابن الأثير ج ٢ / ٣٧١

(١١٩) ابن الأعم: ج ١ / ٥٤



خضوعه لسلطان الاسلام فقبل العلاء منهم ذلك مقابل الجزية على ما سنه النبي لهم في حياته وهم مجوسى وكان في المنطقة جالية يهودية اعلنت خضوعها لسلطان الاسلام وتعهدت بالجزية ايضا فسمح العلاء بالبقاء مع الاحتفاظ بدينها^(١٢٠).

وتعتبر حروب الردة في منطقة البحرين فاتحة لزوال النفوذ الفارسي على جزر البحرين ومنطقة الاحساء والقطيف.

بكر بن وائل وحروبها في خراسان :

اما في خراسان فقد كان لتعيين الربيع بن زياد الحارثي في أول سنة ٥١ هـ أهمية كبيرة في استيطان العرب في خراسان، ومنهم قبيلة بكر بن وائل، يذكر البلاذري «ان زياد بن ابي سفيان، ولى الربيع بن زياد الحارثي سنة ٥١ هـ خراسان وحول معه من أهل المصريين زهاء خمسين الفا بعيالاتهم»^(١٢١).

وحين سيطرت القيسية على خراسان بقيادة محمد بن خالد بن خازم، سنة ٦٥ هـ قضى على قبائل بكر بن وائل في (مرو) والتي كانت بقيادة سليمان بن مرقد حاكم مرو واخيه عمر بن مرقد الذى عينه حاكما على (الطالقان) ودفع بهم الى (هراة) وهنا في هراة انضم اليها من بكور خراسان وولوا عليهم اوس بن ثعلبة وقالوا له : تبائعك على ان تسير الى ابن خازم، وتخرج مضر من خراسان كلها^(١٢٢). ولكن ابن خازم تقدم نحو هراة بمساعدة قميم التي رأت الأمر يتعلق بمصالحها، واستطاع ابن خازم القضاء على بكر واستولى على هراة بعد ان تكبدت اكثر من ثمانية الاف بين قتيل وجريح^(١٢٣).

وفي سنة ٩٦ اعلن قتيبة بن مسلم الباهلي الثورة على الخليفة سليمان بن عبد الملك وانحاز

(١٢٠) ابن الاثير ج ٢/ ٣٧١

(١٢١) فتوح البلدان : ٤٠٠

(١٢٢) الطبرى : ٥٤٧/٥، وابن الاثير : ٦٦/٤

(١٢٣) ابن الاثير : ٦٦/٤



سبعة الاف من بكر على رأسهم الحصين بن المنذر ومعها قبيلة تميم والازد الى سليمان ضد قتيبة وقد اشار ابن تومعة محذرا بقوله (١٢٤)

تنمر وشمر يا قتيبة بن مسلم فان تميمًا ظالم وابن ظالم
وتأمن الثائرين ولا تم فان اخا الهجاء ليس بنائم
ولا تتقن بالازد فالقدر منهم وبكر منهم مستحيل المحارم

بكر بن وائل تحارب مع علي (رضي الله عنه) :

ونرى بكر تحارب في وقعة الجمل عند الحربية امام البصرة عام ٣٦ هـ (٦٥٩م) الى جانب علي (١٢٥) ولما وصل علي (رضي الله عنه) الى ذي قار في هذه السنة ارسل اليه فريق من بكر وفدا منهم عفد معه حلفا وحارب فريق آخر في صف خصومه ويقال انهم فقدوا (٥٠٠) رجل في هذه الوقعة (١٢٦) وقالت عائشة (رضي الله عنها) بكم يقول القاتل :

وجاؤا إلينا في الحدد كأنهم من العرة القعساء بكر بن وائل (١٢٧)

وكان علي بكر بن وائل من اهل البصرة، علي بن الحارث بن نهار وكانت راية بكر من اهل الكوفة في بنى ذهل، مع الحارث بن حسان بن خوط الذهلي (١٢٨) .

وبعد رجوع علي (رضي الله عنه) من صفين الى الكوفة انحاز عنه اثنا عشر الفا من القراء وغيرهم ولحقوا بحروراء (١٢٩)، وكان زعيمهم عبدالله بن الكواء يشكرى من بكر بن

(١٢٤) الطبري: ٥١٢/٦، ولفائف: ٣٥٨/١-٣٥٩

(١٢٥) الطبري: ٤٩٨/٤٨٩/٤

(١٢٦) المصدر السابق: ٥٠٦/٤ و ٥٣٩

(١٢٧) المصدر السابق: ٥١٦/٤

(١٢٨) المصدر السابق: ٥٢٢/٤

(١٢٩) حروراء: قرية من قرى الكوفة، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وبها كان اول محكمهم واجتماعاتهم (بافوت: معجم، ٢/٢٤٥) وسما هولاء الذين دخلوا حروراء، (بالحرورية)، المسعودي: مروج ٣٩٥/٢

وائل، فخرج على (رضي الله عنه) اليهم، وقد خلوا جميعا الكوفة^(١٣٠)، وتعتبر بكر بن وائل مع نعيم وطى من قدماء الخوارج^(١٣١).

قال معاوية لعبيد الله بن عمر: ان بكرا قد جاءت على علي فسر اليه، فممنعته زوجته (بحرية بنت هاني من قبضة الشيباني)^(١٣٢)، فلم يتمتع وقال لها لترين الاسارى من قومك حول خبائك وقد اقتتلوا اشد القتال وليس فيهم الأسل والسيوف ولكن قتل عبدالله وقال معاوية لامراته، كلمي قومك في جسد عبيدالله فاتهم، فاذنوا لها في حمله ووتب شباب من بكر بن وائل فوضعه على بغل وشدوه واقبلت امرأته الى عسكر معاوية فتلقاها وصلى عليه ودفنه^(١٣٣).

موقف بكر بن وائل من عبدالملك بن مروان :

حين استقرت البيعة لعبدالملك بن مروان، اراد الخروج إلى مصعب بن الزبير وكان مصعب بن الزبير قد خرج بأهل البصرة والكوفة، والتقوا بين الشام والعراق، فما ان التقوا الا وحولوا وجوههم وصاروا الى عبدالملك فجاءه عبيدالله بن زياد بن ظبيان، وكان على خص بكر بن وائل، وكان مع مصعب، ولكن تحول عنه لقتل مصعب اخا عبيدالله واسمه النابى بن زياد، وكان النابى من سادات ربيعة وزعماء لبكر بن وائل، ولهذا تحيز ما كان في عسكر مصعب من ربيعة^(١٣٤).

وبالاضافة الى هذا فقد استطاع عبدالملك ان يجيب نفسه اليهم بفعل الاموال بعد ان كانت معارضة له، وهذا ما جاء على لسان شاعرهم عتبان بن وصيلة الذي يقول لعبدالملك^(١٣٥) :

فانك إلا ترضي بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصب

(١٣٠) المسعودى: ٣٩٥/٢

(١٣١) محمود اسماعيل: ٣٧، وسرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية، ٨٥.

(١٣٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٠١٠، والمسعودى ٣٨٥/٢

(١٣٣) الاستيعاب: ١٨-١٧/٥

(١٣٤) ابن عبد ربه: ٤١٠/٤

(١٣٥) ابن دريد: ٣٥٩

وحيث التقى جيش عبد الملك بجيش مصعب، كانت واقعة مسكن عام ٧٢ هـ ولم يستطع مصعب بجيشه المزعزع وموقف القبائل العربية من ال الزبير ومنهم بكر بن وائل فقد غدر به داود بن قحذم ومال براية بكر وتبعته بقية القبائل، وجاء غلام لعبيد الله بن زياد ف ضرب مصعبا بالسيف فقتله عند دير الجاثليق وعند نهر يقال له الدجيل قال بن قيس الرقيات في ذلك (١٣٦) :

لقد أوزنت المصرين خزيًا وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميم

وبعد ان قتل عبيد الله بن زياد مصعب جاء برأسه الى عبد الملك (١٣٧)، فلما نظر عبد الملك الى رأس مصعب خر ساجدا وأراد عبيد الله ضرب عنق عبد الملك وندم على عدم فعله وقال لو فعلت لأكون قتلت ملكى العرب في يوم واحد وقال في ذلك :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني فعلت فادميت البكا لا قاربه
فأوردتها فى النار بكر بن وائل والحقت من قد خر شكرا لصاحبه

وكانت بكر في العراق أشد القبائل معارضة لعبد الملك، غير أن عبد الملك استطاع أن يحجب نفسه الى زعمائها بفعل الأموال التي كانت تدفع لهم (١٣٨). فقد قدم داود بن قحذم زعيم بكر بن وائل على عبد الملك بعد أن لاحظ فتورا بين قبيلته وبين عبد الملك ومعه مائتين منهم، وكان ذلك بعد مقتل مصعب بن الزبير، ودخل على عبد الملك فلما خرجوا قال عبد الملك : هؤلاء الفساق لولا أن صاحبهم جاءنى ما أعطاني احد منهم طاعته (١٣٩).

(١٣٦) الطبرى: ١٦١/٦

(١٣٧) ابن عدي ربه: ٤١٠/٤، قيل أن عبد الملك حين جاءه عبيد الله بن زياد برأس مصعب اياه ألف دينار فابى أن يأخذها وقال: انى لم افته على طاعتك، وانما قتلته على وتر صنعه بي (الطبرى: ١٥٩/٦)، وكان قد قتل مع مصعب ابنه عيسى، ودفن في المكان الذى وقعت فيه المعركة في (سكن) ويعرف موضع عسكره بخربة مصعب أو صحراء مصعب (النسائسى: الديارات ٣٥١ - ٣٥٢).

(١٣٨) ابن عدي ربه: ٤١٠/٤

(١٣٩) الطبرى: ١٨٩/٧ والمسدودي ١٠٤/٣ - ١٠٩

موقف الحجاج من بكر بن وائل في العراق:

كان فريق من الخوارج من بني شيبان من بكر بن وائل يعيشون في دارا (بين نصيبين وماردين) وفي ارض الجزيرة والموصل^(١٤٠) وكان زعيمهم صالح بن مسرح، وكانوا على اتصال بالكوفة فقد تزحوا من موطنهم الأولى على الجانب الأيمن من نهر الفرات إلى صحارى الكوفة^(١٤١) وكان صالح بن مسرح يقرئ اصحابه القرآن ويعظمهم داعيا الى الحمية لله والنار للناس من مظالم الحكام^(١٤٢)

وكان امرهم مع الحجاج في قرية يقال لها المديح من أرض الموصل زحف اليهم بجيش من الكوفة وقتل منها قائدهم صالح بن مسرح سنة ٧٦هـ وبايعوا بعد قتله شبيب بن يزيد بن نعم وهو من اسرة عريقة هي، مرة بن همام بن دخل بن شيبان.^(١٤٣)

ثم هزم شبيب جيش الحجاج وقتل قائده سعيد بن المجالد بالقرب من النهروان، واقبل شبيب ظافرا يتابع الزحف ودخل المدائن سنة ٧٧هـ، وطلب الحجاج من الخليفة ان يمدد بجنود من الشام ليقا تل بها شبيب، فأرسل له الخليفة أربعة آلاف بقيادة سفيان بن الابرود الكلبي، وكان شبيب قد دخل الكوفة مع زوجته وأمه، وكانت زوجته (غزالة) قد نذرت ان تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين وتقرأ فيه سورة البقرة وآل عمران، ففعلت. وقد كانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموقع العظيم^(١٤٤) وفي ذلك يقول الشاعر، عثمان بن وصيلة الشيباني^(١٤٥):

غزالة منا ذات ندر حميدة لها في سهام المسلمين نصيب

(١٤٠) الاشعري معالات الاسلاميين، ١٢٨

(١٤١) فلهوزن : ١١٠

(١٤٢) المصدر السابق

(١٤٣) وجماعته تسمى، النسيبه، (البغدادى: الفرق بين الفرق، ٦٥)

(١٤٤) الطبرى: ٢٧٣/٦، والمسعودى: مروج، ٣٩/٣

(١٤٥) خليفه بن خباط: تاريخ، ٢٧٤/١

اسد على وفي الحروب نعامــــة
هلا برزت إلى غزالة في الوغــــى
صدعت غزالة قلبــــه بفوارش
فتخاء تجفل من صفير الصافــــر
بل كان قلبك في جوانح طائــــر
تركت مناظرة كامس الدابــــر

وبموت شبيب لم تعد جماعته بذات أهمية ولكن حركة الخوارج ظلت قوية في نواحي
الموصل بين بني شيبان وسائر آل بكر وفامت لهم حركات من حين إلى آخر وتكاد معظم ثورات
الخوارج التي نسمع بها في العصر الأموي المتأخر أن تكون قد خرجت من الموصل ومن آل
بكر (١٤٨)

وفي رواية للطبري، ان بكر بن وائل، انقسمت على نفسها ابان فتنة يزيد ابن المهلب عامل العراق، وهي الفتنة التي شبت في البصرة عام ١٠٢هـ، عقب وفاة عمر بن عبدالعزيز

(١٤٩) الطبري. ١٨٣/٨

عام ١٠١ هـ فقداد بعضها عمران بن عامر بن مسمع، إلى جانب المهلب حسدا لابن عمه الذي دفع اليه عدى بن اوطأ، وإلى البصرة، راية بكر بن اوطأ، وإلى البصرة، راية بكر بن وائل، بعد ان انتزعها من عمران، والبعض الآخر من بكر بن وائل بقى على ولائه للحكومة، ولكن استطاع يزيد التغلب عليهم، فقد كثر جمعه بفضل ما اقطعه للناس من ذهب وفضة، بينما كان الوالي الأموي لا يعطى الا الدرهم والدرهمين، فانفض القوم عنه.^(١٥٠)

اعود إلى وضع الجزيرة الفراتية والحركات الخارجية فيها، فقد كانت منذ اواسط العصر الاموي اقوى المراكز للحركات الخارجية، ولكنها ضعفت في عهد الخليفة هشام بن عبدالمملك، نتيجة لسياسته الحازمة، ثم عادت وشهدت الجزيرة على اثر وفاة الخليفة هشام عام ١٢٥ هـ وتعاقب عدد من الخلفاء الضعفاء على كرسى الحكم في فترة قصيرة كثيرا من الفتن والاضطرابات في كل مكان وخاصة في العراق مسرح تورات الخوارج.

في هذه الفترة كان بطل من بنى شيان - معن بن زائدة -^(١٥١) قائدا لجيش ضخم من فرسان شيان، ومن بكر بن وائل وربيعة كلها.^(١٥٢) زحف بجيشه في عهد مروان بن محمد لقتال الضحاك بن قيس الشيباني (الخارجي، واقتحم اسوار الكوفة، وطرد حامية الخوارج منها).^(١٥٣)

(١٥٠) الطبرى: ٥٨٠-٥٨١، وانظر عواد الاعظمي، في كتابه مسلمة بن عبدالمملك يقول: خرج ابن المهلب يؤم واسط بعد ان استخلف على البصرة مروان وخلع يزيد بن عبدالمملك وهدم بن المهلب واسط، في مائة وعشرين الف ثم ترك يزيد بن المهلب واسط بعد ان استخلف عليها ابنه معاوية، وجعل عنده المال والخزائن ولاسراء، ثم سار متجها الى الكوفة، وكان قد عين الخليفة يزيد بن عبدالمملك اخاه مسلمة قائدا عاما للجيش، ومرت العمليات العسكرية بين جيش مسلمة بن عبدالمملك ويزيد بن المهلب في وقعتين اساسيتين واقعة سورا، واقعة عفر وفسم ابن المهلب جيشه الى ارباع، وهذا التقسيم القبل، اي بالنسبة للقبائل العربية، وكان من بينهم قبيلة بكر بن وائل، ولكن فتنة بن المهلب لم تنجح، وقتل من قبل الفحل بن عياش بن حسان، (انظر التفاصيل) في كتاب الامير مسلمة بن عبدالمملك لاعواد الاعظمي: ١٧٤-٢٠٦.

(١٥١) معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة، واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرعين ذهل بن شيان، وبقية النسب معروف الى بكر بن وائل (ابن خديكان: وفيات ٧٣٢/٥)

(١٥٢) الجومرد: يزيد بن يزيد، ٦٣

(١٥٣) المصدر السابق

حروب بكر بن وائل في عهد الخلافة العباسية:

وحين تولى الخلافة المنصور، هرب معن بن زائدة، فقد جد المنصور في طلبه فاستتر عنه مدة، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية - يوم هاجمت الرواندية المنصور - سنة ١٤١هـ وكادت تقضى على حياته^(١٥٤). فخرج معن متنكرا ملثما، وتقدم إلى القوم وقاتل امام المنصور قتالا ابان فيه عن نجدة وشهامة، فلما افرج عن المنصور قال له: من انت ويحك؟ فكشف لثامه فقال: انا طلبتك يا أمير المؤمنين، معن بن زائدة، فامنه واكرمه^(١٥٥).

وقد انقطع الشاعر مروان بن ابي حفصة لمعن بن زائدة، واشهر قصائد مروان فيه واحسنها القصيدة الامية، وله فيه من قصيدة^(١٥٦):

معن بن زائدة امن بدمتي ————— والمشتري المجد بالغالي من الثمن
يرى العطايا التي تبقى محامدها ————— غنا اذا عدها المعطي من الف ————
بنى لشيبان مجدا لازوال ————— حتى يزول ذرى الاركان من حضن ————

ومازال مروان بن ابي حفصة يوالي مديحه لمعن حتى توفي عام ١٥٢هـ قتله قوم من الخوارج، ثم تتبع قتلة ابن أخيه يزيد بن مزيد - الاتي ذكره - فقتلهم عن اخرهم^(١٥٧).

وحاربت بكر بن وائل ابا مسلم الخراساني داعية العباسيين ايام ابي جعفر المنصور^(١٥٨) ونراها تنضم الى محمد ذي النفس الزكية، مع من انضم اليه من القبائل حين قام بثورته ضد ابي جعفر المنصور، وكما مر سابقا، كانت بكر بن وائل في البصرة تشكل قسما من اقسامها القبلية الخمسية وكانت معروفة بولائها للقضية العلوية، وظهرت عندهم حركة ابراهيم الحسني الذي اعلن ثورته بعد شهرين تقريبا من ثورة أخيه محمد النفس الزكية، الذي اعلنها سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢ على الخليفة ابي جعفر المنصور، وكان معه عشرون رجلا من

(١٥٤) الراوندية، جماعة من اهل خراسان (الطبري: ٥٠٥/٧-٥٠٦).

(١٥٥) ابن خلكان: ٢٤٤/٥-٢٤٧.

(١٥٦) المصدر السابق .

(١٥٧) المصدر السابق ص ٢٤٩، وقيل كانت وفاته سنة ١٥١هـ أو ١٥٢هـ أو ١٥٨هـ.

(١٥٨) فاروق عمر فوزي: العباسيون الاوائل ، ١٩٦/١.

اتباعه، الا انه سرعان ما انضم اليه عدد من الشيوخ مع قبائلهم حتى بلغ عدد اتباعه ٤ الاف من العرب البصريين. (١٥٩)

وفي مستهل سنة ١٦٠ هـ حدثت ثورة عارمة في خراسان اندلعت على أيدي الخوارج من فرقة (الحرورية) بقيادة رجل من مولى تقيف في مدينة (بخارى) يدعى يوسف بن ابراهيم ويلقب يوسف البرم، وكان من اشد الخوارج قسوة وسفكا للدماء، واجتمع اليه جمع من الناس، وافتى بتكفير المهدي، وامر بخلعه ومناهضة سلطانه، وكانت حركته الأولى من نوعها في خلافة المهدي، فارسل اليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني، (١٦٠) فلقية واسره، وبعث به الى المهدي، مع وجوه اصحابه وبقي يزيد بن مزيد في خراسان ليعيد الامن والاستقرار في ربوعها، وسار الحرس بالاسرى ومعهم يوسف البرم حتى بلغوا النهروان، فحمل يوسف البرم على بعير وقد حول وجهه إلى ذنب البعير واصحابه على بعير وادخلوه على المهدي فامر بضرب عنقه. (١٦١)

وماكاد الخليفة المهدي يصدر امره لغزو بلاد الروم - وكانت الحملة بقيادة هارون ومعه الوزير الربيع بن يونس - حتى كانت وفود يزيد بن مزيد، تتوارد اليه من بكر وتغلب من انحاء العراق، ومن كل مكان، ثم امر المهدي بدفع مبلغ كبير من المال كنفقات للحملة التي كان عدد رجالها ٩٣.٠٩٥ الف وقتل في هذه الوقائع من الروم ٥٤ الفا، وعاد الامير هارون بحاشيته الى بغداد ومعه السبي والغنائم ووفد حكومة الروم يحمل الفداء والحزبة والهدايا، ثم اقبل يزيد بن مزيد على رأس عسكره إلى بغداد، وكان ذلك سنة ١٦٦ هـ. (١٦٢)

اما الدور الكبير الذي قام به يزيد بن مزيد في خلافة الرشيد، فقد خرج الوليد بن طريف الشاري (١٦٣) بقوات كبيرة في ديار ربيعة ومضر، وبدأ ثورته عام ١٧٨ هـ فاحتل مدينة

(١٥٩) المصدر السابق ٢١٠/١

(١٦٠) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن اخي معن بن زائدة الشيباني المقدم نسبه حين الكلام عن معن بن زائدة، ويزيد من الامراء المشهورين والشجعان المعروفين وكان واليا بارمينية فعزله عنها الرشيد سنة ١٧٢ م ولا، اياها وضم اليها اذربيجان سنة ١٨٣ هـ (ابن خلكان: ٣٢٧/٦). وانظر غره العرب، يزيد بن مزيد الشيباني، للدكتور عبد الجبار الجومرد فقد كتب مفصل عن حياة يزيد.

(١٦١) الطبري: ١٢٤/٨

(١٦٢) المصدر السابق.

(١٦٣) هو الوليد بن طريف بن الصلت بن عمرو بن فدوكس بن عمرو بن مالك الشيباني، حد الشجعان الطغاة الابطال، كان راس الخوارج، كان مقيا بنصيبين والخابور (ابن خلكان ٣١/٦)

نصيبين وقتل عاملها (ابراهيم بن حزيمة) وجعلها مقرا له ثم اندفع نحو الشام فاخضع ارمينية، وانحدر بعد ذلك الى الموصل فاحتلها وقتل عاملها، والحق بجيشه من كان من الخوارج فيها وجلهم من ربيعة، ووصل الى الرقة، وكان عليه القائد العباسي المعروف عبد الملك بن صالح^(١٦٤)، ومازال ينحدر حتى بلغ مدينة بلد ففتحت ابوابها له، وخرج يريد بغداد^(١٦٥).

فلم يتحمل الرشيد الوضع الذي وصلت اليه البلاد وماهدد ملكه فقال كلمته المعروفة: لم يبق لهؤلاء الخوارج، (غير الاعرابي) يعني به يزيد بن مزيد^(١٦٦) وعارض البرامكة هذا الاختبار بحجة ان بين يزيد والوليد بن طريف قرابة كلاهما من وائل، ووائل من ربيعة، وربيعه معروفة بعصبيتها الفبلية، يخشى ان يحدث تضامن واتفاق بين الطرفين، فتكون لها قوة لا يستطيع دفعها، ولكن الرشيد اصر على رأيه في ارسال يزيد بن مزيد لقتال الوليد بن طريف، وقال له حين دخل عليه: (قم على بركة الله، وخذ هذا السيف - ذو الفقار - واستعمله في حربك، فانك منتصر به ان شاء الله)^(١٦٧).

وكان يزيد يراوغ والوليد يتبعه حتى لقيه فوق هيت عام ١٧٩ هـ فقتله وجماعة كانت معه، وتفرق الباقيون فقال الشاعر^(١٦٨):

وائل بعضها يقتل بعضها لا يفـل الحديد الا الحديد

وقيل شعرا آخر:

لا ترسلن الى ربيعة غيرهم لا ترسلن الى ربيعة غيره لا يفـل الحديد

(١٦٤) الطبري: ٢٠٢/٨

(١٦٥) الاصفهاني: الاغانى، ٨/١١، وابن خلكان: ٣٢٧/٦

(١٦٦) المصدران السابقان، وسيف ذو الفقار، من سيف السى (صلى الله عليه وسلم) اما كيف وصل الى يد الرشيد فاطرا من خلكان، ٣٣٠/٦

(١٦٧) الطبري: ٢٦١/٨، وقيل الشعر ليكر بن النطاح العلبي (ابن خلكان، ٣٢٨/٦) وبسببه البعض الى ليل بنت طريف أخت الوليد. الجومرد، ١٨٨

(١٦٨) المصدر السابق

وقالت الفارعة حين قتل اخوها الوليد،^(١٦٩).

ايا شجر الحياور مالك موركـــــــسا كانك لم تجزع على ابن طريـــــــف
فتى لا يحب الزاد الامن التقـــــــى ولا المال الامن قنا وسيـــــــوف

وكانت الفارعة في جيش اخيها على فرسها وعليها الدرع ترجز وتنشد.^(١٧٠) وقد جرح في هذه المعركة اسد بن يزيد بن مزيد، وكان في حاشية ابيه وهو شاب، فقد اشتهر من اولاد يزيد ثلاثة، هم اسد ومحمد وخالد.^(١٧١)

وكان اسد على مقدمة جيش ابيه في حربه ضد خاقان الخزر فابلى بلاء حسنا، وكان الرشيد قد اختاره خلفا لأبيه في ولايته على (أرمينية واذربجان) وحين خرج الرشيد على رأس جيش كبير لاحتداد ثورة رافع بن الليث في خراسان كان اسد في صحبته واحد القادة المنضوين إلى تلك الحملة، وحين توفي الرشيد عاد اسد بن يزيد بكتائبه مع من عاد إلى العراق.^(١٧٢)

اما محمد بن يزيد فكان عند وفاة ابيه شابا فالحقه الرشيد في مجموعة قواده الناشئين ولحقه سنة ١٩٠هـ بحملته على صاحب القسطنطينية (نقفور) فكان اول من لبس ثياب النفاطين، وخاض النار التي اشعلها الروم، ثم تبعه الناس فكان النصر لجيش الرشيد.^(١٧٣)

وغزا خالد بن يزيد بلاد الروم، وكان والي أرمينية في عهد ملكها (يتوفيل بن ميخائيل) فهزم جيوشه ومدحه عدد من الشعراء منهم ابو تمام حيث قال:^(١٧٤)

ولما رأى توفيل راياتك الـــــــتي اذا ما اتلايت لا يقاومها الصـــــــلب
تولى ولم يال التردى في اتباـــــــعه كان الردى في قصده هائم صـــــــب

(١٦٩) المصدر السابق

(١٧٠) ابن حن: جهره انساب العرب ٢٨٩

(١٧١) الجومرد: ٢٦٧-٢٦٨

(١٧٢) المصدر السابق

(١٧٣) الاغانى : ٤٥/١٧

(١٧٤) ضيف: العصر العباسي الاول، ٢٧١



ويقول ابوقام مادحا خالدا ومشيدا بانتصار قومه في يوم ذي قار على الفرس: (١٧٥)

لهم يوم ذى قار مضى وهو مفــــرد وحيد من الاشياء له صــــب
به علمت صهب الاعاجم انــــه به أعربت عن ذات انفسها العرب
هو المشهد الفصل الذي مانجابــــه لكسرى بن كسرى لاسنام وصلــــب

وكان هؤلاء الفتيه الثلاثة، اولاد يزيد بن يزيد في البلاط العباسي دعامة القومية وسندها الاكبر امام شعوبية الفرس والترك في عهدي المأمون والمعتصم، حتى الواثق، وكما قال الدكتور الجومرد في كتابه، يزيد بن يزيد بن يزيد (١٧٦)، بموت خالد بن يزيد انتهى فصل رائع من تاريخ العرب ادت فيه قبيلة شيبان اخطر ادواره، في عصرين كاملين وخطت سيوفها الاسطر الأولى والاخيرة منه، فلم تكد تنتهى حرب ذي قار في جاهليتها حتى كان المشى بن حارثة اول سيف عربي يمتشق خارج الجزيرة للفتح الاسلامي

وكان خالد بن يزيد آخر سيوفها في الاحداث الجسام، وكان أبوه يزيد احدى الحلقات الرئيسية في سلسلة ذلك التاريخ .

وفي سنة ٢٠٧هـ قام بنو شيبان انفسهم (بخلق الفوضى والاضطرابات في الجزيرة، فامر المأمون. والى الموصل بمحاربتهم ومن معهم (١٧٧).

وكان العباسيون قد اسسوا القواعد العسكرية في الجزيرة من اجل التصدي والقضاء على أي خطر يحدث مستقبلا، ولكن الجزيرة ظلت معقلا وماوى للخوارج الثائرين ضد الدولة العباسية ما بين سنة ٢٤٧ هـ - ٣٣٤ هـ، اما تاريخ بكر بن وائل بعد ذلك فمتصل بتاريخ الجزيرة، وخاصة ديار بكر. (١٧٨).

(١٧٥) المصدر السابق، ٢٧٧

(١٧٦) الجومرد: ٢٧٩

(١٧٧) هاروق عمر: الفوضى العسكرية، ١٤٠هـ ١٤٢

(١٧٨) المصدر السابق .

وقد استجابت بكر بن وائل لنداء الخلافة عند دعوتها لها إلى الجهاد للتطوع في جيشها لرد المغول وتجلى ذلك في السنوات ٦٣٤ - ٦٤٢هـ، واعتبروا التصدى للمغول واجبا دينيا بالاضافة الى ضرورته السياسية.



المصادر والمراجع

- ابن الاثير: (٦٣٠هـ) عز الدين على بن ابن مكرم محمد
- ١ - (الكامل فى التاريخ) بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
- ٢ - (اسد الغابة فى معرفة الصحابة) القاهرة بلا
- ابن اعثم الكوفى: (٣١٤هـ - ٩٢٦م) ابو محمد ابن اعثم الكوفى
- (كتاب الفتوح) الركن ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م
- ابن حبيب: (٢٤٥هـ) محمد بن حبيب المحبر
- مختلف القبائل ومؤلفها ١٨٥٠م Gottingen
- بان حزم: (٤٥٦هـ ١٠٦٣م)، على بن سعيد الاندلسى
- (جمهرة انساب العرب) مصر ١٩٤٨م
- ابن حجر العسقلانى: (٨٥٢هـ ١٤٤٨م) احمد بن على
- (تبصير المنتبة بتحرير المشتبه) القاهرة ١٩٦٧م
- ابن خلدون: (٨٠٨هـ) عبدالرحمن بن محمد
- (المقدمة) المجلد الثانى، بيروت ١٩٧٧م
- ابن دريد: (٢٢٣هـ ٣٢١هـ) محمد بن الحسن بن دريد
- (الاستقاق)، القاهرة ١٣٧٨ - ١٩٥٨م
- ابن سعد: (٢٣٠هـ ٨٤٤م) محمد بن سعد بن منيع البصرى
- (الطبقات الكبرى)، بيروت ١٣٨٠ - ١٩٦٠م
- ابن عبد البر: (٤٦٣هـ - ١٠٧١م) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر
- (الاستيعاب فى معرفة الاصحاب) القاهرة ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م
- ابن عذرة به: (٣٢٨هـ ٩٣٩م) احمد بن محمد بن عذرة به
- (العقد الفريد) شرحه وضبطه، احمد امين، احمد الزين ابراهيم الانباري

- ابن عساكر: (٥٧١هـ) على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسن بن عساكر
(تهذيب بتاريخ ابن عساكر)، الشام ١٣٢٩هـ
- ابن الفقيه: (٢٦٥هـ - ٩٧٥م) احمد بن محمد الحمدانى
(مختصر كتاب البلدان) طبعة ليدن ١٣٠٢م
- ابن قتيبة الدينورى: (٢٧٦هـ) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
(المعارف) الطبعة الأولى، المطبعة الاسلامية، مصر ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م
- ابن كثير: (٧٠١هـ - ٧٧٤م) ابو الفداء اسماعيل
(السيرة النبوية)، القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م
(٢٠٤هـ - ١٨١٩م)
- ابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب
(كتاب الاصنام)، القاهرة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م
- ابن هشام: (٢١٨هـ - محمد بن عبد الملك بن هشام
(سيرة النبي) ١٣٥٦ - ١٩٣٧م، القاهرة
ابو شهبه : محمد محمد
- (السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة) القاهرة ١٩٧٣م
- ابو عبيدة: (١١٢هـ) عماد الدين اسماعيل
(المختصر في اخبار البشر) مصر
- ابو الفضل: محمد ابراهيم على محمد البجاوى
(ايام العرب في الاسلام)، القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
- ابو يوسف : (١٨٢هـ - ٧٩٨م) يعقوب بن ابراهيم
(كتاب الخراج)، القاهرة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م
- الاشعرى: (٣٢٤هـ) على بن اسماعيل
(مقالات الاسلاميين، واختلاف المصلين) نرانزشتايز بقبسبادن، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م
- الاصفهانى : (٣٥٢هـ - ٩٦٧م) ابو فرج على بن الحسن
(الاغانى) ، بيروت ١٩٥٩م



الاعظم: عواد عبدالمجيد

(الامير مسلمة بن عبدالمملك) بغداد، ١٩٨٠م

الالوسى: محمود شكرى

(بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) مصر ١٣٤٢هـ

الايوبى: ياسين

(معجم الشعراء في لسان العرب) الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٠م

اسماعيل: محمود

(قضايا في التاريخ الاسلامى) ، بيروت ١٩٧٤م

بكارىوس : للعلم اسكندر بكارىوس الارمنى

(نهاية الارب في اخبار العرب)، مرسلينا ١٨٥٢م

البكرى: (٤٨٧هـ - ١٠٩٤م) عبدالله بن عبدالعزيز الاندلسى

(معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع) القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م

البلاذرى: (٢٧٩هـ) احمد بن يحيى بن جابر

١ - (فتوح البلدان) القاهرة ١٩٥٩م

٢ - انساب الاشراف، القدس ١٩٣٦م

البغدادى : (٤٢٩هـ - ١٠٣٧م) عبدالقاهر بن الطاهر البغدادى

(الفرق بين الفرق، وبيان الفرق الناجية منهم) ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

البغدادى: (٧٣٩هـ - ١٣٣٨م) صفى الدين بن عبدالمؤمن بن عبدالحق

(مراسد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع) الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٣هـ -

(١٩٥٤م)

البغدادى: (١٠٩٣م) عبدالقادر عمر

(خزانة الادب ولب لباب لسان العرب) القاهرة ط ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م

بلات : شارل

(المحافظ في البصرة وبغداد وسامراء) ترجمة ابراهيم الكيلانى دمشق ١٩٦١م

التبريزى: (٥٠٢هـ - ١١٠٨م) زكريا يحيى بن على

(شرح ديوان الحماسة)، القاهرة ١٣٢٣هـ

حتى : فيليب

(تاريخ العرب) بيروت ١٩٧٤م

حسن: ابراهيم حسن

(تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) الطبعة السادسة، القاهرة

١٩٦١م

حسن : على ابراهيم

(التاريخ الاسلامي العام الجاهلية والدولة العربية، والدولة العباسية) القاهرة ١٩٧٢م

جسن : ناجي

(القبائل العربية في المشرق) بيروت ١٩٨٠م

حمادي: محمد جاسم

(الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والاداري)، بغداد ١٩٧٧م

الحضري: محمد

(تاريخ الامم الاسلامية)

الخوارزمي : ٣٨٧هـ - ٩٩٧م) محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي

(مفاتيح العلوم) مصر ١٣٤٢هـ

خليفه: (٢٤٠هـ - ٨٥٤م) ابن خياط

(تاريخ خليفة بن خياط) الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

جاد المولى: محمد احمد، وآخرون غيره في

(ايم العرب في الجاهلية) الطبعة الأولى ، مصر ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م)

الجومرد: عبد الجبار

(غرة العرب، يزيد بن يزيد الشيباني) الطبعة الأولى - بيروت ١٩٦١م

دائرة المعارف الاسلامية: مادة بكر بن وائل

دروزة محمد عزة

(تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار) الطبعة الأولى ،

بيروت - صيدا ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م

الدبنورى: (٢٨٢هـ - ٨٩٥م) احمد بن داود

(الاخبار الاطوال) الطبعة الأولى، ليدن ١٨٨٨م

ديوان الاعشى: شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت ١٩٧٤م

ديوان طرفة بن العبد: تحقيق وشرح كرم البستاني، بيروت ١٩٥٣م

ديوان عدى بن زيد العبادى: حققه محمد جبار المعيد، بغداد ١٩٦٥م

الذهبي: (٧٤٨ هـ - ١٣٤٩م) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قياذ

(تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الاعلام) القاهرة ١٣٦٩هـ

الزبيدي: (١٢٠٥ هـ - ١٧٩٠م) محب الدين محمد مرتضى الصنى الواسطى الزبيدي الحنفى

(تاج العروس فى جواهر القاموس) بنغازى بلا

السمعاني: (٥٦٢هـ - ١١٦٦م) عبدالكريم بن منصور التميمى السمعاني

(الانساب)، الطبعة الأولى، حيد راباد الدكن - الهند، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م

سروز: محمد جمال الدين (الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول

والثانى بعد الهجرة) الطبعة الخامسة، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

سورة الانعام: آية ١٥١

السويدي: محمد امين البغدادى، الشهير بالسويدي

(سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب)، النجف ١٣٤٥هـ

السيوطى: (٩١١هـ - ١٥٠٥م) جلال الدين عبدالرحمن

(تاريخ الخلفاء)، الطبعة الرابعة القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

سيدىو: ل.أ.

النسابشتى: (٣٨٨هـ - ٩٩٨م) على بن محمد

(الديارات الطبعة الثانية، بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

الشمئترى: (٤٧٦هـ) يوسف بن سليمان بن عيسى

(ديوان طرفة بن العبد) تحقيق دريد الخطيب ولطفى الصقال، دمشق ١٣٩٥هـ -

١٩٧٥م

شيخو: لويس شيخو اليسوعى

الطبري: (٣١٠ هـ ته ططام) محمد بن جرير بن زيد بن خالد

(تاريخ الرسل والملوك) الطبعة الثانية، مصر ١٩٧١م

العبيدي: خضير نعمان

(البحرين من امارات الخليج العربي) بغداد ١٩٦٩

العدوي: ابراهيم احمد

(التاريخ الاسلامي، افاقه السياسية وابعاده الحضارية) القاهرة ١٩٧٦م

العظم: رفيق

(اشهر مناهير الاسلام في الحرب والسياسة)، الطبعة الخامسة ، مصر ١٣٦٠هـ -

١٩٤١

العقاد : عباس محمود

(عبقريه خالد) القاهرة ١٩٧١م

على جواد

(المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) الطبعة الاولى، بيروت ١٩٧٠م

عمر فوزي: فاروق

١ - (العباسيون الأوائل، بيروت ١٩٧٠م)

٢ - (الفوضى العسكرية) بغداد ١٩٧٤م

فلهوزن : يوليوس

(الخوارج والشيعة) ترجمة عبدالرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٨م

القرماني: (١٠١٩هـ - ١٦١٠م) احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي

(اخبار الدول واثار الاول في التاريخ) بغداد ١٢٨٢هـ

القيرواني: (٤٥٣هـ) ابراهيم بن علي الحصري

(زهر الاداب وثمر الالباب) ، بيروت ١٩٧٢م

كحالة : عمر

١ اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام) الطبعة الثانية، دمشق ١٣٧٨هـ -

١٩٥٩م

٢ - (معجم قبائل العرب) القديمة والحديثة، بيروت ١٩٦٨م

الكرمل: انستاس ماري

(لغة العرب) مجلة ادبية علمية، بغداد ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

المسعودي: ٣٤٦هـ - ٩٥٧م) علي بن الحسين بن علي

(مروج الذهب ومعادن الجوهر) الطبعة الأولى بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م

المقدسي: (٣٨٠هـ - ٩٩٠م) شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر البناء

(احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) الطبعة الثانية ليدن ، ١٩٠٦

النجم: عبدالرحمن

(البحرين في صدر الاسلام) رسالة ماجستير، على الالة الكاتبة، ١٩٧١م

نتنج: انتوني

(العرب انتصاراهم، واجباد الاسلام)، القاهرة ١٩٧٤م

المزداني: (٣٣٤هـ - ١٩٤٥م) ابو الحسن محمد اليهن بن الحائر

(صفة جزيرة العرب) القاهرة ١٩٥٣م

ياقوت: (٦٢٦هـ - ١٢٨١م) شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي

البغدادي (معجم البلدان) لبيزك ١٨٦٦م وطبعة اخرى بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م

القرآن: (الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية) ، النجف - ١٣٩٠ - ١٩٧٠م



السُّعُوتِيَّةُ عِرْكَ مَضَادَّةٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف

د/ عبدالله سلوم السامرائي

عرض

د/ ناجية عبدالله ابراهيم



في كل يوم بتأكد موقف العراق شموخا واعتزازا ونفه، وهو موقف بلا ريب يمثل امتدادا لمواقف الامس التي رفع منارها الاجداد مشاعل الهداية والنور في سبيل تحرير انفسهم وتحرير العالم وانقاذه من الجهل والوثنية والشرك.

لقد سطر العرب المسلمون باحرف من نور ملاحم الفداء والبطولة في الابله والبويب والقادسيه ، وجلولاء ، وهاوند. وكان شعارهم يومئذ هداية الناس للايمان بالله واحد «عقيدة التوحيد» والتخلص من انظمة الحكم الفاسدة التي كانت تخيم على العالم آنذاك.

لقد حرر المسلمون الاوائل انفسهم فكانوا نموذجا لتحرير الآخرين من نير العبودية والظلم. وقد بذلوا دماءهم سخية لكي تملو رايه «لا اله الا الله، محمد رسول الله» مؤكداً في ذلك ان تحرير البشرية واجتثاث ما كانت تعانيه من امراض واهوال، هو غايتهم المنشودة.

وفعلا استطاعت جيوش الحق الزاحفة ان تهدي شعوب العالم فأضاءت شموع المعرفة وفناديل الخير الى كاسفر في افصى الشرق الاسيوي وإلى جنوب فرنسا في اقصى الغرب الاوربي.

كان المسلمون يفتحون كتاب الله وقلوبهم عامرة بالمحبة لاستقبال الناس فدخل الكنبرون منهم بقلوب مؤمنة، وكانوا مائه الدولة العربية الاسلامية التي تفجرت عن حضارة عظيمة لا زالت أنارها ناطقة حتى اليوم.

ولكن من بين الرماد ومن تحت انقاض الثوية ونزعات الاستعلاء والاعتداء والتوسع ظلت عناصر ترى في الدولة العربية الاسلامية ، والدين الاسلامي القوة التي ذهبت بعروشها واستغلاها وطفغيانها وسيطرتها، فحققت على الاسلام والامة العربية وراحت تفتش عن وسائل تنتقم فيها من هذه القوة، فوجدت ان خير طريقة تواجه بها تلك القوة هي الدخول في الاسلام والعمل تحت رايته والمباشرة بهدمه من الداخل بصورة تدريجية.

لقد تحركت هذه القوى المعادية في اطار الاسلام وعملت عبر مبادئه ومن خلال طقوسه فكانت حركتهم خطره وكان عملهم في اطار حركة الغلو، عملا خطيرا، حيث تشبنوا بالاسلام وعملوا بمبادئه وحاولوا دفع بعض المبادئ عن مواقعها وبعض الشخصيات عن حدودها

وتحميل المبادئ، والاشخاص فوق طاقتهم لكى يسقطوا بذلك تلك المبادئ والاشخاص باعتبارها مواقع واسس مركزية فى الديانة الاسلامية.

ولم يكتف هؤلاء بالغلو وسيلة للحرب، انما ذهبوا اكثر من ذلك ليشنوا معركة عنيفة على الاسلام ومبادئه تحت غطاء حركة اخرى هى الزندقة وحينما وجدوا الفرصة سانحة اخذوا يكيلون التهم وينسبون النواقص الى الامة العربية وتاريخها وراحوا يفتشون عن قضية قديمة أو حديثة فيها مجال للحط من شأن العرب والحق الاذى بهم فابتدأوا يهولون فيها اشباعا لاحقادهم وعدوانهم.

تلك كانت معركة عنيفة كما ذكرت ابتدأت من قبل اقولم جاء الاسلام لهدايتهم وتولى العرب المسلمون حمل هذه المسؤولية بامانة الا ان اولئك وجدوا فى الدين الجديد والدولة الجديدة قيا ومثلا تتناسب واطماعهم ومصالحهم فكانوا مادة اساسية لشن عدوان كبير على الدولة العربية والامة العربية.

لقد بقيت بعض الفئات والاتجاهات تحمل فى طياتها حقدا وعدوانا على الامة العربية ورسالتها الانسانية، مما يؤكد ان تلك الفئات لم تؤمن اصلا بالاسلام ولم تنضو تحت رايته، وانما بقيت متمسكة بمبادئ التنويه وافكار الاستعلاء والاستغلال والتوسع، وظلت تحن الى امجادها الغابرة القائمة اصلا على العدوان والتوسع وللأسف فان صراعا ظل يحدث ما بين الاسلام ومبادئه السمحاء وبين اولئك الذين بقوا على تنويتهم وافكارهم الاستعلائية التوسعية.

وكتاب «الشعوبية: حركة مضادة للاسلام والامة العربية» الذى وضعه الدكتور عبدالله سلوم السامرائى، يلقي اضواء كثيرة ويكشف حقائق كبيرة عن حقيقة الشعوبية الفارسية ودورها التخريبى ضد الامة العربية لا سيما فى عصورها الاسلامية الاولى.

صدر الكتاب عن دار الرشيد للنشر، وزارة الاعلام، بغداد ١٩٨٠ وهو يقع فى (٢١٢) صفحة ويتألف من مقدمة واربع فصول يغلب عليها التناسق والترتيب.

فى المقدمة يستعرض المؤلف هدف الدراسة للشعوبية كونها حركة مناهضة للامة العربية بدأت اثر ظهور الاسلام وقيام دولته العربية.

ملفتا النظر الى أن المقاومة التي اصطدمت بها الدول العربية حين تولت نشر الاسلام والسعى لهداية الناس في الأقاليم المجاورة، كانت على أشدها في البلاد الايرانية.

وكان لهذا التصادم آثاره البعيدة في تاريخ العرب قثلت في جوانب عدة من حياتهم، حيث عملت الشعوبية على تشويه آثار العرب وتاريخهم ودينهم، وكانت بالتالي وراء معظم الاحداث التي واجهت الامة العربية وعملت على محاربتها.

ان المؤلف وهو يعالج هذا الموضوع بروح موضوعية عالية، لا تنشد غير الحقيقة العلمية، يطالعنا في الفصل الاول من كتابه الذي يتناول فيه اسباب قيام الحركة الشعوبية، ان ظهور هذه الحركة يرجع الى عاملين اساسيين هما :

- ١ - الاول الكيان الايراني الذي يبعث في شعوبه روح التحدى في وجه القوى المناوئة له.
- ٢ - اما العامل الثاني فهو ظهور الاسلام الذي تسبب في قيام الدولة العربية وأدى إلى ازدهار الحضارة العربية الاسلامية التي اصطدمت مع الحضارة الايرانية بصورة مباشرة فادى ذلك الاصطدام الى ازالة السلطان الايراني الذي كان يتمتع بسعة الملك وعلو اليد على جميع الامم، وجلالة الخطر في نفسه بحيث كان الايرانيون يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم. فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم.. تعاظم الأمر وتضاعفت المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى، ومن هنا يلخص المؤلف الى ان الشعوبية هي نتاج التصادم بين الحضارة الايرانية والحضارة العربية.

ولما كانت الشعوبية تمثل التحدى في أجلى مظاهره، فان المؤلف هنا يميز بين نوعين من عوامل هذا التحدى، نوعا يثير وعيا وآخر يثير حقدا وكرهية وعلى هذا فالشعوبية هي مجموع لهذه المواقف التي تقوم على العداء والتحدى والتي كان يثيرها الوعي حينما فترها منظمة تسلك سبيلا مدروسا. فهي على حد تعبير أحد الشعوبيين «نرفض في الظاهر ما بيننا من العداوة، ونظهر موافقتهم ومساعدتهم وندخل في دين محمد، ونؤمن به، ثم نفسد عليهم دينهم بلطيف الخيل، وندرك منهم ما لم يكن ادراكه بالقهر والغلبة».

وهناك مواقف اخرى يثيرها الحقد والكراهية فتراها مواقف منفعة متعصبة غير منظمة تكيل التهم جزافا «وتدفع العرب عن كل فضيلة ، وتلحق بهم كل رذيلة، وتغلو في القول ، وتسرف في الذم، وتبتهت في الكفر، وتكاير العيان».

. وفي الفصل الثانى من الكتاب يتناول المؤلف دراسة مظاهر الحركة الشعبية وفيه يتضح ان المقاومة ضد العرب عملت في مجالين: أحدهما لمواجهة الاسلام حيث استهدفت محاربته وتشويه مبادئه بكل الصيغ والاساليب. وقد تمثلت هذه المقاومة في حركتين كبيرتين هما حركة «الغلو»^(١) وحركة «الزندقة»^(٢) وقد اطلق المؤلف عليها اسم «الشعوبية الدينية» لا ستغلاها آيات القرآن الكريم، ووضع آرائها ومعتقداتها الثنوية «هى الديانة المشتركة لجميع الديانات الايرانية.. الزرادشتية والمناوية والمزدكية، وغيرها التى تؤمن بالهين، احدها للخير والآخر للشر». على اساس تأويل تلك الآيات تأويلا يتفق وميولها السياسية ومعتقداتها الدينية.

ومن المفيد أن نقتبس هنا بعض ما اوردته المؤلف من آراء هذه الفرق لكى نوضح نواياها العدوانية ازاء الاسلام وقيمه العليا.

فقد ادعى ابوشاكر الديصانى مثلا ان فى القرآن الكريم آية هى قوله تعالى:

«وهو الذى فى السماء اله، وفى الارض اله» ليبرر قوله فى وجود الهين فى حين انه ليس هناك ثمة علاقة بين عقيدة الثنوية وهذه الآية ذلك ان الله ربنا هو فى السماء اله، وفى الارض اله، وفى البحار اله، وفى القفار اله، وفى كل مكان اله.

(١) ظهرت هذه الحركة فى صدر الاسلام، والغلاة هم الذين غالوا فى حق أشخاص، حتى أخرجوا بهم إلى ما فوق الإنسانية.

(٢) أطلقت الزندقة على من بدل دينه الإسلامى بدين آخر، وعلى من طعن فى القرآن وأنكر بعض آياته وعلى من قال بالقدر وادعى الربوبية، كما أطلقت على من أنكر التوحيد وقال بوجود الهين. وأطلقت على المناوية والدهرية وعلى المجون والظراف كذلك، فهى إذن مظهر أساسى من مظاهر الشعوبية وهى تمثل أعلى مراحل التحدى الدينى والفكرى والاجماعى للإسلام، وكانت إلى الزرادشتية أقرب.

ولكى يبرر الغلاة فلوهم بالحللول والتناسخ ادعوا فى قوله تعالى «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي» تأكيد لفكرة الحللول والتناسخ ، وتبريرا لاحتلال روح الله فى الانبياء والائمة.

اما المقاومة النانية فقد استهدفت الطعن على العرب وتشويه حضارتهم وهدم سلطانهم وتفضيل الشعوب الاخرى عليهم. وقد اطلق المؤلف عليها اسم «الشعوبية العنصرية». وهنا يؤكد ان الشعوبية العنصرية ابتدأت دعوتها بالتستر بالاسلام لتبرير موقفها واخذت تردد الآية الكريمة «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم» واستغلتها لفترة طويلة ، وادعت ان لفظ الشعوبية مشتق من الشعوب (مفرده شعب) وهو اوسع من القبيلة، فاعتبرت القبائل للعرب والشعوب للعجم.

وفد خلص المؤلف من ذلك الى ان العنصرية هى سمة للتعصب للجنس على آخر واستطاع من خلال تفصيله للحقائق التاريخية ان يحدد سمة العنصرية فى هذه الحركة الشعوبية الفارسية عبر المواقف التالية: -

١ - مواقف الاشخاص :

وقد تناول المؤلف مواقفهم من خلال مؤلفاتهم واقوالهم واشعارهم، حيث اورد نماذج كثيرة لعدد من السعراء والكتاب الذين تعصبوا للعجم وقالوا الشعر فى الفخر بهم ، وذموا العرب ودفعوا عنهم كل فضيلة والحقوا بهم كل ذيلة ليحطوا من شأنهم امتثال الشاعر اسماعيل بن يسار، وابى عبيده معمر بن المننى، وعلان الوراق، وسهل بن هارون، والشاعر ابونواس، وآخرين غيرهم.

٢ - اشراف الفرس ومواقفهم الشعوبية

وفد اراد المؤلف باشراف الفرس الذين كانوا يمثلون دور القادة فى الحركة الشعوبية، والذين تأمروا على الدولة العربية وطمعوا فى الانتفاض علىها. وقد اورد اشارات عديدة تؤكد هذا الجانب منها رواية عن «الهرمزان» وهو القائد المجوسى الذى تأمر مع ابى لؤلؤة عبدالمغيرة بن شعبه لاغتيال الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ورواية عن القائد «زادويه» الذى

بأمر مع الخوارج لاغتيال الامام علي بن أبي طالب رضى الله عنه على يد المجرم عبدالرحمن بن ملجم.

وقد ادخل المؤلف في هذا الباب كل من تأمر على الدولة العربية وكان له موقعا كبيرا في الدولة، كالوزير أبي نسلعة الخلال الذي تأمر على الدولة العباسية من خلال ابقاعه الفتنة بين العلويين والعباسيين وكذلك تأمر ابو مسلم الخراساني على الدولة العباسية ابان عهد الخليفة المنصور لاجل اعادة الملك الى الفرس، ثم دور البرامكة في ايقاع الفتنة بين الهادي والرسيدي ودور بني سهل وخاصة الفضل منهم حين اشعل نار الفتنة بين الاخوين الامين والمأمون.

٣ - العامة

واراد بهم المؤلف «الموالى» وهم المسلمون من غير العرب. وكانوا مادة خصبة لتحقيق اهداف الحركة الشعوبية وقد برز نشاطهم من خلال الحركات التي انشروا فيها والتي قامت في وجه الدولة العربية واستهدفت القضاء عليها. ومن ذلك اشتراكهم في الفتن التي راح ضحيتها الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) والخليفة علي بن ابي طالب (رضى الله عنه) وكذلك اشتراكهم في حركة المختار بن ابي عبيدة الثقفي حيث انخرط في جيش ابراهيم بن الاشر الذي اعده المختار لمقاتلة الامويين (٢٠) ألف رجل كان جلهم من ابناء الفرس بالكوفة.

ومما يسترعى الانتباه ان بعض اولئك الموالى كان يحمدون على العرب وفد عبروا عن سخطهم على لسان قائدهم كيسان . وقد استمر نشاطهم فيما بعد وكانوا كذلك مادة خصبة لحركة الدعوة العباسية.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن المؤلف انتبه الى نشاط الشعوبية وما افترضه من فرضيات موهومة لكى تبرر هجومها على العرب، والخط من مكائنتهم. فمن ذلك ادعاؤها «ان الفرس من ولد اسحق بن ابراهيم (عليه السلام) والعرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم وان اسحق بن سارة الحرة، واسماعيل ابن هاجر الامة، فهم أفضل من العرب لأنهم الأحرار، وأما العرب فبنوا اللخناء.

ان هذا ان دل على شيء، فأنما يدل على عنصريتها البغيضة، وانها فعلا حركة تقوم على اساس عنصرى يدفعها الحسد والحقد.

اما الفصل الثالث من الكتاب فيعالج المؤلف فيه اساليب الحركة الشعبية واهدافها. وقد اهتمت من خلال معالجته تلك الى ان الشعبية الدينية كانت حركة منظمة لها اساليبها الخاصة في العمل وتنظيماتها المحكمة في اعداد الدعاة والاتصال بالناس. وقد تجلت تلك التنظيمات في التعليقات التي كانت تصدرها لدعاتها ولا بأس من الاشارة هنا الى الشروط التي كانت تقررها الشعبية في الداعى لدعوتها لكى يكون سبيلا لتحقيق مآربها العدوانية وهي «ان يكون عارفا بالوجوه التي تدعى لها الاصناف، فليست دعوة الاصناف من وجه واحد بل كل صنف من الناس وجه يدعى منه».

وهنا يشير المؤلف الى ان الفرق الغالية وجدت في التظاهر بالاسلام ستارا لنشاطها فوضعت آراءها ومبادئها على اساس من الدين، وفسروا آيات من القرآن الكريم تفسيراً يتناسب واهدافهم ومعتقداتهم. فكان مبدأ الحلول والتناسخ تأويلاً لقوله تعالى: «ونفخنا فيه من روحنا» فقالوا ان عيسى روح القدس، وان روح القدس هو الله. وعلى هذا الاساس اعلن عبدالله بن سبأ «ان علياً اله الخلق». مما دفع بالامام علي (رضى الله عنه) الى حرقه كما وجدت تلك الفرق في الالتفاف حول آل البيت ستارا كثيفا لحركتها لذلك اتخذت احد افراد آل البيت وجعلته محورا لنشاطها وغلوها. وقد كشف الغلاة اسباب التفاهم حول آل البيت، فقالوا «انا ان اظهرنا الذى نعتقد رمينا بالكفر والزندقة. وقد وجدنا اقواما ينتحلون حب علي (رضى الله عنه) ويظهرونه ثم يقعون بمن شاءوا ويعتقدون ما شاءوا ويقولون ما شاءوا فنسبوا بذلك الى الترفض فلم نر لمذهبنا امرا الطف من انتحال هذا الرجل ثم نقول ما شئنا ونقع بما شئنا. فلان يقال لنا رافضة احب اليها من ان يقال زنادقة كفار. وما علي عندنا احسن حالا من غيره ممن نقع بهم» ص ١٢٦.

اما الشعبية العنصرية فيذكر المؤلف انها لم تكن حركة منظمة تنظيما يحدد معالمها واساليبها ويوحدها في حركة واحدة لانها لم تكن قائمة على عقيدة معينة، ولا تستند الى اساس محدودة انما هي نزعة عداوية تتمثل في مواقف منفعة. الا ان هؤلاء الشعبيين العنصريين حينما

واجهوا مقاومة عنيفة من الجانب العربى عمدوا الى اتباع اساليب مختلفة لستمر مواقفهم المعادية.

ومن اجل تحقيق اهدافهم كانوا يرفعون شعار المساواة كلها وجدوا حاجة الى ذلك وكانوا يستغلون الآية الكريمة (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل...) التى أشرنا اليها سابقا لدعم شعارهم .

وقد وجد الشعوبيون العنصريون فى التظاهر بالولاء القبلى والسياسى حماية لهم ووسيلة للتهجم على العرب وحضارتهم . وخير من يمثل هذا الولاء المصطنع الشاعر اسماعيل بن يسار الذى كان ولاؤه القبلى الى قبيلة تيم بن مرة . أما ولاؤه السياسى فكان ينتقل من حزب الى آخر. فهو تارة ينضم الى آل الزبير وتارة أخرى إلى عبد الملك بن مروان وولده. ناهيك عن اساليبهم الاخرى التى اعتمدها فى دعم رجال الفكر والادب والشعر لاستقطابهم بشتى الوسائل فى حركة الترجمة والبحث فى منال العرب والظعن بهم والتفاخر بالفرس وهنا لابد من الاشارة الى ان متابعة المؤلف الدقيقة لنشاط الحركة الشيعية أوقفته على اهدافها التى كانت تتركز فى ثلاث نقاط اساسية هى:-

- ١ - تشويه مبادئ الاسلام وهدمها من الداخل بكل الاساليب.
- ٢ - محاربة الامة العربية والعمل على ازالة سلطانها وتسيو الحضارة العربية.
- ٣ - احياء الحضارة الايرانية واعادة السلطان الفارسى.

بعد ذلك يوضح المؤلف فى الفصل الاخير من كتابه موقف العرب من الشيعية متتبعا ذلك فى مواقف الدولة العربية منذ قيامها ايام الرسول محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) وحتى خلافة المعتصم بالله، حيث تنتهى فترة البحث المحددة.

وقد اتضح للمؤلف ان تلك المواقف كانت تسير فى خطين متوازيين ومتكاملين، مواقف كانت تعمل على تثبيت الكيان العربى وازدهار الحضارة العربية وتركيز مبادئ الاسلام. وقد تجسدت هذه المواقف فى الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) الذين عملوا بجهدهم على تثبيت المبادئ الاسلامية وتعبئة القوى لحمل الرسالة ونشرها وتحرير البلاد العربية من نير

الاستعمار الى جانب اهتمامهم الشديد بالحفاظ على مقومات الامة التى كانت «اللغة العربية» أبرزها، ولاسيما فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه). تم مواقف الخلفاء الذين جاءوا بعدهم.

وهناك اجراءات اخرى لمقاومة الشعوبية ورد هجومها، أشار اليها المؤلف، وقد قمت بتلخيص بمواجهة الامام علي (رضى الله عنه) لحركات الغلو والزندقة كحركة عبدالله بن سبأ. ثم جاءت حركة المختار فى زمن مصعب بن الزبير، وحركة عبدالرحمن بن الاشعث فى زمن عبدالملك بن مروان وغيرها. الا ان المؤلف هنا يلفت الانتباه الى ان اخطر الاجراءات التى اتخذتها الدولة العربية خلال العهد الاموى هو اعلان اللغة العربية، لغة رسمية فى جميع معاملات الدولة الاسلامية. وبذلك حلت اللغة العربية محل اللغة الفارسية فى العراق وخراسان كما حلت محل اللغة الرومية فى بلاد الشام، واللغة اليونانية والقبطية فى مصر وغيرها.

ثم استمرت المقاومة ازاء الشعوبية وحركتها فى العهد العباسى الاول. حيث وقف الخلفاء العباسيون بشدة امامها. وقد اورد المؤلف شواهد كثيرة توضح هذا الجانب.

ولن ينسى المؤلف التعرض فى هذا الفصل الى موقف الشعب العربى ازاء الشعوبية وحركتها المناهضة للاسلام وللامة. وقد عرض حقائق كثيرة تعبر عن مواقف الفقهاء والكتاب والشعراء الذين اشتركوا فى المعركة ضد الشعوبية باقلامهم وافكارهم واثاروا الشعب ودفعوه فى وجه الشعوبية فقاوم نشاطها ومزق كتبها ورجال دون تحقيق اغراضها. ولا بأس ان نذكر بعضا منهم كالامام جعفر بن محمد الصادق حيث كانت له مواقف جريئة فى الرد على أعداء الإسلام ودحض آرائهم، والامام أبى حنيفة ومن أعلام الحديث الامام مالك بن أنس، والشافعى، واحمد بن حنبل، ومن الأدباء: الجاحظ، وابن قتيبة الدينورى وغيرها.

كما لم يغفل المؤلف ان يتناول مواقف المعتزلة ايضا من الشعوبية الدينية لدورها الكبير فى دحض آراء الغلاة والزنادقة.

ثم يختتم المؤلف كتابه بقائمة من المصادر القديمة والحديثة اضافة الى مجموعة من المراجع الاجنبية بلغ تعدادها جميعا (١٦٨) كتابا. ثم فهرس بموضوعات الكتاب.

ان كتاباً يمثل جهداً كبيراً «نال به صاحبه مرتبة الماجستير» لا غنى للقارى' عنه لكى يطلع على الخطط والاساليب الهدامة التى اعتمدتها الشعوبية الفارسية لمواجهة الاسلام ودولته العربية. فنحن اليوم احوج ما نكون الى فضح المؤمرات الصهيونية والدسائس الشعوبية القائمة اصلاً على تحطيم الامة العربية وتدمير منلها القدية واجهاض نهوضها الحضارى الجديد، الذى بزغ نوره الجديد من ارض العراق، ارض البطولات والامجاد والاحفاد بقيادة بطل التحرير القومى السيد الرئيس صدام حسين الذى حمل رسالة العروبة لاهياء ترانها المجيد.



طالعاني في
الكذب التي صدرت حديثاً

بقلم

محمد هاشم عمادي



١ - كتاب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال لآبى الحجاج يوسف المزى (ت،

(٧٤٢هـ)

حققه، وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف^(١)

حقق الاستاذ الدكتور بشار عواد معروف كتاب تهذيب الكمال للمزى، تناول فى بداية هذا المجلد الأول، سيرة المزى، وكتابه تهذيب الكمال، ومنزلة الكتاب بين الكتب من بابته وبيان تفضيله على جميع الكتب السابقة واللاحقة فى فنه، وكذلك دراسة عناية العلماء بهذا الكتاب.

والكتاب فى الأساس اختصار لكتاب (الكامل للحافظ عبدالغنى المقدسى) وقد عثر المحقق على عدة نسخ من تهذيب الكمال، ويقع الكتاب فى أربعة عشر مجلدا بخطه، ووضع المزى كتابه فى مئتين وخمسين جزءا حديثيا، وللمزى كثير من التحقيقات العلمية والمقابلات فى كتابه هذا.

وبذل الدكتور بشار جهدا متميزا فى سبيل ضبط النص، وبعد رجوعه إلى عدد كبير من المصادر مخطوطها ومطبوعها لاسيا تلك التى أخذ عنها مؤلف الكتاب، وقارن المحقق بين مادة هذا الكتاب (التهذيب) بمادة كتاب الكمال، مقارنة دقيقة، وأكثر من التعليق على النص وعلى الأوهام القليلة التى وقع بها صاحب الكتاب.

أما محتويات الكتاب فإنها تبدأ بدراسة وافية عن السيرة النبوية الشريفة التى استغرقت حوالى ثلث هذا المجلد، وبعدها يبدأ بذكر تراجم العلماء مبتدءا بذكر من اسمه احمد، ذاكرا اسم كل عالم، ونسبه وشخصيته، ومن روى عنه من تلاميذه وعمن روى هو، من شيوخه ومن ثم توثيقه وتجييعه، ووفاته، وبعض المعلومات الاخرى، وقد قام عدد من العلماء باختصار تهذيب الكمال، ولعل ابرز هذه الاختصارات ما قام به ابن حجر العسقلانى فى كتابه (تهذيب التهذيب).

(١) نشرته مؤسسة الرسالة فى بيروت ١٩٨٠م.



ويعتبر كتاب تهذيب الكمال للمزى من المصادر المهمة في كتب الرجال، التي تعتبر مصدراً
مهما للمؤرخين والمحدثين نصاً.

وأخيراً فإن الكتاب محقق تحقيقاً علمياً عالياً، طبق فيه المحقق منهجاً علمياً دقيقاً في
التحقيق منذ بداية المجلد وحتى نهايته.





٢ - كتاب تأريخ ابي زرعة الدمشقي: للحافظ عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله بن صفوان النصري (المتوفى سنة ٢٨١هـ).

دراسة وتحقيق: شكرالله نعمة الله^(٢)

حقق الاستاذ شكرالله نعمة الله كتاب تأريخ ابي زرعة الدمشقي، وهو من الكتب المهمة في التاريخ والتراجم معاً، ويعتبر مصدراً مهماً للمؤرخين والمحدثين، وقام السيد المحقق بتقديم دراسة مستفيضة عن عنوان الكتاب، ووصف المخطوط، ومصادر ابي زرعة في تاريخه ومنهجه في عرض مادة تاريخه.

ويبدأ الكتاب بذكر السيرة النبوية بما في ذلك الجنة، وحياته، وغزواته، ويتكلم عن الخلافة الراشدية حتى نهاية عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ويتحدث عن احداث بارزة في التاريخ الاسلامي كمعركتي الجمل، وصفين، وحنين، وخلافة معاوية، والصوائف والشواتي ويقدم قائمة باسماء خلفاء بني أمية وتواريخ مقادير خلافتهم بايجاز، ويذكر بعدها قائمة باسماء خلفاء الدولة العباسية حتى نهاية وفاة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ، ويقدم بعد ذلك قائمة بقضاة مدينة دمشق منذ فتحها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وقضاة فلسطين، وقضاة مرو.

ويتناول الجزء الثاني الذي ابتدأه بذكر اخبار الصحابي عبدالله بن يسر المازني، وذكر الوقائع بالشام في خلافة ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ومن توفي من الصحابة في معركة اجنادين وتواريخ فتح مدن الشام، ووفاة الصحابة والتابعين واتباع التابعين.

ويذكر ابو زرعة وفيات بعض شيوخه، واخر تاريخ وفاة يذكرها هو سنة ٢٤٩هـ هي سنة وفاة شيخه محمود بن خالد المسلمي، وذكر معلومات مهمة عن بعض العلماء الاعلام، وذكر قائمة باسماء الصحابة النقباء والانصار، ويتضمن الكتاب معلومات حضارية قيمة ونصوصاً فريدة في مختلف الشؤون، وأهمية الكتاب تتمثل في احتوائه على معلومات قيمة وفريدة عن القرنين الأول والثاني للهجرة، توضح لنا بعض النواحي عن الحياة الثقافية والاجتماعية

والادارية فى تلك الفترة، ويحتوى هذا الكتاب على مجموعة كبيرة من الأسانيد يتجاوز الألفين ومئتين وخمسين سندا.

وقد بذل المحقق جهودا ممتازة فى تحقيقه لهذا الكتاب، ووضع له فهرس جيدة.



سليمان أفندي

قائم مقام الحلة سنة ١٨٦٧

مير بصري

زميل الجمعية الآسيوية الملكية

لندن





طالعت البحث القيم الذى وضعه السيد محمد حسن علي مجيد عن «ولاة الحلة وحكامها في القرن التاسع عشر» وقد نشر في المؤرخ العربي العدد (٢٠) (١٩٨١) والحقيقة أنه استطاع ان يجمع مادة غزيرة اكثرها مجهول في هذا الموضوع المتصل بتاريخ العراق في أواخر العهد العثماني.

وقد رأيت انه فاته ذكر قائم مقام الحلة سليمان افندى مفتى كركوك السابق، وهو القائم مقام الذى زاره الرحالة الهولندي «ليكلاما آنيهولت»

(١٨٣٧ - ١٩٠٠) سنة ١٨٦٧. ونيهولت هوى السفر شابا، وقام برحلة طويلة من ١٨٦٥ - ١٨٦٨ فزار روسيا والقفقاس وايران والعراق وكردستان وسورية وفلسطين وتركية. والف في ذلك كتابا في اربعة اجزاء باللغة الفرنسية وخص معظم الجزء الثالث المطبوع في بروكسيل سنة ١٨٧٤ بالعراق الذى وصله عن طريق البصرة في مساء ٢٨ تشرين الثاني ١٨٦٦ وغادره في ٤ حزيران ١٨٦٧ بطريق خانقين الى كرمينشاه.

سجل نيهولت احوال القطر العراقي في نهاية عهد من تأريخه قبيل ولاية مدحت باشا وافتتاح قناة السويس.

وقد أمضى نحو ستة اشهر في بغداد، وزار الحلة والكوفة والنجف وكربلاء وسلمان بك وسامراء وبعقوبا، وقابل الوالي نامق باشا، ودون مشاهداته الفريدة، وذكر في رحلته امورا ذات شأن يتعلق بتاريخ بغداد وحالتها في عهده وزراعتها وتجاريتها ومناخها وعادات اهليها وسائر شؤون الاديان والمذاهب والملابس ومراسم الزواج والعزاء والاثار والعشائر الخ.

ترجمت معظم مباحث هذه الرحلة المفيدة التى تلقى ضوءا ساطعا على بلادنا في منتصف القرن التاسع عشر ونشرتها متسلسلة في جريدة البلد البغدادية لصاحبها الصديق الكريم الاستاذ عبدالقادر البراك من ١٩٦٧/١/٢٠ إلى ١٩٦٧/٦/٦ وكان ذلك بمناسبة مرور مائة عام على الرحلة.

زار رحالتنا الحلة في نيسان ١٨٦٧ حاملا توصية من والى بغداد - قال انه ترك بغداد ومياه الفيضان قد طفت فيها ووصل في اليوم الثانى الى المحاويل ونزل في الخان الذى شيده الحاج

محمد صالح كبة من اغنى تجار بغداد. ثم غادر المحاول وقطع اربعة فراسخ قبل ان تبلغ الحلة حيث استقبله قائم مقامها سليمان افندى، مفتى كركوك السابق، احسن استقبال وانزله في دار محمود آغا الجادرجى (وهو جد رفعت الجادرجى رئيس بلدية بغداد في أواخر العهد التركى وابو جد روؤف وكامل الجادرجى). وقال نيهولت ان سليمان افندى كان رجلا جم الادب، مطلعاً على شؤون الجغرافية والسياسة وله رغبة في اظهار معلوماته، والدار أو بالاحرى السراى التى يسكنها، تقع فى أحسن ناحية على شاطئ النهر ازاء جسر السفن الكبير الذى يربط الصوبين. ولما عرض الرحالة عليه رغبته فى مشاهدة البلدة ارسل معه اثنين من كتابه رافقاه فى جولته فى كل جهة وقال ان الحلة من البلدان الجميلة تبلغ نفوسها نحو ١٥ الفاً، وقد بنيت على منكبى الفرات واسواقها لطيفة كثيرة الحركة واهلها مؤدبون.

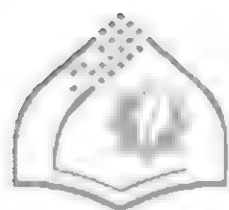
وفى خلال جولته زار أمر المدفعية العقيد الحاج مصطفى بك الذى يقيم فى الثكنة العسكرية. وقوة الجيش المرباط كبيرة بالنظر الى اهمية الموقع السوقية.

وكان استقبال العقيد له وديا كاستقبال القائمين مقامه، فدخل الرحالة قاعة اجتمع فيها كل ضباط الحامية ووقفوا يردون تحيته بادب. وكان على إحدى المناضد قفص فيه طير كنارى صغير بح صوته وهو يغنى محاولاً تغطية المكالمات. وقال الحاج مصطفى ان طيور الكنارى لا تعيش فى بغداد، فالحر يقتلها ولا يوجد الحب الذى نطعمه وقد أتى بهذا الكنارى من استانبول وحمل معه الحبوب التى يأكلها فزرعها فى الحلة وجادت زراعتها.

وختم الرحالة جولته بزيارة دائرة البرق التركية وقابل مديرها نوري افندى الذى رحب به كثيراً، ويعزو الرحالة المجاملات التى لقيها الى توصية الوالى نامق باشا، لكنه مع ذلك يعترف بان الرجال الثلاثة الذين تكلم معهم لم يكن فيهم قصور من ناحية الفضل والاداب.

وزار الرحالة بعد ذلك خرائب بابل، ثم واصل سفره الى الكفل والكوف).

مير بصري



مركز حقیقت کا پوچھنا شروع کرو

CONSULTATIVE BOARD

- 1 — Dr. Hussein Amin: General guardian of Historian Unity. Head of editing board.
- 2 — Dr. Mukhtar Al-Abbadi: History Department / Alexandria.
- 3 — Dr. Youssef Fadhi: Director of African Studies Institution. / Khartoum.
- 4 — Dr. Abdul-Amir Mohammed Amin: History Department. Baghdad.
- 5 — Dr. Mohammed Znelber: Head of History Department Mohammed Al Khamiss University.
- 6 — Dr. Abdul-Karim Ghoraibeh: Vice-President, Jordanian University.
- 7 — Dr. Abdul Kader Zabadia: Head of History Department. / University of Algiers.
- 8 — Mr. Ibrahim Al Baghl: Director of Antiquities and Museums. Kuwait.
- 9 — Mr. Shalf Abdoh Sa'eed: Head of History Department. / University of Aden.
- 10 — Dr. Abdul Malik Khalaf Al Tamimi: History Department / University of Kuwait.
- 11 — Mr. Salem Al Shlbani: Vice-President University Qur-bouniss / Binghazi.
- 12 — Dr. Adulla Yousif Al-Shepl: University of Mohammed Ibn Soud Alislamiya, Al-Riyadh.

Serial No	Subject	Page No
5 —	The Higher Court in Islam or Consideration of Iniquities of the Public.	63
6 —	Policy of the Prophet (P.B.U.H.) in His Conquests against the Jews. By Dr. Ihsan Thuragga, Turkey.	91
7 —	Highlights From The History of lebanese People Uprising. By Professor Sadeg Hasan Al- Sudani, Faculty of Literature, Baghdad University.	
8 —	Abu Is'haq Ibrahim bin Hilal Al- Sabi' as a Historian By Professor Abdurrahman Hussein Al- Azawi, Faculty of Literature, Baghdad University.	177
9 —	Bakr Ibn Wa'el Tribe and Their Wars in Islam, By Dr. Ramziya Muhammad Al- Atrajji, Baghdad University.	199
10 —	A shu'ubiya as an Anti- Islamic and Anti- Arabist Movement. By Dr. Abdullah Salum Al- Samurray. Editor: Dr. Najliya Abdullah Ibrahim.	243
11 —	Readings From The Recently Issued Books. By Professor Muhammad Jasem Hamadi	255
12 —	Sulaiman Afandi, District President of Al- Hillah 1867 A.D. By Professor Mir Bassry, Fellow, The Royal Asian Association, London.	261

Contents of Issue No. 24/1984
From
«THE ARABIAN HISTORIAN»

Serial No	Subject	Page No
	Introduction By Dr. Hussein Amin , Sec. Gen. of The Arab Histor- ian Association.	7
1 —	Cultural Relation ships between Andalusia and Bag- hdad during the Abbaside Age By Dr. Hussein Amin Sec. Gen. of The Arab Histori- ans' Association.	
2 —	The Trade Importance of the Arabian Gulf and Its Re- sources During The Middle Islamic Ages. Research Submitted to the Conference of the Histori- cal Studies on the Eastern Arabian Peninsula. By Dr. L. Ibrahim Ahmad , Faculty of Literature, Bas- ra University.	
3 —	The Prophet Sunnah Versus The Obscurities of Orie- ntalism By Professor Anwar Al- Jundi , Egypt.	37
4 —	Public Openion on the Beginning of Islam. Its Meani- ngs, First Manifestations and Trends By Dr. Adel Muhyedeen Al- Alusi , Faculty of Educ- ation, Baghdad University.	49



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

INT
THE COM